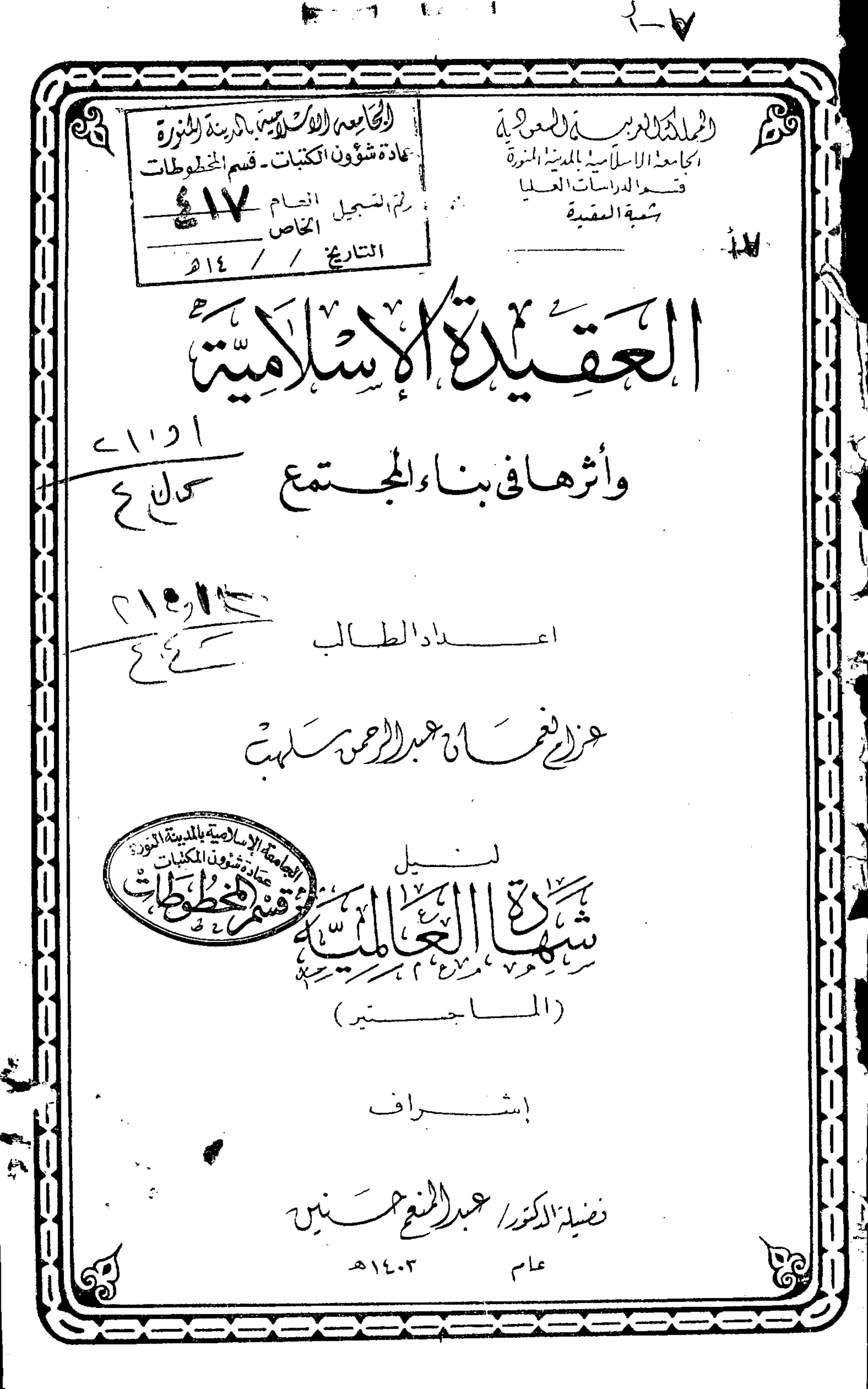


المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة العقيدة

العقيدة الإسلامية

وأثرها في بناء المجتمع

اعداد الطالب

عزان النعمان عبد الرحمن سلهب

لنيل

شهادة العالمية

(الماجستير)

إشراف

فضيلة الدكتور/ عبد المنعم حسنين

عام ١٤٠٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

« إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
أو ألقى السمع وهو شهيد »

سـورة ق «٣٧»

شكر وتقدير

((شـــكر وتقديــر))

الحمد لله صاحب الفضل والمنه ، والشكر له على عونه وتوفيقـــــــــه
واسأل الله المزيد من فضله وكرمـــــه .

وبعد ،، فانني اتوجــه بالشكر والامتنان الى فضيلة الشـــــــــيخ /
محمد عبد المنعـم حسنين الذى تشرفت بمصاحبته في رحلة هذه الرســـالة
سائلا المولى عز وجل ان ينفع به وبتوجيهاته وخبراته المشتغلين بالعلـــم
وان يجزيه عنا خير الجزاء .

كما واضرع الى الله ان يحفظ الجامعة الاسلامية ، وان يسدد خطاهـــا
وان يوفق كل المخلصين في ثغورهـــا .

واسأله سبحانه ان يجعل الجامعة الاسلامية وبقيها حصــــــــنا
لدعوته ، ومأرزا للايمان وموئلا للعلم .

والحمد لله رب العالميـــن .

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
الاهداء	أ
شكر وتقدير	ب
المقدمة	١-١٠
الفصل التمهيدي	[illegible]
المبحث الأول / مقدمة عن التدين وتاريخه	١١
تعريف العقيدة عند الناس	١٢
[illegible] في ميزان الاسلام	١٤
[illegible] أو [illegible]	
المبحث الأول [illegible]	
[illegible]	
المبحث الثاني /	
[illegible] العقيدة الصحيحة	٢٠
[illegible] أو الانحراف [illegible]	٢٢
صور الانحراف العقدي	٢٣
المبحث الثالث / في العقيدة الاسلامية مفهومها وتعريفها	
معنى [illegible] اللغوي	٢٥
تعريف العقيدة الاصطلاحي	٢٦
المبحث الرابع / في الايمان حقيقته وتعريفه	
الاختلاف في تعريف الايمان	٢٨
[illegible] الايمان والاسلام	٣٠
المفهوم الصحيح للايمان	٣١
[illegible]	[illegible]
الايمان [illegible]	[illegible]

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث / الايمان بالكتب	
المقصود بالايمان بالكتب وحدوده	٧٩هـ
حكم الايمان بالكتب	٨١
اثر الايمان بالكتب في تربية النفس	
أولا / استشعار قدره الله وفضله ورحمته وعدله وازدياد اليقين .	٨٢
ثانيا / الايمان بالكتب له أثر كبير في بقاء الدعوة واستمرارها	٨٤
ثالثا / الالتزام بالتلقي عن مصدر واحد لتكوين جيل متميز فريد	٨٥
رابعا / إشعار الامة المسلمة بواجبها ، وبثقل رسالتها الوارثة	٨٦
القرآن الكريم عقيده وتربية	
اعتقاد أهل السنة في القرآن الكريم	٨٨
القرآن الكريم وأثره في الانسان	٨٨
القرآن الكريم والتربية العقلية والفكرية	٨٩
القرآن والتربية السلوكيه	٩٠
القرآن والتربية الروحية والقلبيه	٩١
القرآن والتربية البيانية واللغويه	٩٢
الفصل الرابع /	
الايمان بالرسل عليهم السلام	
وجوب الإيمان بالرسل	٩٤
حكم من انكر الرسل	٩٤
وحكمته	١٢٢

الموضـــــــوع	الصفحة
ادلة الايمان به ورد شبهات المنكرين	١٢٥
الآثار التربوية للايمان باليوم الآخر	١٢٨
أولا /	
اكتمل تصور المسلم عن الوجود والحياة ، المبتـــدأ والمنتهى	١٢٨
ثانيا /	
تربية الشعور الحقيقي بالمسئولية على مستوى الفـــرد والأمة	١٢٩
ثالثا /	
الاستقامة وتحقيق الاخلاق الفاضلة	١٣٠
رابعا /	
ايثار الآخرة على الدنيا والصبر على شدائدها	١٣٣
سادسا /	
افاضة الرضاء والارتياح على النفوس ، ونفـــي السخط والقلق	١٣٥
سـابعا /	
الحث على العمل والانتاج والنماء واقامة الحضارة	١٣٧
الفصل السادس /	
الايمان بالقضاء والقدر	١٣٩
معنى القدر والقضاء لغة	١٣٩
معناهما اصطلاحا	١٤٠
مراتب القدر	١٤٢
احتجاج الكفار بالقدر	١٤٣

الموضـــوع	الصفحة
الولاء والبراء	١٧٢
رابعا /	
التسليم لمنهج الله ، واتباع طريق القرآن في فهـم النصـــوص	١٧٣
الفصل الثاني /	
خاصية الوضوح	
العقيدة الاسلامية واضحة سهله ميسوره والتعقيد طارىء عليهـــا	١٧٤
كيف تلقى الصحابة هذه العقيدة	١٧٦
يجب تنقية العقيدة من الكتب التى عقدتها	١٧٦
صور عن التعقيد في العقائد الأخرى	١٧٨
اسباب وضح العقيدة الاسلامية	١٨١
شبهة عدم امكانية تطبيق هذا الدين في العصر الحديث وردهـــا	١٨٢
وضوح الطريق وتحديد المراحل	١٨٤
الفصل الثالث /	
عقيدة وسط	
معنى الوسطيه	١٨٧
مظاهر وسطيه العقيدة الاسلامية	١٨٨
وسط في التصور والاعتقاد والتفكير والشعور	١٨٨

الموضــــوع	الصفحة
التغيير كان منهج الرسول صلى الله عليه وسلم	٢١٣
العرب كانوا يفهمون ان العقيدة الجديدة تغيير للحياة	٢١٤
القرآن يدعو للتغيير	٢١٦
خصائص التغيير الاسلامي	٢١٨
عقديه التغيير	٢١٨
كليه التغيير	٢١٩
انسانيه التغيير	٢٢٠
الفصل السادس	
خاصية الواقعية	٢٢٣
مظاهر واقعية العقيدة الاسلامية	
العقيده بين النظريه والتطبيق	٢٢٣
علم الكلام وعلم التوحيد النظرى بعيد عن الواقعية	٢٢٦
امكانية اعادة تطبيق مجتمع العقيده	٢٢٧
تطبيق العقيدة غير مرتبط بشخص الرسول	٢٢٨
عقيده للبشر في حدود طاقاتهم وامكاناتهم	٢٢٩
الفصل السابع /	
خاصية الايجابية والتأثير	
المقصود بالايجابية والتأثير	٢٣١
صور عن سلبية العقائد الاخرى	
اعتقاد ارسطو	٢٣٢
اعتقاد الفرس	٢٢٣
اعتقاد افلوطين	٢٢٣
اعتقاد بني اسرائيل	٢٣٤

الموضـــــوع	الصفحـــة
اعتقاد النصارى	٢٣٤
اعتقاد المسلمين (في ذات الله عز وجل)	٢٣٥
ايجابية العقيدة عبر القرون	٢٣٩
صفات الله واسماؤه الحسنى ايجابيه موثرة	٢٤١
الفصل الثامن / خاصية الثبات	
معنى ثبات العقيدة	٢٤٥
الثبات لا يعني الجمود	٢٤٦
الامور الثابتة والقيم الثابتة التي لا تقبل التطور	٢٤٧
اهمية ثبات العقيدة والمنهج	٢٤٩
ثبات العقيدة يودى الى الاستقرار	٢٥٠
ثبات العقيدة يضع الميزان الثابت الذى يفيء الناس اليه	٢٥١
نفي الظلم وقطع مبرراته من قبل الحكام	٢٥٢
تحديد طريق المسلم وهدفه ، وتحقيق ولائه وبراءته	٢٥٥
ثبات العقيدة سبب في ثبات الوجود الاسلامي في وجه المحن	٢٥٧
اهمية الثبات للعاملين في دعوه الله	٢٥٩
الفصل التاسع / خاصية التوحيد	
التوحيد هو الاساس في دين الله	٢٦١
اهمية وقيمة التوحيـد في الاسلام	٢٦٢
التوحيد اول واجب وآخر واجب	٢٦٤
آثار التوحيد على النفس والحياة البشرية	

الموضـــــوع	الصفحة
أولا /	
التوحيد يدفع الشدائد	٢٦٦
ثانيا /	
الانضباط والثبات	٢٦٧
ثالثا /	
الاستقامة	٢٦٨
رابعا /	
تجمع الطاقة واجتماع الشخصية	٢٦٩
خامسا /	
تحرير الانسان	٢٧٠
كلمة التوحيد وشروطها	٢٧٣
أولا العلم بمعناها	٢٧٣
ثانيا /	
اليقين	٢٧٤
ثالثا /	
القبول والاذعان لمقتضياتها في القلب واللسان	٢٧٤
رابعا / الانقياد والاستسلام لما دلت عليه	٢٧٥
خامسا / الصدق	٢٧٥
سادسا / الاخلاص	٢٧٦
سابعا / المحبه	٢٧٦
خاتمة البحـــث	٢٧٩
فهرس المراجع	٢٨٤
فهرس الآيات الواردة في الرسالة	٢٩٠
فهرس الأحاديث الوارده .	٣١١

مقدمة البحث :

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، أعز من أطاعه وأذل من عصاه سبحانه في عليائه ، خلق البشر لطاعته ، وحدد غايتهم في الحياة بتوحيده وعبادته ، وأنزل اليهم كتابا هاديا وضع لهم فيه أسباب صلاحهم وفلاحهم في دنياهم واخراهم ، وبين لهم معالم الطريق ، ووضح مراحل السير ومنازل الطريق .

واشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله الله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فختم الله به الرسالة ، وهدى به من الضلالة ، وعلم به من الجهالة ، فاشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألفت به القلوب بعد شتاتها ، فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته الغر الميامين ، وعلى تابعيهم ومن سار على نهجهم وسلك سبيلهم الى يوم الدين .

وبعد . . .

فان أهمية دراسة التوحيد ، وقيمة تناول العقيدة والايمان بالبحث والدراسة ، تنبني على أمرين اثنين :

الأول : ان علم التوحيد أو العقيدة من اشرف العلوم ، بل اجلها وأشرفها على الاطلاق ، وذلك لما هو مقرر عند العلماء من أن شرف العلم بشرف المعلوم ، وموضوع علم التوحيد ، هو الله تبارك وتعالى ذاتا وصفاتا ، وما يتبع الايمان بالله عز وجل من ايمان باليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين والقدر .

ومن هنا سماه العلماء بالفقه الأكبر ، على اعتبار ان الفقه الأصغر ميدانه الفروع والجزئيات من الأحكام الشرعية ، وان مبنى الفقه الأكبر على كبرى قضايا هذا الدين وأسسه التي يقوم عليها .

ولذا كان علم التوحيد اصلا لكل العلوم ، بل هو رأسها وذروتها .

الثاني : ان قضية الايمان ، ليست قضية على هامش الوجود ، بل هي المسألة المصيرية الكبرى في حياة البشر ، وهي سر الوجود ، وروح الحياة الذى ان فقد، فقد طعم الحياة وذهبت قيمتها .

فانها أحد أمرين لا ثالث لهما :-

شقاء مهلك أو سعادة وفلاح

انها كفر أو ايمان ، انها لجنة ابدا أو لنار ابدا .

ومن هنا وجب على الجميع الاهتمام بها ، وجعلها في الدرجة الاولى عند ترتيب الاولويات ، فمن خلالها تقوم الشعوب ، والأمم والأفراد والجماعات ، وعن توجيهها ومناهجها يصدرون .

وينضم الى الدوافع العامة التى ذكرت ، دوافع خاصة دفعتني الى الكتابة في موضوع بحثي اجملها في الآتى :-

أولا / ان في الاهتمام بأمر العقيدة الاسلامية وابراز مزايا الايمان الحق ، وتقدير آثاره الطيبة في حياة البشر ، ان في ذلك جلبا للطمأنينة لأهل الايمان ، وزيادة لليقين في قلوبهم ، والأمل في نفوسهم باقتراب نصرالله لهم ، والتمكين في الأرض لدينه والمنتسبين اليه ، وهذا بالاضافة الى تثبيتهم على الطريق الذى سلكوه وهو الحق من ربهم .

وكل ذلك يدخل تحت موضوع التواصي بالحق والصبر والخير الذى هو من لوازم الايمان وأسباب الفوز والفلاح .

المقدّمة

قال تعالى :

(والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

هذا من ناحية ، والناحية الأخرى ،فان في تجلية امور الايمان وقضاياه ، وبيان الثمار الطيبة الخيرة التى يحصل عليها المؤمنون ،وينعم بها المتقون ، كل ذلك دعوة للمكذبين الضالين ، والذين لم يهتدوا الى الحق ،حتى يروا هذا الحق ويعتنقوه .

ثانيا : ان أمتنا قد أصيبت في العهد المتأخر بأدواء خطيرة ،أهمها نسيانها لذاتها ورسالتها ، وذلك من جراء نسيانها لربها ولدينها ،وهذا النسيان والابتعاد تجسد فى مظاهر كثيرة منها :

ظاهرة انحراف التصور الايماني ،وذلك عند قطاعات عريضة من المسلمين ، فكثيرون يتصورون ان الايمان يكفي فيه تصديق القلب وسلامته ،والابتعاد عن الكبائر من المعاصي والفواحش ،ودون التزام بمقتضى هذا الايمان في العقيدة والعبادة والخلق ،ودون علم بأن العمل جزء من الايمان ، وانه لا يكتمل الايمان الا به ، وان العمل هو دليل الايمان ،وبرهان الصدق فيه .

والظاهرة الأخرى هي ظاهرة فصل الدين عن الدولة ، حيث راجت هذه الفكرة وانتشرت ،بسبب من كيد الأعداء وعجز العلماء وغفلة الابناء ، وما سرى من توابع هذه الفكرة ، من أن الدين شيء والحياة شيء آخر ، الدين محصور بين جدران المساجد ، أو منكمش في زوايا الذكر ،فاذا خرج العابد منهما انتقل الى حياة أخرى مختلفة ولا علاقة لها بالأولى .

وآخرون يشككون في امكانية قيام مجتمع العقيدة في هذا العصر ، وذلك بدعوى تطور الحياة والأفكار والمادة ،أو لعدم الصلاحية لكون هذه العقيدة طبق نظامها مرة واحدة في التاريخ ولم يتكرر ، فتطبيقها مرة أخرى يكلف كثيرا من الوقت والجهد ،

وأسهل منه أخذ قوانين الأعداء ومناهجهم لتســـاس به الأمة المسلمة .

ولقد حاولت في رسالتي تناول كثير من مثل تلك الانحرافات والأخطاء ، واثبات زيفها وبطلان حجة أصحابها ،فهذه الرسالة تتضمن الرد على كل ذلك الضـلال ، وتعطى ان شاء الله المفهوم الصحيح للايمان الحق ولما استشكل من بعـــض القضايا على بعض المسلمين .

ثالثا : كان من نتيجة التبعية والذيلية التي اصيبت بها الأمة ، ان قام المخدوعون من أبنائها ، والذين غرهم التقدم الحضارى ، وبهرهم الازدهار العلمي والصناعي الذى وصل اليه أعداء المسلمين .

قاموا باستيراد مناهج الفكر ونظريات التربية ، والاجتماع وبكل ما هي عليه ولـو كانت ممزوجة بالكفر والالحاد ،ليتربى عليها أبناء المسلمين ، وذلك بحجة الوصول الى ما وصل اليه الأعداء .

فنقدم في هذا البحث دراسات هي أسس لمناهج تربوية هادفة ، لها من روح العقيدة روح وحياة وقوة ،وهي جزء من تراثنا الخالد ، الحاوى للكنوز العظيمـة وليكون لنا معينا ثرا صا فيا يغنينا عن الغرب ،الكافر ،ومناهجه في شتى العلـوم الانسانية .

رابعا : ومما دفعني للكتابة في هذا الموضوع

ما نشاهده من افلاس المناهج الأرضية ،وفشل كل الدساتير والقوانين الوضعية ، في ايجاد/ الحياة الهنيئة المطمئنة السعيدة ، أو حل معضلات البشر ومشاكلهم التي تتعقد يوما بعد يوم ، فعرضنا هنا عقيدتنا صحيحة وحيه ، وانها هي الأساس الوحيـــد لهذه الحياة المرجوة لكل من اراد العيش الكريم من كل بني الانسان .

خامسا : ما نراه من الدمار والخراب ، والخسران والمهانة أو الاندحار والهزائم ، التى لحقت بأمتنا ، وذلك من جراء تطبيقها للجاهلي من الأنظمة والدساتير ، ورفعها للزائف من الشعارات والمبادىء شرقية كانت أو غربية ، جنت أمتنا من كل ذلك الصاب والعلقم ، وتجرعت شعوبها كؤوس الذل والهوان ، واهدرت دماءها وثرواتها ، وفقدت ديارها ومقدساتها وشخصيتها .

وكل ذلك جزاء وفاقا لاعراضها عن الله ودينه وهداه ، فهالعقيدة وحدها تنهض من كبوتها ، وتستعيد سابق امجادها ، وغابر سوددها ، كما كانت في عهد اسلافنا المؤمنين ، فبها عزوا وانتصروا ، ونحن قوم أعزنا الله بهذا الدين فاذا ابتغينا العزة فى غيره اذلنا الله ، ولن يرفع عنا ذلك الا ان نراجع ديننا .

سابعا : ان معظم الدراسات التى تناولت العقيدة الاسلامية بالبحث كان موضوعها العقيدة مجردة عن آثارها وانعكاساتها على الأفراد والمجتمعات ، أو دارسون تناولوا الآثار فقط دون دراسة العقيدة ، ولكنى في بحثى هذا سلكت مسلكا آخر حيث جمعت بين النهجين ، فانا حاولت أولا اعطاء الصورة المختصرة للعقيدة الصحيحة دون ذكر الخلافات والتفريعات التى لا داعى لها ، والتى حشيت بها كتب الكلام ، والتركير على الجوهر واللباب ، وذلك لتصحح فى النفوس أولا ثم ليستفاد من آثارها بعد ذلك ،

وبهذا أكون ان شاء الله قد تجنبت جفاف الفريق الأول ، وأكملت نقص الفريق الثاني ، وكان هذا البحث على هذه الصورة عقيدة صحيحة تنتج آثارا طيبة .

سادسا : وأخيرا فهذه الرسالة محاولة لاستثارة وبعث الآثار الهامة، والخطير وقعها في الحياة، والعظيم توجيهها لسلوك البشر وما يتصل بهم من اجتماع واقتصاد وسياسة وقانون، ومن ثم الخروج بنتائج الايمان الصالحة والمباركة.

وكل ذلك لبيان أهمية الدين والعقيدة في استنفاذ ما بقي من قيم وفضائل وأخلاق، من جراء الموجة المادية الماتية، التى اجتاحت وجه الأرض ولم يكد يسلم منها الا من رحم الله.

وحاولت كذلك جمع كثير من تلك النتائج والآثار المتفرقة هنا وهناك ليستفاد منها في مسيرة الدعوة الى الله عز وجل.

تلك كانت أهم الدوافع التي حدت بى للكتابة في الموضوع المذكور، أما عن منهجي في الرسالة.

فقد أقمت رسالتي على :

مقدمة وفصل تمهيدى وبابين وخاتمة.

وتفصيل ذلك :-

المقدمة :-

اجملت فيها أهمية دراسة العقيدة وقيمة تناولها في هذا الوقت بالذات، وذلك ضمن الدوافع والأسباب التىدفعتني للكتابة في هذا الموضوع، ثم ذكرت خطتي في الرسالة.

والفصل التمهيدى :

تكلمت فيه عن اصل التدين والاعتقاد، وذكرت نبذة عن تاريخه، ورأى الاسلام فيه، واثبت أن الأجيال البشرية الأولى كانت موحدة، وذكرت نبذة عن حالة العالم المعاصر، وحاجته الى العقيدة التي هي العلاج لما نحن فيه من صور الانحراف والمشاكل.

أما الباب الأول : فهو في أركان الايمان الستة وآثارها في النفس والمجتمع، وقد قسمت هذا الباب الى ستة فصول :

الفصل الأول : فكان عن الايمان بالله عز وجل ، وأهميته في البنية العقدية ، والمقصود به ، وأنواع التوحيد ،ثم تكلمت عن الآثار التي يجنيها العبد بايمانه بالله من اتساع افقه وبصيرته ،وابتعاده عن الأمراض الاجتماعية المهلكة ، والجدية والعمل ،والتوازن ،وبحدد الولاء والبراء ، وان الايمان هو طريق التحرر للبشر وهو مصدر الحياة السعيدة ،فيها السكينة ، والامن والرضا ،والأمل المشرق .

والفصل الثاني : كان عن الايمان بالملائكة ،وحدوده وحكمه ، ثم الآثار التي نستفيدها ،من استشعار رحمة الله وعظمته وكرمه ، والاستقامة والابتعاد عن المعاصي للتشبه بالملائكة في لزوم العبادة والخير ،واشباع رغبة الانسان في استطلاع الغيب والبحث عن المجهول ،واتساع الأفق في الشعور الانساني ، وتعلم توزيع الأمور والمهام وشؤون الحياة والدعوة .

والفصل الثالث : فهو في الايمان بالكتب الالهية المنزلة على رسل الله ، اجمالا وتفصيلا ، وأهمية وجود الكتب عند الشعوب والأمم ، وانها الحكم العدل عند اختلاف البشر ،وأهمية الكتاب في استمرارية الدعوة الى الله ، ثم ذكرت بعض الآثار التربوية التى نأخذها من القرآن الكريم .

والفصل الرابع : فهو في الايمان بالرسل الكرام عليهم السلام ،حدود هذا الايمان اجمالا وتفصيلا ، وعن الآثار المستفادة من الايمان بهم ،وانهم أساتذة الخير والدعوة ،وان سيرتهم كانت التطبيق العملي لدين الله .

وانهم القدوة الحسنة والاسوة الصادقة في الثبات والصبر والشجاعة لجميع البشر .

والفصل الخامس : كان عن الايمان باليوم الآخر ، وعن اهتمام القرآن به وحكمة ذلك ، وأدلة الايمان به ، ورد شبه المنكرين ،بالقرآن ،والآثار المستفادة منه ، من اكتمال التصور عن المبدأ والمنتهى والوجود حول المسلم ، وشعوره بالمسؤولية، والاستقامة ، وضبط الغرائز والدوافع ، وايثار الأخرى على الفانيه والصبر على شدائدها ومصائبها ، والرضا والارتياح ،وزيادة الانتاج واقامة الحضارة .

والفصل السادس : كان في الايمان بقدر الله ، ومعناه لغة واصطلاحا ، ومراتب القدر ، وتصحيح المنهج الفكرى في أمر القضاء والقدر ، وسبب الخلط بين الفرق في القضاء والقدر ، وموقف الصحابة من القدر ، وآثار الايمان بالقدر من صحة الايمان وقبوله ،ومضاء العزيمة والشجاعة والجرأة والحث على العمل ، وعدم التواكل ، والرضا والسعادة ونفي القلق والسخط.

أما الباب الثاني :

فكان عن خصائص العقيدة الاسلامية ، تناولت أهم الخصائص التى ارى ان لها من الآثار والتوجيهات والانعكاسات في الفرد والمجتمع ، ما اثبته ، وقد جعلته في تسعة فصول .

الفصل الأول : خاصية الربانيه ، وانها أهم خصائص العقيدة التي تبني كل الخصائص الأخرى عليها ،وانها ربانية المصدر والغاية ،واثر ذلك في احترام الناس لها ، وتوجب عليهم موالاتها والرضا بحكمها ،والتسليم لطريقة القرآن الربانية في فهم النصوص دون تأويل أو اعتساف .

الفصل الثاني / خاصية الوضوح ، وهي تعم رسالة الله الخالدة .

وان العقيدة سهلة واضحة ، ينبغى اخذها هكذا دون تعقيد أو فلسفة ، ووجوب الاقتداء بالصحابة الكرام في تلقي العقيدة والعمل بها ،والاعراض عن المنطق الجاف والفلسفة الجامدة ، والترف الفكرى.

فهي مفهومة واضحة على عكس العقائد الزائفة التي اعطيت صورا عنها ، وبينت سبب وضوح العقيدة ، وان تطبيقها ميسور لا يكلف كثيرا .

والفصل الثالث : خاصية الوسطيه ، معناها ، ومظاهر الوسطيه .

وانها وسط في كل شيء في التصور والاعتقاد ، والتفكير والشعور ، وبين الخرافيين والماديين ، والجبرية والقدريه ، وفي موقفها من الأنبياء ، والعقل البشرى ، وبين النفاة والمجسمة في الصفات ، وبين المرجئة والوعيديه ، ووسط بين الانقياد الابله والأعمى وبين معرفة كل شيء ، وبين الدنيا والآخرة .

والفصل الرابع : عن خاصية الفطرة ، ومعناها عند العلماء ، وبعض مظاهر فطرية العقيدة ، وانها تستيقظ في المحن والشدائد ، وذكرت ان الفطرة هي رصيد عظيم للتغيير من الواقع الأليم البعيد عن الاسلام الى الاسلام الصحيح

والفصل الخامس : عن خاصية التغيير ، ذكرت مفهوم التغيير الذى يريده الاسلام وان الرسول صلى الله عليه وسلم كان منهجه تغييريا ، وان القرآن دعا للتغيير وبينت خصائص التغيير الاسلامي .

والفصل السادس : عن خاصية الواقعية ، وان العقيدة نزلت للبشر ، وبينت حدود ما بين النظريه والتطبيق ، وأن علم التوحيد النظرى الفلسفي بعيد عن الواقعية ، وامكانية اقامة وتكوين مجتمع العقيدة من جديد ، وان هذه العقيدة هي عامة للبشر في حدود طاقاتهم .

والفصل السابع : في خاصية الايجابية والتأثير ، والمقصود بذلك ، وبيان وجوه السلب في العقائد الزائفة وانها تعطل طاقة الانسان وارادته وايجابيته ، بل وتفسده ، وذكرت ايجابيته عقيدتنا عبر القرون ، ثم عرضت نماذج لايجابية أسماء الله تعالى وصفاته وتأثيرها في توجيه البشر وتربيتهم .

أما الفصل الثامن : ففي خاصية الثبات ، وان الثبات لا يعني الجمود ، وذكرت ان هناك قيما ثابتة لا تتغير ولا تقبل التطور ، وأهمية ثبات العقيدة والمنهج في الاستقرار ووضع الميزان الثابت للبشر ، ونفي الظلم ومبرراته ، وتحديد ولاء المسلم وبراءه، وثبات الوجود الاسلامي في وجه المحن ، ثم أهمية الثبات للدعاة الى الله .

والفصل التاسع :

في خاصية التوحيد ، وبينت أهمية التوحيد وقيمته في الاسلام ، وان التوحيد أول واجب وآخر واجب ، وانه يوثر في الحياة ، فيدفع شدائدها ويضبطها ويثبتها ، ومن آثاره الاستقامة ، والوضوح ، وتجمع الشخصية والطاقة ، وتحرير الانسان ، وذكرت موجزا عن كلمة التوحيد والشروط التي يجب توفرها في قائلها حتى تنفعه .

أما الخاتمة :

فقد اختتمت بها موضوع بحثي ، وخرجت فيها بمجموعة نتائج .

وبعد : فقد بذلت وسعي في اخراج هذه الرسالة اخراجا يتفق مع قواعد البحث العلمي واصول الدراسة المنهجية .

وأسأل الله تباركت أسماؤه ان ينفع بهذا البحث صاحبه ، وقارئه ، وان يجعلنا جميعا من جنود عقيدته الصادقين ، وأن يشرفنا بأن نعيش عليها ، وعليها نموت ، وعليها نلقى الله .

هذا وان ما كان من صواب في هذه الرسالة فبفضل الله وتوفيقه ، وما كان من خطأ فهو قصور مني واستغفر الله عليه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فصل تمهيدي

المَبْحَثُ الأول

نبذة تاريخية عن التدين وتاريخه

نبذة عن التدين وتاريخه :-

في خضم النهضة العلمية والفكرية والتكنولوجية الحديثة ظهرت آراء على ساحة الحرية الفكرية في اوروبا ، هذه الآراء أخذت تنتقص من شأن الأديان بل وتنكر وتجحد نزعة التدين .

فالبعض راح يدعي ان التدين طارئ على البشرية ، وان الانسانية عاشت قرونا متطاولة في حياة مادية خالصة ، قوامها الحرث والنحت والبناء والحدادة ، والنجارة وذلك قبل ان تفكر في مسائل الروحانيات والدينيات .

وفريق آخر ذهب الى ان فكرة التأليه هي من وضع دهاة ماكرين من الكهنة والقساوسة خدعوا بها الجمهور والسذج من الناس ، وليضللوا فقراءهم ، وذلك بهدف الحفاظ على سلطانهم وامتيازاتهم .

وغيرهم كثير حتى نشأت فكرة الشيوعية في العصر الحديث ، فكفرت بكل الأديان والآلهة ، وادعت على الملأ ان الدين افيون الشعوب ومخدر الفقراء والكادحين يستغله رجال الدين أو أصحاب رؤوس الأموال . (١)

والسؤال المطروح هنا : هل هذه الآراء مبتكرة أم انها مسبوقة ؟

ويجيب الشيخ عبدالله دراز على هذا التساؤل بقوله : (ان هذه النظرة الساخرة الى الدين والقوانين ليست مبتكرة ، وانما هي ترديد لصدى مجنون قديم ، كان يتفكه به أهل السفسطة من اليونان فيما كانوا يروجون من المغالطات والتشكيكات ، فقديما زعم هؤلاء السفسطائية ان الانسان كان أول نشأته يعيش بغير رادع عن قانون ، ولا وازع من خلق ، وانه كان لايخضع الا الى القوة الباطشة . . . ثم كان ان وضعت القوانين فاختفت المظاهر العلنية من هذه الفوضى البدائية ،

---

(١) انظر العقيدة الاسلامية ـ لعبد الغني عبود / ١ - ١٠

ولكن الجرائم السرية ما برحت سائدة منتشرة ، فهناك فكر بعض العباقرة في اقناع الجماهير بأن في السماء قوة أزلية أبدية ترى كل شيء وتسمع كل شيء وتهيمن على كل شيء) (١) .

هل تطورت العقيدة عبر التاريخ :-

يرى كثير من الباحثين الغربيين ان الانسان لم يعرف العقيدة على الصورة النهائية التى نراها اليوم مرة واحدة ، بل ترقت وتطورت بترقي الانسان وتطوره عبر القرون .

وتأتى هذه الصورة الأخيرة لتكمل صور الضلال المبين الذى وقع فيه القوم لعدم وجود كتاب هاد يحتكون اليه يفصل في هذه القضية الهامة وغيرها .

ولكن الأدهى من ذلك والأمر ، ان يقول بالقول الباطل السابق بعض الباحثين المسلمين .

فالكاتب عباس العقاد في كتابه (الله) الذى يبحث فيه عن نشأة العقيدة الالهيه ، يرى ان الانسان قد (ترقى في العقائد) ويعتبر ان هذا الترقي أو التطور في الاعتقاد موافق لترقيه في العلوم والصناعات .

ويقول في ذلك (كانت عقائد ، الانسان الأولى مساوية لحياته الأولى ، وكذلك كانت علومه وصناعاته ، فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات ، وليست عناصر الحقيقة في واحدة منها بأوفر من عناصر الحقيقة في الأخرى .

بل انه يرى ان تطور العقيدة عند الانسان كان أشق واطول من تطور الصناعات ، ويرى كذلك ان الحقيقة الالهية لم تتجل للناس مرة واحدة حين يقول :

---

(١) انظر كتاب (الدين) - لعبدالله دراز / ٨١ - دار القلم .

(فالرجوع الى اصول الأديان في عصور الجاهلية الأولى لا يدل على بطلان التدين ، ولا على انها تبحث عن محال ، كل ما يدل عليه ان الحقيقة الكبرى أكبر من أن تتجلى للناس كاملة في عصر واحد) .(١)

ثم أخذ يستعرض آراء الباحثين في تاريخ الاعتقاد فمنهم من يرى ان السبب في نشأة العقيدة ، هو ضعف الانسان بين مظاهر الكون واعدائه من قوى الطبيعة والحياة .

وبعضهم يرى ان العقيدة الدينية ، حالة مرضيه في الآحاد والجماعات ، ويرى بعضهم الآخر ان اصل العقيدة الدينية هو عبادة (الطوطم) كأن تتخذ بعض القبائل حيوانا (طوطميا) تزعمه أبا لها ، وقد يكون شجرا أو حجر يقدسونه .. الى آخر تلك الفروض والخرافات والضلالات التي قامت في أذهان الباحثين الغربيين .

ومع الأسف وكما أسلفنا بأن هذه النظرية قد سرت الى الكثير من الكتاب ، واعتنقها جمله من الدارسين ، وسبب وقوع هؤلاء في هذا الخبط والجنوح الفكري أمور :-

الأول : اعتقادهم ان الانسان الأول خلق ناقصا ، وغير مؤهل لتلقي الحقائق العظمى كاملة ، بل انهم يتصورونه الى الحيوان أقرب منه الى الانسان .

الثاني : انهم ظنوا ان الانسان اهتدى الى الدين والاعتقاد بنفسه ، وبدون معلم أو مرشد ، وما دام الأمر كذلك فلا بد ان يترقى في معرفته بالله كما يترقى في العلم والصناعة .

الثالث : انهم عندما بحثوا في الأديان ليتبينوا تاريخها لم يجدوا أمامهم الا تلك الأديان المحرفة أو الضالة ، فجعلوها ميدان بحثهم ومصدر معرفتهم وأنى لهم ان يعرفوا الحقيقة من تلك الأديان التي تمثل انحراف الانسان في فهم العقيدة .(٢)

---

(١) كتاب (الله) جل جلاله - للعقاد - ص ٧ - ط / دار المعارف بمصر

(٢) العقيدة في الله / لعمر الأشقر / ٢٤٣ - ٢٤٥ / ط ثانية مكتبة الفلاح . الكويت

التدين في ميزان الاسلام :-

والذى نراه من استقرائنا المتواضع ان التدين أمر مركوز في النفوس البشرية ، مستقر في القلوب ، وهو غريزة طبيعية ثابتة ، وشعور بالحاجة والافتقار والدينونة والخضوع للخالق المدبر والكامل المستغنى عن غيره .

وهذا الشعور الانساني هو جزء من تكوين الانسان ، لا يمكن ان يخلو منه أو ينفصل عنه لان الله تبارك وتعالى قد فطره ابتداء عليه :-

(فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . . .) (١)

ولقد اثبت التاريخ ان الانسان عرف بالتدين في كل عصر وقرن ، وحتى الشعوب التى أجبرها السلاطين على ترك التدين أبت الا أن تكون متدينة ، رغم القوة الباطشة التى سلطت عليها ، وتحملت الأذى في سبيل ذلك الدين وتلك العبادة ، ولم تستطع قوة أن تنزع من الانسان تدينه ، أو تزيل تقديس الخالق من نفسه أو تمنعه من العبادة)(٢).

والحق ان التدين ضرورة من ضرورات البشر التى لا تصلح حياتهم بدونها ، ضرورة لصيانة النفس البشرية والحياة البشرية ، وليكون الدين بمثابة الميزان الثابت ، والمحور الثابت الذى تدور عليه حركة الاحياء والحياة . . .

وهذا ما جاء به القرآن الكريم وأثبته في مثل قوله تعالى :

(وإن من أمة الا خلا فيها نذير) (٣).

---

(١) سورة الروم -٣٠-

(٢) الاسلام وثقافة الانسان / سميع عاطف الزين / ٣١ - ٣٢ ط دار الكتاب اللبناني .

(٣) سورة فاطر -٢٤-

وهذا النذير يبلغها دين الله تبارك وتعالى وينذرهما مغبة الاعراض عن تعاليمه .

تاريخ التدين أو الاعتقاد كما يرويه القرآن الكريم :-

من نافلة القول ان نقول بأنه ليس هناك كتاب على وجه الأرض يوضح تاريخ العقيدة والاعتقاد الا كتاب الله الكريم ، فالكتب الأخرى قد حرفت وبدلت وأصبحت العوبة في يد البشر، فضلا عن انقطاع سندها التاريخي ،وبالتالي سقوط الاحتجاج بها .

فلقد أخبرنا الله عز وجل في القرآن : انه خلق آدم خلقا مستقلا سويا وكاملا غير ناقص ، ثم نفخ فيه من روحه وأسكنه جنته ،وأباح له أن يأكل هو وزوجته منها كيف شاء ، الا شجرة واحدة ،فاغراه عدوه ابليس بالأكل من الشجرة ،فاطاعه ونسي ، فزلت قدمه وعصى ربه .

فأهبطه الله من الجنة الى الأرض ،وقبل الهبوط وعده الله سبحانه ، بأن ينزل عليه وعلى ذريته هداه كي يعرف الانسان بربه ومنهجه وتشريعه ،ووعد المستجيبين له بالهداية في الدنيا والسعادة في الأخرى ، وتوعد المستكبرين بالمعيشة الضنك في الدنيا والشقاء في الآخرة .

قال تعالى (قلنا اهبطوا منها جميعا ، فاما يأتينكم منى هدى ،فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)[1] .

وفي سورة (طه) يقول الحق جل وعلا (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ، فأما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ..)[2]

---

(١) سورة البقرة ٣٨ - ٣٩

(٢) سورة طه ١٢٣ - ١٢٤

الأجيال البشرية الأولى كانت على التوحيد :-

لما هبط آدم عليه السلام الى الأرض ،انشأ الله من ذريته أمة كانت على التوحيد الخالص كما قال تعالى :

(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) [١] .

أى كان الناس على التوحيد والدين الحق ، فاختلفوا فأنزل الله اليهم الأنبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين .

وفي حديث أمامة ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يارسول الله ؟ انبي كان آدم ؟ قال : نعم مكلم . . . ،قال فكم بينه وبين نوح ؟ قال عشرة قرون) [٢] .

وفي صحيح البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما :-

(وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام) وهكذا نرى ان التوحيد والتدين الحق الصحيح هو الاصل في البشرية ،وان ما حصل من شرك وضلال أو انحراف عن التوحيد انما هو طارىء بعد ذلك.فقد صح ان أول انحراف عن الاسلام الصحيح الى الشرك والوثنية قد كان عن طريق الغلو في الصالحين وتعظيمهم ورفعهم الى مرتبة الالهة المعبودة .

ففي صحيح البخارى من حديث جريج عن عطاء عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى :

(وقالوا لا تذرن آلهتكم ،ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) [٣] .

---

(١) سورة البقرة -٢١٣ -

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه وقال ابن كثير في البداية والنهاية (هذا على شرط مسلم ولم يخرجه) .

(٣) سورة نوح -٢٣ -

قال : (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد ،حتى اذا هلك أولئك وانتسخ العلم ـ اى نسي ودرس ـ عبدت)(١)

حاجة البشرية الى الدين أو العقيدة :ـ

لقد أثبت التاريخ والاستقراء لحياة البشر ان الدين والعقيدة ضرورة لا غنى عنها .

فالعقيدة ضرورية لضبط الحركة البشرية ، وثبات التطورات الحيوية ، فالعقيدة هي الحصن الذى يحمي البشر من الفناء أو الضياع أو السقوط الى ادنى مستوى ، فهي ضرورة للفرد حتى يطمئن ويسعد ، وتزكو نفسه ، وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك ويرتفع ويرقى .

والفرد بغير عقيدة تافه رخيص فهو كريشة في مهب الريح لا تستقر على حال ولا تعرف لها وجهة ، ولا تسكن الى قرار مكين .

الفرد بغير دين ولا ايمان ، انسان ليس له قيمة ولا جذور ، انسان قلق مبترم حائر ، لا يعرف حقيقة نفسه ولا سر وجوده ، لا يدرى من ألبسه ثوب الحياة ، ولماذا ألبسه اياه ، ولماذا ينزعه عنه بعد حين ؟

وهو بغير عقيدة ولا ايمان ، حيوان شره ، أو سبع فاتك ، لا تستطيع الثقافة ولا القانون ـ وحدهما ـ ان يحدا من شراهته ، أو يقلما اظفاره .

---

(١) انظر العقيدة في الله / عمر الأشقر صفحة ٢٤٣ - ٢٥٣

والمجتمع بغير دين ولا ايمان مجتمع غابه ،وان لمعت فيه بوارق الحضارة والحياة والبقاء فيه للأشد والأقوى ،لا للافضل والاتقى .

مجتمع تعاسة وشقاء وان زخر بأدوات الرفاهية وأسباب النعيم ،مجتمع فهو مجتمع تافه رخيص ،لان غايات أهله لا تتجاوز شهوات البطون والفروج ، فهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم . (١)

والعقيدة ضرورية للبشر لاقامة قواعد الحق والعدل والنصفة بينهم ولا يكونوا كوحوش غاب اذا لم يكن احدهم ذئبا أكلته الذئاب .

والعقيدة ضرورية لضبط الفكر البشرى فلا يتأرجح مع الشهوات ولا يتأثر بالاهواء أو الانحرافات ليبقى المبدأ الذى يسير عليه الناس .

والعقيدة ضرورية لسلامة الحياة والاحياء ، فبدونها تتحطم الحياة وتتدمر ويصاب الكون كله بالدمار .

بالعقيدة تتغذى الأرواح وتستمد الضمائر حياتها لتسير بانتظام .

وبالعقيدة يتحقق عنصر احترام القوانين ، فلا قيمة لقانون او نظام اذا لم يوجد خلق أو ضمير يحترمه ويطبقه ، ولا يوجد الخلق أو الضمير الا اذا وجد الدين وكانت العقيدة .

وبالعقيدة وطيبها تقوم الحضارات وتدوم وتبنى المدنيات وتعمر ، وبدونها تتحطم الحضارات وتنهار وتأتي على كل بناء بالدمار .

---

(١) انظر الايمان والحياة - يوسف القرضاوى / ص ٧

وأخيرا فالعقيدة أقوى رابطة ، وأكبر عوامل الوحدة بين البشر قاطبة ، ففي حين تظل روابط اللغة أو التاريخ أو الوطن أو المصالح المشتركة ، سطحية تربط بين الأفراد أو الشعوب برباط من نسج العنكبوت ، حين تفشل كل تلك الروابط والأواصر تنفرد رابطة الاخوة في الدين ، واصرة الاخوة في العقيدة لتضم الناس جميعا وتربطهم برباط التقوى والاخوة في الله ليكونوا جميعا جنودا متحدى الصف تحت قيادة واحدة تحق الحق وتزهق الباطل . (١)

---

(١) انظر (الدين) محمد عبدالله دراز ـ صفحة ٩٨-١٠٢

المبحث الثاني

حالة البشرية اليوم وسبب بلائها

نبذة عن حالة البشرية اليوم :

لقد أتى على العالم الاسلامي حين من الدهر ،أفلت من سمائه شمس العزة والحرية والسؤدد ،وعمه ضعف شامل في جميع مناحيه وأرجائه .

وانه للما يدمي القلب ، ويفتت الأكباد ، اننا لا نلتفت شرقا ولا غربا نتفقد أحوال المسلمين ، ونتبين أمر هذا الاسلام ،الا ووجدناه كالطير مقصوصا جناحاه ،أو كمارد أوثق بأحكام وخبث ،فهو مشلول الارادة ، لا تكاد تحس له بحياة . (١)

هذا ولنترك المجال لفارسين من فوارس ساحة الاسلام المعاصرة ليصفا لنا حالة هذه الأمة :

فالأستاذ أبو الحسن الندوى أوجز حالة أمتنا بهذه الأسطر حين يقول :

(من الغريب الواقع ان المسلمين قد اصبحوا في الزمن الأخير في كثير من نواحي الأرض حتى في مراكز الاسلام وعواصمه ،حلفاء للجاهلية الاوروبية ، وجنودا متطوعين لها ، بل صار بعض الشعوب والدول الاسلامية يرى في الشعوب الاوربية التي تزعمت حركة الجاهلية منذ قرون ، ونفخت فيها روحا جديدة ،وركزت اعلامها على الشرق والغرب ،ناصرا للمسلمين ، حاميا لذمار الاسلام المستضعف،حاملا لراية العدل في العالم ، قواما بالقسط.

ورضي عامة المسلمين بأن يكونوا ساقة عسكر الجاهلية (٢) ،بدل أن يكونوا قادة الجيش الاسلامي ، وسرت فيهم الأخلاق الجاهلية ،ومبادىء الفلسفة الاوروبية

---

(١) انظر كتاب العقيدة وأثرها في بناء الجيل - لعبدالله عزام .

(٢) ساقة عسكر : الساقة هي موءخرة الجيش . ومنها حديث تعس عبد الدينار وفي آخره (ان كان في الحراسة كان في الحراسه ،وان كان في الساقه كان في الساقه) رواه البخاري.

سريان الماء في عروق الشجر والكهرباء في الاسلاك ، فترى المادية الغربية في البلاد الاسلامية في كثير من مظاهرها وآثارها ،وترى تهافتا على الشهوات ونهما على الحياة ،نهم من لا يؤمن بالآخرة ، ولا يؤمن بحياة بعد هذه الحياة ،ولا يدخر من طيباتها شيئا ،وترى تنافسا في أسباب الحياة والفخار،وتكالبا عليها فعل من يغلو في تقويم هذه الحياة وأسبابها ،وترى ايثارا للمصالح والمنافع الشخصية على المبادىء والأخلاق ،شأن من لا يؤمن بنبي ولا كتاب ،ولا يرجو معادا ، ولا يخشى حسابا ...

الى أن يقول :

وترى حبا للحياة وكراهية للموت دأب من يعد الحياة الدنيا رأس بضاعته ، ومنتهى أمله ،ومبلغ علمه .

وترى افتتانا بالزخارف والمظاهر الجوفاء ،كالأمم المادية التي ليس عندها اخلاق ،ولا عقيقة حية ،وترى خضوعا للانسان ،واستكانة للملوك والأمراء ورجال الحكومة والمناصب وتقديسهم ، شأن الأمم الوثنية وعبدة الأصنام).(١)

وهكذا نرى ان الفساد والانحراف قد نخرا الى العظم من كيان الأمة ،ففسدت الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ،والتعليمية ، والتربوية ، وحتى تتضح الصورة أكثر هذه سطور من يراع الأستاذ سيد قطب -يقول : -

(والعاقل الذى لم يأخذه الدوار الذى يأخذ البشرية اليوم ،حين ينظر الى هذه البشرية المنكودة ،يراها تتخبط في تصوراتها ،وأنظمتها وأوضاعها ، وتقاليدها ،وعاداتها ،وحركاتها كلها تخبطا منكرا شنيعا ... يراها تخلع ثيابها وتمزقها كالمهووس ! وتتشنج في حركاتها وتتخبط وتتلبط كالممسوس ، يراها تغير ازياءها في الفكر والاعتقاد ، كما تغير ازياءها في الملابس ،وفق اهواء بيوت الأزياء !

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - لأبى الحسن الندوى - ص ٢٨٤ ط/ العاشرة / دار الانصار -لبنان -

يراها تصرخ من الألم ، وتجرى كالمطارد ، وتضحك كالمجنون ، وتعربد كالسكير ، وتبحث عن لا شيء ! وتجرى وراء أخيله ، وتقذف بأثمن ما تملك وتمتص أقذر ما تمسك به يداها من أحجار وأوضار .. !! (١)

الخواء أو الانحراف العقدى هو رأس المشاكل :-

ان ما ذكرناه وغيره من تشتت وضياع وتشرذم وضعف ، لا تعدو كلها عن مظاهر خارجية ، ونتائج عارضة وليست هي أسباب البلاء .

واذا كنا جادين في ارادة الاصلاح ، ونية العلاج ، فلا بد لنا من تشخيص الداء تشخيصا دقيقا وصحيحا لكي نتعرف على دوافعه التي أدت اليه والأسباب التي تسببت في العلة والمرض .

وباختصار فان العلة تكمن في عقيدة البشر ، وفي ما انعقدت عليه القلوب من التصديق والايمان .

فالعقيدة هي المرآة الصافية والصادقة التي ينعكس عليها سلوك البشر في الحياة ، وان أى اهتزاز ، أو ضعف أو غبش أو نقص سيعكس تشوها وانحرافا وفسادا في حياة الأفراد والجماعات .

والخلاصة :

ان واقعنا المعاصر يعاني من معضلات كثيرة ، الا انه يشكو في رأس هذه المعضلات جميعا ، داء خبيثا وخطيرا ، يتمثل في انحراف التصور العقدى أو انعدامه .

---

(١) خصائص التصور الاسلامي - لسيد قطب . ص ١٢٩ - ١٣١ .

والانحراف العقدى يتخذ صورا ومظاهر متعددة ،نوجزها فيما يلي :

أولا :- صورة تمثل اسفاف أو انعدام التصور العقدى ، المترتب على انكار وجود الله وسائر المغيبات ،وتبدو هذه الصورة في مظاهر الالحاد القائمة على مبادىء المادية الجدلية ،والماركسية ،بل وتقوم عليه احزاب الحادية شيوعية تحكم دولا بأكملها ،وتسوس شعوبا برمتها .

ثانيا :- صورة تمثل انحراف التصور العقدى المتسبب عن طغيان الحاكمية الفردية ، والتاليه البشرى ، والتحاكم الى انظمة البشر وأحكام الطاغوت .

ثالثا :- صورة تمثل سوء فهم الاسلام ، والانحراف الفكرى في تصور هذا الدين ، فنتج عن ذلك فصل الدين عن الدولة ، ورقع فيه دين الله في الأذهان وتقوم على هذه الصورة أفكار العلمانية ، ودول وحكومات ترفع الوية فصل الدين عن الدولة ،والغاء السياسة من الدين وحصر الدين في زوايا ضيقة وسجنه في المساجد ، وبعض الأحكام الفرعية .

رابعا :- صورة تمثل جهل الأمة وعامتها ، وادعاء الاتباع والحب والخاطئين للرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام ، مما جعلها تقبل البدع والخرافات ،وتخرج عن أدب الموحدين وتخدش من جناب التوحيد في الوان العبادة من دعاء وشفاعة وذبح ونذر ،أو حلف،يوجهونها الى غير الله سبحانه جهلا .

وبعد .. فان المجتمع البشرى اليوم يعيش انحرافا عقديا خطيرا وان سوءأوضاعه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ،وهي في الحقيقة انعكاس طبيعي لهذا الخواء العقيدى ، الذى طاتمكن واستحكم الا بجهل الابناء وضعف وعجز العلماء وكيد ومكر الاعداء . (١)

---

(١) انظر كتاب ـ الاسلام فكره وحركة وانقلاب ـ فتحي يكن ـ ص ١١٠ -١١١

فهنا مكمن الداء ،ومن هنا يبدأ الطب والدواء ، ومن هنا -
ولهذا كان هذا البحث ، وعلى ذلك اقمت هذه الرسالة :

ومن هنا كانت حاجة البشرية عامة للعقيدة الدينية الصحيحة ، وحاجة العالم المعاصر الى نشر العقيدة ذات المفهوم الصحيح الشامل ، وحتى تتربى أجيالها عليها،لتستعيد غابر مجدها ،وسالف عزها ونصرها .

المبحث الثالث
في العقيدة الاسلامية
تعريفها ومعناها

معنى العقيـــدة

ان لفظ (عقيدة) لم يرد صراحة بهذه الصيغة في كتاب الله عز وجل ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،فيما انتهى اليه بحثي .

ولكننا نقول بأن اصل مادة هذه الكلمة (عقيدة) -عقد- ثلاثي مجـرد- قد ورد في غير ما موضع من كتاب الله الكريم ، وكذا في أحاديث رسولنـــــا صلى الله عليه وسلم .

أما وروده في القرآن المجيد :-

فجاء (عقدَ)- في قوله تعالى (والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ..)النساء ٣٣

وجاء (عقّد) " " " (ولكن يوءاخذكم بما عقدتكم الايمان ...) المائدة ٨٩

" (عُقدة) " " " (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتـــاب أجلـه) .... البقرة / ٢٣٥

" (عقود) " " " (يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود ....) المائدة / ١

" (العقد)" " " (ومن شر النفاثات في العقد ...) الفلق / ٤

أما في السنة فقد ورد اصل المادة (عقد) في أحاديث كثيرة مثـــل :

قوله صلى الله عليه وسلم (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام..) (١)

" " " " (أأشد ضفر رأسي أو اعقده ...) (٢)

---

(١) رواه البخارى في باب التهجد ، وبدء الخلق ومسلم في باب كتاب المسافرين وأبو داود في باب التطوع ، وابن ماجة في باب الاقامة .

(٢) رواه النسائي في كتاب الطهارة .

ومن مراجعة قواميس اللغة العربية ومعاجمها لمعرفة معنى العقيدة نستنتج من أقوال اللغويين ما يلي :-

ان مادة عقد يعقد : تدور حول الشد والربط ، والتوثيق ، فكأن العقيدة هي العهد المشدود والعروة الوثقى ، وذلك لاستقرارها في القلب ورسوخها في الأعماق .(١)

تعريف العقيدة :-

اختلفت تعريفات أهل العلم لها :-

فعرفها بعضهم :- بانها التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريب ، فهي بمعنى الايمان ، يقال ، اعتقد في كذا أى آمن به ، والايمان بمعنى التصديق فيقال آمن بالشيء أى صدق به تصديقا لاريب فيه ولا شك معه .(٢)

ويوجزها بانها الأمور التي يجب ان يصدق بها قلبك ، وتطمئن اليها نفسك ، وتكون يقينا عندك ، لا يمازجه ريب ، ولا يخالطه شك .

والبعض الآخر عرفها : بأنها :-

(الايمان بوجود الله ووحدانيته ، وان لا سلطان حقيقيا في الكون غير سلطانه ، ولا قوة قاهرة غير قوته ، ولا ملك غير ملكه ، وكل ما وراء ذلك فهو مخلوق لله عز وجل ، يمنحه حيث يشاء ، ويسلبه عندما يشاء ، وانه الرقيب على عباده كلهم ، وسيبعثهم من بعد الموت فيحاسب كلا على ما كسب أو اكتسب) .(٣)

---

(١) انظر : لسان العرب / لابن منظور ج ٣ / ٢٩٦ - دار صادر ، بيروت .
القاموس المحيط / للفيروزآبادى ، جـ ١ / ٣١٥ ، فصل العين باب الدال .

مختار الصحاح / للرازى / ٤٤٥ ، ط. العاشرة ، دار الكتاب العربي / لبنان .

(٢) العقائد الاسلامية / لسيد سابق / ٨ مطبعة حسان ط. الثانية .

(٣) كبرى اليقينيات الكونية ، للبوطي / ٥٧ ط سادسة ، دار الفكر .

وتعريف آخر لها : بانها

(الايمان بحقيقة معينة ،أيمانا قطعيا ،لايقبل الشك أو الجدل ، أو هـي : ما تؤمن به وتراه عن اقتناع قلبي اكيد ،وعلى أساس هذا الذى تؤمن به وتـراه ، تذهب في حياتك اى تسير وتسلك .[1]

وأخيرا يعرفها أبو بكر الجزائرى : ـ بانها

(مجموعة من قضايا الحق البديهية ،المسلمة بالعقل والسمع والفطرة ،يعقـد عليها الانسان قلبه ويثني عليها صدره جازما بصحتها ،قاطعا بوجودها ،وثبوتها ، لايرى خلافها انه يصح أو يكون ابدا)[2]

وبعد فان العقيدة مرادفة للايمان .

ولئن استعمل لفظ العقيدة كثير من العلماء القدامى أو المحدثين في العقيدة الواسطية أو العقيدة الطحاوية ، أو العقائد الاسلامية ،أو العقيدة الاسلاميـة ، وغيرها مما رجعت اليه في بحثي هذا .

فان علماء اخرين قدامـى ومحدثين استعملوا لفظ الايمان بدل العقيدة ، وهو اللفظ الذى استعمله القرآن الكريم واستعمله الرسول الكريم في أحاديثه ،ولـــذا فاننا سنتناول تعريف الايمان ومدلوله وتحديده كقضية أولاها العلماء اهتمامهـم ولما دار حولها من خلاف واختلاف بين أهل السنة والجماعة وغيرهم .

---

(١) العقيدة الاسلامية عبد الغني عبود /١٧ ،ط . الأولى / دار الكتـــاب العربـــي .

(٢) عقيدة المؤمن ـ لأبي بكر الجزائرى /٢١ ـ ط . العاشرة . مطبعة النهضة الجديدة .

المبحث الرابع
في الايمان
تعريفه وحقيقته

المبحث الرابـــــع

=======

معنى الايمان وحقيقته :

اختلف أهل العلم في تحديد الايمان وفي بيان المقصود به ، واختلاف الناس في هذا المقام على أقوال كثيرة .

فالكراميه (١) : يعرفون الايمان بانه الاقرار باللسان فقط .

فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الايمان .

والجهمية (٢) : يقولون بان الايمان هو المعرفة بالقلب .

فالكافرون كفرعون وابليس عندهم مؤمنون كاملو الايمان .

وهذه الأقوال وغيرها ظاهرة البطلان ، لا تحتاج الى تعليق ، وقد اتفق علماء أهل السنة على فسادها وبطلانها (٣) .

وأهل السنة عندهم قولان فقط في تحديد معنى الايمان :-

القول الأول :-

ان الايمان اسم يقع على الاقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالجوارح والأركان .

وهذا الرأى هو الراجح الذى تدل عليه النصوص ، وقد ذهب اليه معظم أهل السنة .

---

(١) الكرامية :- هم أصحاب (محمد بن كرام) من الفرق المخالفة لأهل السنـــة في باب الصفات وفي الايمان وغيرها من القضايا ، بلغ عدد فرقهم سبعة .
انظر : الملل والنحل : للشهرستاني جـ ١ /ص ١٠٨ ، والفرق بين الفرق/ ١٣١

(٢) الجهمية : هم اتباع جهم بن صفوان رأس فرقة ضالة ، مبتدعة نشرت الشــــر ، قتله سليمان بن أحوز المازني اخر ملك بني أمية . انظر الفرق بين الفرق/ ١٢٨

(٣) انظر تفصيل ذلك في شرح العقيدة الطحاوية / ٣٧٥ وما بعدها . وفي كتـاب الايمان لشيخ الاسلام ص ١٣٥ وبعدها .

قال الامام ابن القيم في قصيدته القيمة المسماة بالنونية : قال :

واشهد عليهم ان ايمان الورى قول وعمل ثم عقد جنان

قال شارح القصيدة :-(مذهب أهل السنة ان الايمان تصديق بالجنان وعمل بالأركان وقول باللسان .

وقال الامام الشافعي في الام (وكان الاجماع من الصحابة والتابعين ممن بعدهم ومن أدركناهم يقولون : (ان الايمان قول وعمل ونيه ،لا تجزىء واحدة من الثلاثة الا بالأخرى) .

وقال الامام أحمد (ولهذا كان القول ان الايمان قول وعمل عند أهل العلم من شعائر السنة) .

وقال الحافظ ابن عبد البر في التمهيد (اجمع أهل الفقه والحديث على ان الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنيه ، والايمان عندهم يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية ، والطاعات كلها عندهم ايمان ،الا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه) . (١)

القول الثاني :-

ان الايمان اسم يقع على الاقرار باللسان والتصديق بالجنان ، ولا يدخل العمل بالجوارح .

وصاحب هذا الرأى أبو حنيفة وأصحابه . ولكنهم يقولون ان العمل بكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرائع والبيان حق وواجب على المؤمنين الذين اكتسبوا هذا الاسم بالاقرار والتصديق . (٢)

---

(١) انظر شرح قصيدة ابن القيم جـ ٢ / ١٣٩ - ١٤١ .

(٢) انظر الفقه الأكبر مع شرحه لملا علي القارى صفحة ٨٧ - ٨٨

والتحقيق ان الخلاف بين الرأيين خلاف نظرى لا يترتب عليه أثر عملي ، وان كان يترتب عليه خلافات نظريه أخرى ، فكما يقول صاحب الطحاوية (والاختلاف الذى بين أبى حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة ، اختلاف صورى ، فان كون أعمال الجوارح لازمة لايمان القلب ، أوجزء من الايمان مع الاتفاق على ان مرتكب الكبيرة لا يخرج من الايمان ، بل هو في مشيئة الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ، نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد)(١).

الفرق بين الايمان والاسلام :-

الايمان في اللغة يعنى التصديق .

والاسلام يعنى الاستسلام والخضوع والخنوع كل ذلك في اصلها اللغوى .

أما معناهما الشرعي :- فكما في حديث جبريل عليه السلام الصحيح عرف الرسول صلى الله عليه وسلم : الايمان : بانه : (ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

وعرف الاسلام :- ب (ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت) .

وعرف الاحسان :- ب (ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)

فالرسول صلى الله عليه وسلم جعل الدين ثلاث درجات :

اعلاها الاحسان ، وأوسطها الايمان ، ويليها الاسلام ، فكل محسن مؤمن ، وكل مؤمن مسلم ، وليس كل مؤمن محسنا ، لا كل مسلم مؤمنا(٢) .

هذا يعني ان هناك فرقا بين الايمان والاسلام .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ٣٧٦ .

(٢) الايمان - لشيخ الاسلام ابن تيميه / ص٢

والتحقيق في الفرق بينهما :

ان الايمان هو تصديق القلب واقراره ومعرفته ، والاسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له ، وذلك يكون بالعمل وهو الدين ، كما سمى الله تعالى في كتابه الاسلام دينا .

وفي حديث جبريل المتقدم ذكره ، سمى النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام والايمان والاحسان دينا عندما قال : (هذا جبريل اتاكم يعلمكم دينكم) .

وهذا عند اقتران هذه الألفاظ في سياق واحد فهنا يفرق بينهما ، اما اذا أفرد أحد الألفاظ فانه تدخل فيه الأخرى . (١)

والخلاصـــــــة :-

ان الاسلام والايمان من الألفاظ المترادفة التي اذا اجتمعت في سيـــاق واحد افترقت في المعنى ، واذا انفردت اختلفت في المعنى .

فاذا ذكر اسم الايمان مجردا دخل فيه الاسلام والأعمال الصالحة .

كقوله صلى الله عليه وسلم : (الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله ، وادناها اماطة الأذى عن الطريق .) (٢) وكذا سائر الأحاديث التي تجعـــل فيها أعمال البر من الايمان .

واذا ذكر اسم الاسلام مجردا دخل فيه الايمان والاحسان) . (٣)

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم - لابن رجب الحنبلي - ص ٢٦ / ٢٧ ، دار المعرفة / بيروت .

(٢) متفق عليه / رواه البخاري في كتاب الايمان ، ومسلم في كتاب الايمان ص٤٦ ج١

(٣) انظر الايمان - لابن تيميه / ١٠ - ١١

كقوله تعالى : (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) .(١)

وقوله (ان الدين عند الله الاسلام) .(٢)

المفهوم الصحيح للايمان :-

والذى نقصده بالايمان هو الذى أراده الله لعباده على ألسنة رسله ، وتابع الرسل الكرام في هذا الفهم الصحيح الاتباع والأصحاب وكل صادق ثابت على طريق الله .

وأهم صفات هذا الايمان هي الشمول :-

شمول الايمان :-

وهذا يعني ان الأيمان يشمل جوانب الحياة جميعا ، وينظم أمور الناس في كل ما يحتاجونه ، فهو يشمل قواعد واصول العبادة والشريعة ، وقضايا الشرائع القانونية ، والجوانب الاجتماعية والسياسية والخلقية ، ولا فصل لواحد من هذه الأمور عن بنيته وبنائه الشامخ فاى فصل لجزء من أجزائه يعتبر كفرا - بالكتاب ومنزله وخروجا عن مقتضى الايمان الكامل .

والرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم اطلق لفظ الايمان على جميع فروع الدين فقال في الحديث الصحيح (الايمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الايمان) (٣)

ورواية مسلم (الايمان بضع وسبعون شعبة ، اعلاها قول لا اله الا الله ، وادناها اماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان)

---

(١) سورة آل عمران - ١٠٢ -

(٢) سورة آل عمران - ١٩ -

(٣) رواه البخارى في كتاب الايمان .

وهذه الفروع والشعب كما يقول الامام ابن حجر في فتح البارى :
يقول ان (منها ما يتعلق بالجنان ، ومنها ما يتعلق باللسان ، ومنها ما يتعلق بالأبدان ،

فأما ما يتعلق بالقلب :-

فهي المعتقدات والنيات وهذه تشمل :-
الايمان بالله وتوحيده ، وانه ليس كمثله شيء ، واعتقاد حدوث ما دونه والايمان بملائكة الله وكتبه ورسله .
والايمان بالقدر خيره وشره .
والايمان باليوم الآخر ، ويدخل فيه سؤال القبر والبعث والنشور ، والحساب والميزان ، والصراط ، والجنة والنار .
ومحبة الله ، والحب في الله والبغض في الله .
ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، واعتقاد تعظيمه ، ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته ، والاخلاص لله ، وترك الرياء ، والنفاق ، والتوبة والخوف والرجاء والشكر ، والوفاء ، والصبر ، والرضا بالقضاء . والتوكل ، والرحمة ، والتواضع وتوقير الكبير ، ورحمة الصغير ، وترك الكبر والعجب ، وترك الحسد والحقد والغضب .

وأما ما يتعلق باللسان :- فهي هذه الخصال :-

التلفظ بالشهادتين ، وتلاوة القرآن ، وتعلم العلم وتعليمه ، والدعاء والذكر واجتناب اللغو .

وأما الخصال التي تتعلق بالابدان : فهي :-

التطهر حسا وحكما ، واجتناب النجاسات، وستر العوره ، والصلاة فرضا ونفلا

والزكاة ، والجود ، واطعام الطعام ، وأكرام الضيف ، وتحرير العبيد .

والصيام فرضا ونفلا ، والحج والعمرة ، والاعتكاف ، والتماس ليلة القدر ، والفرار بالدين ، والهجرة من دار الحرب ، والوفاء بالنذر ، والتحرى في الايمان ، واداء الكفارات ، والتعفف بالزواج ، والقيام بحقوق العيال ، وبر الوالدين ، واجتناب العقوق ، وتربية الاولاد وصلة الرحم . (١)

فهو منهج شامل لجوانب الحياة جميعها .

والايمان الذى أراده الله لعباده : ايمان يزيد وينقص .

يزيد بالطاعات والعبادات من ذكر الله وتفكر في آلائه ، وصلاة نوافل ، وصيام نوافل ، والتزام الرفقة الموءمنة الصالحة ، وطلب العلم خالصا لله ، فكل ذلك من شأنه أن يزيد ايمان العبد ، ويعمق يقينه بالله ، فيزداد شوقا وثباتا ونورا .

أما نقصان الايمان ، فيكون بممارسة المعاصي ، واتيان المنكرات والفواحش ، وارتكاب الموبقات ، وكذا الاستغراق في الدنيا وما فيها من حطام زائل وبهرج كاذب .

والايمان الذى نقصده :ـ لا يتم بحفظ متون العقيدة ، وتغييب قضاياها وأحكامها فقط ، فان ذلك تلقين .

ونحن نريده يقينا في القلب والتزاما في واقع الحياة .

وذلك يتم ، بغرس قضايا الايمان والأمور الاعتقادية في النفوس والقلوب ثم تمهد هذه النفوس بالتربية والرعاية والاعتناء ومحاولة ربطها بواقع حياة المسلم ، لتكون تربية ميدانية فتزيد من اليقين بالله وبدينه ودعوته ، وتعمق كل ذلك باجتناب الشيطان وحزبه وصفه .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ لابن حجر العسقلاني ـ ج ١ ص ٥٨ ـ ٥٩

فالمطلوب اذا تطبيق منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في غرس الايمان وتثبيت القاعدة الايمانية في القلوب وترتيبها على ذلك تربية جادة مقنعة صادقة لتستحيل باذن الله غراسا مباركا يكون اصلا لشجرة مباركة اصلها ثابت وفرعها في السماء .

الايمان الذى نعنيه :-

هو الايمان الكامل الذى ارتضاه الله للبشرية دينا ، ولا يقبل من أحد دينا ولا منهجا سواه ، فقد كمله الله واتمه فلا يقبل زيادة أو انتقاص جزء أو جانب منه .

ايمان له ايجابية وتأثير في السلوك والسعي في الحياة ، فاذا رسخ الايمان في الاعماق ، وخالطت بشاشته القلوب ، وتذوقت حلاوته المتميزة اندفعت لتحقيق حقيقته وأحكامه في خارج القلب في واقع الحياة ، فينبثق عن ذلك جهاد بالمال والنفس وتضحية بالغالي والنفيس في سبيل الله .

فالعقيدة التي تستكن في القلب ولا يكون لها وجود في العلانية ، عقيدة خاوية باردة لا تستحق ان تسمى عقيدة ، وقد نرى كثيرا من الناس يعرفون الحقيقة على وجهها ، ولكنهم لا ينصاعون لها ، ولا يصوغون حياتها وفقها ، بل قد يعارضون الحق الذى استيقنوه ويحاربونه ، فهذا ابليس يعرف الحقائق الكبرى معرفة يقينية ، يعرف الله ، ويعرف صدق الرسل والكتب ، ولكنه نذر نفسه لمحاربة الحق الذى يعرفه .

فالايمان اذا ليس مجرد معرفة بارادة الله ، أو معرفة يستعلي صاحبها عن الاقرار بها ، أو يرفض ان ينصاع لحكمها ، بل هي عقيدة رضي بها قلب صاحبها وأعلن عنها بلسانه ، وارتضى المنهج الذى صاغه الله متصلا بها . (١)

---

(١) انظر العقيدة في الله - لعمر الأشقر - ص ١٦/١٧

هذا وسنبين بشيء من التفصيل خصائص هذا الايمان وصفات العقيـــدة الاسلامية في باب مستقل باذن الله .

البابُ الأوَّلُ

أركانُ الإيمان وَأثرها في النفس والمجتمع

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الإِيمَانُ بِاللّٰهِ وأَثَرُهُ في النفس والمجتمع

الركن الأول من أركان الايمـــــان

الايمان بالله عز وجل

========

الايمان بالله عز وجل هو أهم القضايا على الاطلاق ، فهو أصل الاسلام الأصيل ، وقاعدة التصور والاعتقاد . وقاعدة المنهج الذى يحكم جوانب الحياة جميعا .

المقصود بالايمان بالله :

ونعنى بالايمان بالله سبحانه : افراده جل وعلا بالربوبية والسيادة علـــى الخلق ، والعبودية والالوهية له وحده دون سواه ، ومعرفته باسمائه الحســنى وصفاته العلا ، ومن ثم افراده بالسيادة على ضمير المسلم وسلوكه في كل أمـــور حياته .

فالايمان بالله سبحانه يتضمن توحيده بما ذكرنا ، فهي اذا ثلاثة أنواع مـــن التوحيد تدخل في معنى الايمان بالله عز وجل وهاك بعض التفصيل (١) :-

توحيد الربوبيــة :-

ومعناه اجمالا : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه ولا رب سواه وبيانه : ان الرب في اللغة هو المالك المدبر (٢) .

وربوبية الله على خلقه تعني تفرده سبحانه في خلقهم وملكهم وتدبير شؤونهـم ، فلا شريك له في الخلق ، ولا شريك له في تصريف الامور ، ولا يتدخل في تصريفه للكون والحياة احد ، ولا يرزق الناس معه أحد ، ولا يضر أو ينفع غيره أحد ، ولا يتـم شيء في هذا الوجود صغيرا أو كبيرا الا ما يأذن به ويرضاه ،

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٧٦ . وتيسير العزيز الحميد ١٧/ . الروضة الندية ٩/ .

(٢) انظر المصباح المنير كتاب الراء جـ ١/ ٢٩٨ والقاموس المحيط باب الباء فصل الراء

فهو وحده خالق الخلق ، ومالكهم ، ومحييهم ومميتهم ، ونافعهم وضارهم ، ومجيب دعائهم عند الاضطرار ، والقادر عليهم ، ومعطيهم ومانعهم ، وله الخلق والأمر كله .

كما قال سبحانه :-(الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)(١) .

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع من التوحيد جد الافصاح ، ولا تكاد سورة من سورة تخلو من ذكره أو الاشارة اليه ، فهو كالأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى .

ولهذا فاننا نجد أن القرآن الكريم قد ذكر هذا النوع من التوحيد في مقام الحمد لله فقال : (الحمد لله رب العالمين)(٢) ويقول سبحانه :
(فلله الحمد رب السماوات والأرض رب العالمين)(٣) .

وفي مقام الاستسلام لله والانقياد له قال تعالى :-

(قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين)(٤)

وكون هذا النوع من التوحيد هو الأساس لاعتبارين :-

الأول :- لأن الخالق المالك المدبر هو الجدير وحده بالتوجه اليه بالعبادة والخشوع والخضوع ، وهو المستحق وحده للحمد والشكر ، والذكر والدعاء والرجاء ، والخوف وغير ذلك ، والعبادة كلها لا يصح أن تكون الا لمن له الخلق والأمر كله .(٥)

---

(١) سورة الأعراف / ٥٤
(٢) سورة الفاتحة / ٢
(٣) سورة الجاثية / ٣٦
(٤) سورة الأنعام / ٧١
(٥) انظر تفسير الطبري / جـ ٥ ص ٣٩٥ ، الفقه الأكبر شرح / ملا علي القاري /ص ٩

الثاني : ـ ان الخالق المالك المدبر هو الجدير وحده بصفات الجلال والجمال والكمال ، لأن هذه الصفات لا تكون الا لرب العالمين ، اذ يستحيل ثبوت الربوبية والملك والسيادة لمن ليس بحي ولا سميع ولا بصير ، ولا قادر ، ولا متكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم في أقواله وأفعاله .(١)

وهذا التوحيد وحده لا يكفي العبد اذا لم يؤمن بأنواع التوحيد الاخرى ، فالمشركون في الجاهلية ذكر الله عنهم اقرارهم واعترافهم بالخالق رب العالمين ، ولكنهم لم يتوجهوا اليه بالعبادة وحده فلم ينفعهم .(٢)

توحيد الالوهية :ـ

ومعناه اجمالا ان يعتقد العبد جازما ، ان الله تعالى هو وحده المعبود المطاع دون غيره .

فهو الاله الحق ، ولا اله غيره ، والاله هو من تألهه القلوب محبة وخشية وطاعة.(٣)
فليس هناك شركاء في العبادة يتجه اليهم الناس .

لا عبادة في الشعائر ، ولا عبادة الخضوع والدنيونة ، فلا عبادة الا لله ولا طاعة الا له سبحانه ولمن يعمل بأمره وشرعه ، فيتلقى سلطانه من هذا المصدر الذى لا سلطان الا منه .

---

(١) فتح المجيد ص ١٣ ، الأسئلة والاجوبة الاصولية / ٢٩ - ٣٠ - الايمان ـــ لمحمد نعيم ياسين / ص ٧

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية / ٧٩ ، قصيدة ابن القيم ج ٢ / ٢٥٩ . اغاثة اللهفان ج ٢ / ١٢٨ ، الايمان محمد نعيم ياسين / ٦ - ٢٢ لمن أراد التوسع .

(٣) اله : على وزن فعال بمعنى مفعول ، أى مألوه ، مثل كتاب بمعنى مكتوب، انظر المصباح المنير ، طريق الوصول الى العلم المأمول / ١٢

وتوحيد الالوهية مبني على اخلاص العبادة لله وحده في ظاهرها وباطنها ، بحيث لا يكون منها شيء لغيره سبحانه ، فالمؤمن بالله يعبد الله وحده ولا يعبد غيره ، فيخلص لله المحبة والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والطاعة والتذلل والخضوع ، والذبح والنذر وجميع أنواع العبادة والقربات وأشكالها .

وهذا النوع من التوحيد يتضمن في حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى فيتضمن توحيد الله في ربوبيته ، وتوحيده في اسمائه وصفاته ، وليس العكس ، فان توحيد العبد لله في ربوبيته لا يعني انه يوحده في الوهيته كما أسلفنا . فقد يقرر بالربوبية ، ولا يعبد الله عز وجل وحده .

وكذلك توحيد الله في اسمائه وصفاته لا يتضمن أنواع التوحيد الأخرى ، ولكن العبد الذى يوحد الله في الوهيته على الخلق ، فيقر انه سبحانه هو ، وحده المستحق للعبادة ، وان غيره لا يستحقها ، ولا يستحق شيئا منها ، يقر في الواقع بان الله رب العالمين ، وبان له الأسماء الحسنى ، والصفات الكاملة ، لأن اخلاص العبادة لا يكون لغير رب العالمين ، ولا يكون لمن فيه نقص اذ كيف يعبد من لم يخلق ، ولم يدبر أمر الخلق ، وكيف يعبد من كان ناقصا . (١)

ومن هنا كانت شهادة ان لا اله الا الله متضمنه لجميع أنواع التوحيد ، فمناطها المباشر توحيد الله في الوهيته ، الذى يتضمن توحيد الله في ربوبيته واسمائه وصفاته .

من أجل ذلك كان هذا التوحيد أول الدين وآخره ، وباطنه وظاهره ، ومن أجله خلقت الخليقة :

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) . (٢)

---

(١) انظر شرح الطحاوية / ٧٩ وما بعدها .

(٢) سورة الذاريات / ٥٦

يقول ابن تيمية رحمه الله (وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين ، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة فمن لم يأت به كان من المشركين .[1]

ومن أجله ارسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، فما من رسول أرسله الله الى العباد الا وكان هذا التوحيد أساس دعوته وجوهرها قال عز وجل : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) .[2]

وقال سبحانه : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) .[3] [4]

توحيد الأسماء والصفات :-

ونعني به : ان نعبد الله عز وجل باسمائه الحسنى وصفاته العلى ، التي وردت في الكتاب والسنة بما سمى الله بها نفسه أو وصفها بها ، أو ما ورد على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

وذلك باثبات ما أثبته سبحانه لنفسه ، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ، من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة ، من غير تحريف ألفاظها أو معانيها ، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله عز وجل ، ولا تكييفها بتحديد كنهها واثبات كيفية معينة لها ، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين ، قال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .[5]

---

(١) رسالة الحسنة والسيئة لابن تيمية ، ضمن مجموعة رسائل / ص ٢٦١

(٢) سورة النحل / ٤٠

(٣) سورة الأنبياء / ٢٠

(٤) انظر : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، محمد الأمين الشنقيطي ٣ - ٢٥ . والروضة الندية / ٣٢ . الايمان - لمحمد نعيم ياسين / ١٣

(٥) سورة الشورى / ١١

وواضح مما ذكرنا في التعريف السابق : ان توحيد الأسماء والصفات يقوم على ثلاثة أسس (١)، من حاد عنها لم يكن موحدا ربه في أسمائه وصفاته -

الأول :- تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الخلق وعن أي نقص .

الثاني :- الايمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة ، دون تجاوزها بالنقص منها ، أو الزيادة عليها أو تحريفها أو تعطيلها .

الثالث : قطع الطمع عن ادراك كيفية هذه الصفات -

ونفصل في هذه الأسس بعض الشيء توضيحا للصورة :-

فالأساس الأول : - يقتضي تنزيه الله عز وجل أن يشبه شيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين . وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى : (ليس كمثله شيء) (٢) وقوله (ولم يكن له كفوا أحد) (٣) وقوله عز وجل : (فلا تضربوا لله الأمثال) (٤) .

يقول القرطبي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : (ليس كمثله شيء)

(والذي يعتقد في هذا الباب ، ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه ، وملكوته وحسنى اسمائه ، وعلي صفاته ، لا يشبه شيئا من مخلوقاته ، ولا يشبه به ، وما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي ، ان صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق (٥)) .

---

(١) منهج ودراسات ، للشنقيطي - ص ٣ - ٢٥ .
(٢) سورة الشورى / ١١
(٣) سورة الاخلاص / ٤
(٤) سورة النحل / ٧٤
(٥) تفسير القرطبي : ١٦ / ٨

ويقول سيد قطب رحمه الله عند تفسير الآية المذكورة :-

(والفطرة تؤمن بهذا بداهة ، فخالق الأشياء لا تماثله هذه الأشياء التي هي من خلقه) . (١)

ويدخل في هذا الأساس تنزيه الله سبحانه عن كل ما يناقض ما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فتوحيد الله في صفاته يقتضي المسلم أن ينزه ربه عن الزوجيه والشريك والكفء والظهير والشفيع (بدون اذنه) والولي من الذل ، ويقتضيه أن ينزه الله عن النوم والاعياء والتعب والموت والجهل والظلم والغفلة والنسيان والنعاس والتحيز وغير ذلك من صفات النقص . (٢)

والأساس الثاني :-

يقتضي وجوب الاقتصار في باب الصفات والأسماء على ما صح به النقل كتابا وسنة ، فهي متوقفة على ما صح به السمع لا على آراء الأشخاص ، فيجب الرجوع اذا في باب الأسماء والصفات نفيا واثباتا الى ما أخبر به الله عز وجل وما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال الامام أحمد رحمه الله :

(لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ، لا يتجاوز القرآن والحديث) (٣)

وهذا يقتضي الايمان بها دون تأويل ، ولا تعطيل ، ولا تحريف .

والايمان بكل الصفات الواردة يشمل الصفات بنوعيها :-

أ- صفات الذات :-

وهي الصفات التي لا تنفك عن ذات الله تعالى مثل :

---

(١) تفسير في ظلال القرآن جـ ٧ / ٢٧٢

(٢) الايمان لمحمد نعيم ياسين / ١٤

(٣) الروضة الندية / ص ٢٢ / شرح العقيدة الواسطية / ٢١

النفس ،العلم ، الحياة ،القدرة ،السمع ، البصر الكلام ، الوجه ، القدم ، الملك ، العظمة ، الكبرياء ، العلو ،الغنى ، الرحمة ، الحكمة .

ب ـ صفات الفعل :ـ

وهي الصفات التي تتعلق بمشيئة الله وقدرته . كالاستواء ، والنزول ، والمجيء ، العجب ، الضحك ،الرضى ، الغضب ، الحب ، الكره ،الفرح ، الغضب ، المكر، والكيد والمقت .(١)

والأساس الثالث :ـ

يقتضي من المكلف ان يؤمن بتلك الصفات والأسماء الواردة في النصوص ، من غير سؤال عن كيفيتها ، ولا بحث عن كنهها .

وذلك لان معرفة كيفية الصفة متوقف على معرفة الذات ،لان الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها ، وذات الله سبحانه لا يسأل عن كنهها وكيفيتها فكذلك صفاته سبحانه لا يصح السؤال عن كيفيتها .(٢)

ولذلك أثر عن السابقين من سلف هذه الأمة عن كثير منهم ، عندما سئلوا عن كيفية استواء الله على عرشه ،انهم قالوا :ـ

(الاستواء معلوم ،والكيف مجهول ،والايمان به واجب ،والسؤال عنه بدعة) .(٣)

فاتفقوا على أن الكيف غير معلوم لنا ،وان السؤال عنه بدعة .

---

(١) انظر الأسئلة والاجوبة الاصولية / ٤٨
والفقه الأكبر / ١٥

(٢) منهج ودراسات ... ـ للشنقيطي ـ / ٢٥ . الروضة الندية / ٢٣

(٣) انظر الروضة الندية / ٢٩

آثار الايمان بالله على النفس والمجتمع

أولا :- اتساع افق المؤمن واستنارة بصيرته :-

كما قال تعالى : (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) (١)

فالايمان بالله تعالى يفتح آفاق النظر ، ويفسح الأفق امام الذهن والفكر ، وذلك بما يؤمن به من عالم الغيب والشهادة .

فالمؤمن بالله يكتسب علما مزدوجا :-

علم عالم الشهادة :- فيمنحه الله عز وجل فرقانا وبصيرة ونورا ، يكشف له مجاهيل الحياة ويعمرها على أساس من هداية الله (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) (٢) .

ولقد زخرت الآيات الكريمة التي تحث على التفكر في ملكوت الله ، وتدبر آياته المبثوثه في أرجاء المعمورة : مثل قوله تعالى :

(قل انظروا ماذا في السماوات والأرض) (٣) .

قوله تعالى : (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون) (٤)

فالمؤمن بالله يستجيب لأوامر الله في أعماله عقله وفكره فيما حوله من الآيات ليزداد علما وسعة وايمانا .

---

(١) سورة الأنعام / ١٢٢

(٢) سورة التغابن / ١١

(٣) سورة يونس / ١٠١

(٤) سورة الذاريات / ٢٠

أما علم عالم الغيب :- فان المؤمن بالله قد خرج من سجن فكرى ، وعمى ذهنى وقلبى ، وتجاوز بفكره عالم الشهادة ، ليؤمن بكل ما غاب عن حسه مما أخبره به ربه ، فهو يؤمن به كالمحسوس دون تردد أو شك ، بل قد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المرتبة من التصديق ، أعلى الدرجات وسماها الاحسان ، وفسرها : بأن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) (١)

وكذلك فان المؤمن بالله يؤمن بملكوت الله في كل شيء من سماوات سبع ومن الأرض مثلهن ، ومن عرش ومن كرسي وملائكة وغير ذلك .

وكل ذلك تكريم لهذا الانسان ، ورفع من مستوى انسانيته الى أفق سامق سام .

أما غير المؤمنين ممن يعيشون في الجحور الدنيوية والأقفاص المادية المجردة ، فهؤلاء قد اصيبوا والعياذ بالله بمسخ في فكرهم ، وتشوه في تصورهم ، وبالتالى فان الشرك والكفر امتهان للانسان وسحق للكرامة ، وحكم عليها بالفناء والضياع ، فهم يعيشون العمى والضلال ، ويتيهون في صحارى الضياع والشرود يخبطون بلا دليل ، ويسيرون بلا هداية الا هداية الشيطان الذى يهديهم الى صراط الجحيم ، ، (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (٢) وفي الحديث ((اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) (٣) .

---

(١) في الحديث الصحيح المتقدم الذى رواه الامام مسلم في صحيحه جـ ١ ص ٢٩ .

(٢) سورة النور / ٤٠

(٣) حديث رواه الترمذى في تفسير سورة الحجر انظر تحفة الأحوذى جـ ٨ / ٥٥٥ .

ثانيا : الايمان بالله يقي النفس من الأمراض المهلكة ويبعدها عن الغرور :-

أجل ان الايمان بالله الواحد الأحد العليم الحكيم القوى المتعالى ، يربي عند الانسان التواضع ويلزمه حدوده ، ويبعده عن التطرف أو الاغترار بأى صفة من صفاته الانسانية مهما عظمت وتفوق فيها على بني جنسه .

فاذا اغتر بقوته وأراد البطش أو الظلم ، ذكر قدرة الله عليه ، (وهو القاهر فوق عباده) (١) وانه هو الذى يحيي ويميت .

واذا اغتر بماله ، وأسرف واستهتر وبطر وتكبر :

ذكر ان الله هو الغني ، وهو الذى وهبه المال (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد) (٢) وذكر عقاب الله لمن اغتر بماله وثروته ، أمثال قارون ، الذى انقلبت نعم الله عليه نقما لأنه لم يشكر الله ، فخسف الله به وبأمواله وداره الأرض ، ذكر المؤمن ذلك فعاد الى صوابه فخشي ربه ، وعاد الى السخاء والبذل والتضحية والتودد الى عباد الله (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) (٣)

واذا اغتر بعلمه ، فظن انه بلغ الكمال ، نظر الى الكون الكبير الذى هو جزء من علم الله ، وقرأ قوله تعالى (وفوق كل ذى علم عليم) (٤)

واستمع الى قوله تعالى (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) (٥)

---

(١) سورة الأنعام ١٨ - ٦١

(٢) سورة فاطر -١٥-

(٣) سورة الحديد -٧-

(٤) سورة يوسف - ٧٦ -

(٥) سورة الأنعام -٥٩-

وتذكر قصة ابليس حيث كان أعلم الملائكة ، لكنه المطرود الملعون لتكبره على ربه ، واغتراره بعلمه ، فعلم ان العلم الحقيقي ليس بكثرة الرواية وانما العلم الخشية من الله تعالى .

فارتد الى نفسه صاغرا متواضعا يطلب المزيد من المعرفة ويدعو ربه أن يزيده علما .

وبذا نضمن اصابة المجتمع المسلم المؤمن بالله، بأمراض فتاكه مثل العجب والغرور ، أو البطر والاسراف ، وهذه الأمراض الاجتماعية اذا اجتاحت مجتمعا فتكت به ، وقوضت أركانه وفرقت صف أبنائه ، ومزقتهم وأحلت بساحتهم الهزائم والنكبات .

ثالثا :- الايمان بالله ، يؤثر الجدية في الفرد والأمة ، والعمل والسعي :-

ذلك ان الايمان بالله عز وجل ، وافراده سبحانه وتعالى بالالوهية ، يقتضي من المؤمن الجدية في الأمور وطرح الأماني والآمال الزائفة لعلمه ان الايمان لا يثبت للشخص بمجرد دعاوى وتمنيات دون عمل يدل على هذا الايمان، وانما الايمان ما كان نابعا من القلب وصدقه العمل .

والله تعالى لا تنفع عنده الشفاعة من احد الا لمن ارتضى من بعد اذنه ، فليس لله قرابة مصاهرة أو نسب ، ولا رابطة ابوة ، أو صحبة سابقة لأحد من الخلق أجمعين ، كل هذا يجعل المسلم المؤمن جادا عمليا ، وكيسا فطنا ، يدأب في عبادته لله ليتخذها قربة الى الله ، تاركا العجز والتمني الفارغ للعاطلين ، واضعا نصب عينيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)[1] .

---

(١) رواه ابن ماجه في باب الزهد ، والترمذي في باب القيامة

وقوله تعالى : (وان ليس للانسان الا ما سعى) النجم / ٣٩ .

وكل ذلك يدل على أن الايمان بالله تعالى هو عنصر ايجابي في حياة الانسان ، يدفعه الى العمل والحركة لتحقيق عبودية الله في الأرض ولتحقيق مقتضى استخلافه في الأرض واستعماره اياها .

في حين ان الشرك والكفر عنصر تثبيط وسلبية للانسان وحركته ، ورمزا للتواكـــل ، وعدم الأخذ بالاسباب ، وذلك لما يعلم اتباعه من الاتكال على الشفعاء والوسطـــاء ، التي ستتوسط لهم اذا عصوا ، وانحرفوا .

وكذلك من الاعتماد على الهتهم ومعبوداتهم الذين سيشفعون لهم عند اللـــه اذا اذنبوا .

وكان هذا اعتقاد مشركي العرب في آلهتهم وأصنامهم كما قال تعالى :

(ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنـــا عند الله) (١) .

ومثل هؤلاء النصارى الذين يعملون ما شاء لهم الهوى من المنكرات والمفاسد في الأرض ، معتمدين على اضاليلهم من أن المسيح عليه السلام ، قد صلب وقـدم نفسه فداء للبشرية .

وقال تعالى : (ليس باما نيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به) (٢) والأمة المسلمة اليوم مدعوة أكثر من أى وقت مضى لتنفض عن نفسها غبار القرون ، وان تزيح ما ران على عيونها من الغشاوة ، وعلى قلبها من الران ، لتبصر ، وليستيقظ قلبها ، دافعا اياها لكي تلم شعثها ، وتعرف ربها حق المعرفة ، وترص صفوفها ولتعرف تمام المعرفة ان سنن الله عز وجل تعمل وتقف في جانب مـن

---

(١) سورة يونس - ١٨ -

(٢) سورة النساء - ١٢٣ -

يعمل حتى ولو كان أحد خلق الله أمثال يهود ، وان سنن الله عز وجل لا تعمل ولا تقف في جانب من كسل ونام ولم يعمل حتى ولو كانت الأخيرة خير أمة أخرجت للناس .

رابعا :- الايمان بالله يحقق التوازن في الحياة وفي الناس :

ان المؤمن بالله ، اذا آمن بالله حق الايمان يكون متزنا في فكره ، متزنا في سلوكه ، ذلك انه بايمانه بربه/واهتدائه بهداه ، فان الله عز وجل يزكي نفسه ويهذبها ويضبطها فيكون ذا شخصية متزنة ، وذلك لأن وجهتها في الحياة قد تميزت ، وغايتها قد اتحدت ووضحت ، وطريقها كذلك قد تحددت معالمها .

فليس لها سوى اله واحد تتجه اليه في سرها وعلانيتها ، وهذا خلاف المشرك الذى تقسمت الآلهة قلبه ، وتشتت أفكاره ازاء رغبات آلهته المختلفة سواء كانت اله المال أو إله الشهوات أو اله الهوى أو انها من حجر أو طاغوتا من بشر ، فكل ذلك يدمر الشخصية الانسانية ويفنيها في حلبة الصراعات وتصادم الآراء والارادات .

ومن هنا قال يوسف عليه السلام مقررا هذه الحقيقة :

(ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) (١) .

وقال تعالى موضحا فارق ما بين المؤمن الموحد ، والمشرك الذى تقسمته الأرباب (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ، ورجلا سلما لرجل ، هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون) (٢) .

---

(١) سورة يوسف -٣٩-

(٢) سورة الزمر - ٢٩ -

(فمثال العبد الموحد والعبد المشرك - مثال العبد الذى يملكه شركاء يتخاصم بعضهم بعضا فيه ، وهو بينهم موزع ، ولكل منهم فيه توجيه ، ولكل منهم عليه تكليف ، وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ، ولا يستقيم على طريق ، ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة ، المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه . . . وعبد يملكه سيد واحد ، وهو يعلم ما يطلبه منه ، ويكلفه به ، فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح .

(انهما لا يستويان ، فالذى يخضع لسيد واحد ينعم براحة الاستقامة ، والمعرفة واليقين ، وتجمع الطاقة ووحدة الاتجاه ، ووضوح الطريق ، والذى يخضع لسادة متشاكسين متخاصمين معذب مقلقل لا يستقر على حال ، ولا يرضي واحدا منهم فضلا على أن يرضي الجميع) (١) .

والتوازن كذلك تتضح صورته في علاقة العبد بربه فيكون متوازنا بين الخوف والرجاء، بين موحيات الخوف من عذاب الله والفرق من عقابه والرهبة والاستهوال ، وبين موحيات الرجاء والأمل في رحمة الرحمن والطمأنينة والانس بجلال الله .

وذلك ان المؤمن بالله يقرأ في القرآن من صفات الله ما يخلع القلوب ويزلزل الفرائض ويهز الكيان مثل : (ان بطش ربك لشديد) (٢) .

وقوله تعالى (والله عزيز ذو انتقام) (٣) وقوله (واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب) (٤)

---

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب ج ٦ / ٣٠٤٩

(٢) سورة البروج / ١٢

(٣) سورة آل عمران / ٤

(٤) سورة البقرة / ١٩٦

وقوله تعالى : (وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ، ان لدينا انكالا وجحيما ، وطعاما ذا غصة وعذابا اليما ، يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا) (*) . ويقرأ من صفات يوم القيامة ما يملأ قلبه رعبا وهيبة من ربه .

ويقرأ المسلم كذلك من صفات ربه ، ما يملأ قلبه طمأنينة وراحة ، وروحه أنسا وقربا ، ونفسه رجاء وأملا ، من مثل قوله تعالى :

(واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان) (١)

وقوله تعالى (وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم) (٢)

وقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) (٣)

(وهو الغفور الودود) (٤) وهكذا يقع التوازن في الضمير بين الخوف والطمع والرهبة والانس ، والفزع والطمأنينة ، ويسير الانسان في حياته يقطع الطريق الى الله ثابت الخطو ، مفتوح العين ، حي القلب ، موصول الأمل ، حذرا من المزالق ، صاعدا ابدا الى الأفق الوضيء ، لا يستهتر ولا يستهين ، ولا يغفل ولا ينسى ، وهو في الوقت نفسه شاعر برعاية الله وعونه ورحمة الله وفضله . (٥)

وفي هذا توازن بين ترك الغرور ، والتسلح بالأمل والرجاء ، فالمؤمن مع الله دائما ، والله عز وجل يكلؤه برعايته وعنايته ، فان اخطأ أو انحرف بادر الى التوبة والانابة الى خالقه ، ولا ييأس ولا يقنط من رحمة ربه لعلمه ان الله واسع المغفرة .

(*) سورة المزمل - ١١ - ١٤ -

(١) سورة البقرة - ١٨٦ -

(٢) سورة البقرة - ١٤٣ -

(٣) سورة مريم - ٩٦ -

(٤) سورة البروج - ١٤ -

(٥) راجع خصائص التصور الاسلامي - فصل التوازن

وأخيرا فان المؤمن بالله حق الايمان يحقق التوازن بين دنياه واخراه ،فلا يهتم بالدنيا اهتماما يملك عليه قلبه وعقله ،وينسى اخراه وواجباتها .

ولا هو كذلك ينقطع عن دنياه وعن متعها ويزهد في كل ما يتصل بها ، أو يقبع في محرابه متعبدا طول وقته .

ولكنه يعمل للآخرة ولا ينسى نصيبه من متاع الدنيا وزينتها ،وهذا ولا شك كمال العبودية لله .

(وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)(١)

فيعيش معتدلا متزنا في تصوره ، وسلوكه ، وشخصيته واهتماماته وهذه ولا شك من مقومات وجود الانسان الصالح في الحياة .

---

(١) سورة القصص / من آية - ٧٧-

خامسا: تحديد الولاء والبراء :

ان توحيد الله عز وجل ، والايمان بأن ما جاء به هو الحق الذي يجب اتباعه ، ومعاداة اعدائه ، هذا الايمان على هذا النحو يقتضي من المؤمن أن يحدد ولاءه ونصرته ، فينخرط في صف حزب الله ، ويعتز به ويؤيده ويؤازره .

وهذا الولاء يقتضي البراء من حزب الشيطان ، ومعاداة من عادى الله ورسوله والذين آمنوا ، لأن ذلك دليل صادق ، ومحك عملي لاختبار ايمان العبد .

فالمؤمنون هم حزب الله والله وليهم ، والكافرون لا مولى لهم ، وأي شيء أعظم من الانتساب والانتماء الى خالق الكون ومذل الجبابره ، ومالك الموت والحياة والبعث والنشور والجزاء .

(ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون)(١) .

وقضية الولاء ليست قضية نافلة أو هامشية ، ولكنها قضية كبرى في حياة المسلم ، وهي من القضايا المتصلة بعقيدته ذلك ان هناك صفين لا ثالث لهما أما صف المؤمنين واما صف الكافرين .

اما حزب الله ، واما حزب الشيطان

اما الجاهلية ، واما الاسلام ، اما الحق واما الباطل .

فالايمان بالله حقا يقتضي من المؤمن أن يكفر بكل ما سوى الله من طواغيت أو معبودات بشرية ، أو حجرية ، أو مناهج أو تشريعات وضعية ، ثم ينضم لصف المؤمنين مستظلا براية حزب الله يشد أزر اخوانه المؤمنين ، ويكثر سوادهم .

قال تعالى : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)(٢)

---

(١) سورة المائدة / ٥٦

(٢) سورة البقرة / ٢٥٧

وهكذا تتحدد شخصية المؤمن بالله ، ويتضح فكره ، ويتحقق توحيده لله بعدم خضوعه لاحد سواه ، أو منهج غير منهجه المستقيم .

ولاجرم فقد جعل الله هذا الولاء لله ورسوله والذين آمنوا فوق ولاء الابوة والقرابة والرحم : قال تعالى :

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ..) (١)

سادسا : الايمان بالله : هو الطريق الوحيد لتحرير البشر :-

ان الايمان بالله هو دعوة جادة صريحة الى تحرير البشر من كل العبوديات التي تتحكم في سيرهم الا العبودية للواحد القهار .

فالايمان طريق الى تحرير عقل الانسان وفكره من الخرافات والأوهام والبدع التي شوهت نقاء وصفاء الأديان على مر التاريخ البشري وبالتالي فانها هبطت بمستوى الفكر الى الحضيض ، وكان لها مع ذلك آثارها السلبية التي كان دورها واضحا في تأخر المسلمين عن ركب الحياة ، وتقاعسهم عن تسلم قيادتها وريادتها ، الأمر الذي أدى بالأمة الى أن تساق وتقاد وتصبح في ذيل القافلة وعلى هامش التاريخ ردحا من الزمان .

فالخرافات والأوهام اذا سيطرت على البشر فان من شأنها أن تجعل الانسان العملاق في هذا الوجود قزما صغيرا ذليلا ، يتحكم في مسيره وسلوكه طير أو حجر أو خط برمل أو طير أو ما شابه ذلك ، وهذا ولا شك عبودية لارادته وحريته لغير الله تعالى .

---

(١) سورة المجادلة -٢٢-

فالاسلام يريد بمحاربه الخرافة أن يفسح الطريق للانسان مزيلا الأوهام والأباطيل في الاعتقاد ، ليكون ذا تفكير سليم ، وعلم صحيح وذا ايجابية في الحياة ، ويريده أن يكون فردا قويا حرا في تصوره وادراكه ، يريده سيدا على نفسه غير مسلوب الارادة أو يتحكم به حيوان لا يعقل أو حظوظ صماء تنافي الأخذ بالأسباب .

يريده غير ذليل ، وغير هياب في ارتياد سبل الحياة ، يريده اذا خضع في عبادته ان يخضع لله وحده ، ويعبده ولا يشرك في عبادته احدا .

(قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ، قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين) . (١)

والايمان بالله كذلك دعوة الى التحرر من الأهواء والعادات والتقاليد التي تحكم سير الانسان ، وتوجه ارادته فيصبح لها حق الطاعة والخضوع عليه ، وهذا فيه نوع شرك فهو من الطاعة لغير الله والعبودية لسواه .

(ارأيت من اتخذ الهه هواه افأنت تكون عليه وكيلا) (٢)

وذلك يشمل تحرير ضميره من الخضوع والاستسلام لغير الخالق عز وجل وتحرير كذلك لحياته من تسلط الفراعنة والأرباب والمتألهين من البشر ، ولهذا قاوم زعماء الشرك وطغاة الجاهلية ، دعوات الأنبياء عامة ، ودعوة رسولنا صلى الله عليه وسلم خاصة ، ذلك انهم كانوا يعلمون معنى (لا اله الا الله) وانه اعلان لتحرير البشر ، واسقاط الجبابرة من عروش تألههم الكاذب ، واعلاء لجباه

---

(١) سورة الأنعام - ٥٦ - وانظر كتاب الاسلام في حياة المسلم - لمحمد البهي - ١٦٧ - ١٦٩ .

(٢) سورة الفرقان / ٤٣

المؤمنين ، فلا تطأطىء الا ساجدة لله رب العالمين) (١)

وأخيرا فالايمان بالله تحرير للانسان من أن يكون رقيقا لتأثير غرائزة الدنيا ، وشهواته الهائجة ، والتي تهبط به الى مستنقعات الفحش والقذارة ، فيتلوث من جرائها جسمه وعقله وقلبه ، ولا يعود يرى الا من خلال تلك النافذة الدنيئة ، والاعتبارات التافهة ، فيسجن اراداته في مطالب بطنه وفرجه فحسب ولا يتصرف الا من خلالها .

ويسجن قلبه عن ذكر الله وطاعته ، وتلك لعمرى هى القاضية القاصمة ، ان يسجن القلب عن ذكر ربه ، ويحبس العبد عن طاعة مولاه .

فالايمان بالله حقا وصدقا هو الطريق الوحيد والصحيح لمبادىء التحرر ، بكل أنواعه وأشكاله ، وبصدق التوجه والاخلاص لله عز وجل تسقط كل أشكال العبوديات ، بحيث لا يتحكم بالانسان أى هوى وضيع أو مسلك منحرف ضال .

وفي المقابل نجد أن الشرك والكفر وكر للخرافات والأباطيل ، ومصدر للشعوذة والدجل ، فاستعراض بسيط لمجتمعات الأديان المنحرفة تتضح هذه الظاهرة بكل سفور فالمجتمع البوذى يعج بأنواع الخرافات والشعوذات والسحر ، وأساليب العبادة المضحكة التي ما أنزل الله بها من سلطان .

وحتى أهل الكتاب من اليهود والنصارى شاع بينهم ذلك الدجل فمن صكوك الغفران الى فكرة العشاء الرباني ، الى أساطير اليهود وقصصهم عن أنبيائهم وربهم كما يزعمون ، كل ذلك لما حرفوا دينهم ، وكفروا بالله ، تاهت عقولهم في غياهب الضلال وخبطت بلا دليل .

---

(١) حقيقة التوحيد - للقرضاوى - ٧٩

ذلك لأن الذى يعتقد بوجود خالق أو موثر غير الله في الكون من الكواكب أو الجن أو الأشباح أو الأرواح أو غير ذلك ، يصبح عقله مستعدا لقبول كل خرافة وتصديق كل دجال ، وبهذا تروج فى المجتمع المشرك أو الجاهلي بضاعة الكهنة والعرافين والسحرة والمنجمين ، وأشباه هؤلاء ممن يدعون معرفة الغيب أو الاتصال بالقوى الخفية في الوجود .

كما يشيع في مثل هذا المجتمع اهمال الاسباب والسنن الكونية ، والاتكال على التمائم والرقى الشركية والسحر والتولة ونحوها . (١)

<u>سابعا :</u>

الايمان بالله يحقق الحياة السعيدة :-

ان السعادة لا تحقق بتحصيل اقصى اللذائذ المادية ، أو بتحقيق معسول الأماني ، من عيش رغيد ، ورفاهية عيش ، أو مال وفير ، أو منافع مادية الى غير ذلك من مقاييس السعادة عند الناس .

وما ذكرناه ظاهرة ، بل حقيقة ثبتت للعقلاء ولم تعد في حاجة الى تدليل أو برهان .

ان ما تحياه شعوب أوروبا وأمريكا اليوم من حياة الترف والغنى والمدنية الحديثة ، وما حققته تلك الدول لشعوبها من حرية وضمان للحقوق وكفاية للعيش ، لكنها مع كل ذلك لم تجلب لهم السعادة والطمأنينة ، ولا زالت أرواحهم ميتة ، ونفوسهم ظامئة ، وحياتهم في شقاء وتعاسة ، يطوقهم الضيق والانقباض ، وتعلوهم كآبة وحزن ، وترهقهم ذلة ، وما أسرع ما يتخلصون من ذواتهم تلك المحطمة المدمرة بالخلاص من الحياة ... بالانتحار !!

---

(١) حقيقة التوحيد - للقرضاوى - ٨٦ -

وصدق الله جل وعز (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ،انما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)[1] .

ذلك أن هناك عنصرا مهما قد نقص من حياتهم ، واسقطوه من حساباتهم الا وهو (الايمان) بالله والعقيدة الصحيحة .

ان الايمان بالله عز وجل ،والديمومة لمنهجه وصراطه في الحياة ،هو منبع السعادة ومستقرها ،وايما قلب عمره الايمان ،وتفاعل معه بصدق فانه لا سبيل لتعاسة اليه ولا مجال فيه لشقاء أو نكد الا باذن الله .

ذلك لأن السعادة كما قلنا في الايمان ،والايمان في القلب ، والقلب لا سلطان لأحد عليه سوى الله خالقه .

والايمان بالله تبارك وتعالى يفجر في قلب الانسان ينابيع وروافد للسعادة لا تغيض ولا تنقطع ما دام هناك ايمان بالله ،وأهم هذه الروافد السكينة والأمل والأمن النفسي ، وهاك كلمة عن كل رافد باختصار .

الايمان والسكينة :-

السكينة بيد الله تباركت أسماؤه ، وهو منزلها كرامة لعباده زيادة لايمانهم ، وتثبيتا لهم : - قال عز وجل :

(هو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم)[2]

فالايمان بالله واليوم الآخر هو المصدر الوحيد للسكينة ،الايمان الصادق العميق الذى لا يكدره شك ،ولا يفسده نفاق .

---

(١) سورة التوبة -٥٥ -

(٢) سورة الفتح - ٤ -

هذه السكينة روح من الله ونور ، يسكن اليه الخائف ويطمئن عنده القلق ، ويتسلى به الحزين ، يستروح به المتعب ، ويقوى به الضعيف ويهتدي الحيران .

هذه السكينة نافذة على الجنة ، يفتحها الله للمؤمنين من عباده ، منها تهب عليهم نسماتها ، وتشرق عليهم أنوارها ، ويفوح شذاها وعطرها ، ليذيقهم بعض ما قدموا من خير .

والمؤمن يحصل على السعادة من طرق كثيرة ـ

يحصل عليها بتوافقه مع فطرة الله في الكون والحياة ، ومن انسجامه مع نواميس الله في مخلوقاته ، فيعيش في سلام ووئام مع طاقاته وغرائزه ومع الكون من حوله .

ويحصل على السكينة من معرفته لغايته في الحياة ، ووظيفته في هذه الدار ، ومعرفته لمبدئه ومنتهاه ، والتزامه دعوة الله وانضمامه الى حزب الله المفلحين .

يحصل على السكينة من الصلاة الخاشعة بين يدي ربه الرحمن البر الرؤوف الرحيم كلما حزبه أمر ، أو انتابه مكروه فزع الى ربه فيرتاح ويستريح ، ويطمئن ويحس ببرد اليقين ، وحلاوة الايمان .

يجدها ويفوز بها المؤمن المستقيم على أمر ربه ، والملتزم حدوده ، والعارف بربه ، والمعتقد لكبرى اليقينيات عن طريق القرآن والسنة في يسر ووضوح ، تاركا طريق الفلسفة الكلامية ، والجدال والمنطق الفارغين ، والطرق الكلامية المذمومة ، كما وجدها وعثر عليها الفخر الرازي في اخريات حياته حين قال :

(لقد تأملت الكتب الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تروي غليلا ولا تشفي عليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن ، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي) . (١)

---

(١) أقسام اللذات ـ للفخر الرازي / انظر شرح الطحاوية /٢٢٢

وبين ذلك الامام ابن قيم الجوزية في كتابه مدارج السالكين : حين يقول :-

(في القلب شعث لا يلمه الا الاقبال على الله .

وفيه وحشة لا يزيلها الا الانس بالله .

وفيه حزن لا يذهبه الا السرور بمعرفته ، وصدق معاملته .

وفيه قلق لا يسكنه الا الاجتماع عليه ، والفرار اليه .

وفيه نيران حسرات لا يطفئها الا الرضى بأمره ونهيه ، وقضائه ، ومعانقه الصبر على ذلك الى وقت لقائه .

وفيه فاقة لا يسدها الا محبته والانابة اليه ، ودوام ذكره، وصدق الاخلاص له ، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدا) (١) .

الايمان والرضا :-

ومن أسباب وروافد السعادة الرضا .

والرضا نعمة روحية كبيرة ، لا يصل اليها جاحد أو شاك بالله عز وجل ، أو مرتاب في جزاء الآخرة ، انما يصل اليها من قوى ايمانه بالله ، وحسن اتصاله به .

وقد خاطب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله {فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى) (٢)

وأمتن عليه بقوله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) (٣) .

---

(١) من كتاب الايمان والحياة - للقرضاوى ص٨٤ - ٨٧ بتصرف .

(٢) سورة طه - ١٣ -

(٣) سورة الضحى - ٥ -

ومن هنا حدد الرسول صلى الله عليه وسلم ، مصدر الرضا الأصيل عندما قال : -

(ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا) (١)

فالمؤمن راض عن نفسه وعن ربه الكريم الذى يسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة وهو كذلك راض عن الكون والحياة ، لأنهما من خلق الله ، وتدبيره وعظمته .

وهو كذلك راض عن ربه ، لأنه آمن بكماله وجماله ، وأيقن بعدله ورحمته ، واطمأن الى علمه وحكمته ، أحاط سبحانه بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، ووسع كل شيء رحمة ، لم يخلق شيئا لهوا أو عبثا ، ولم يترك شيئا سدى ، له الملك وله الحمد ، نعمه عليه لا تعد ، وفضله عليه لا يحد ، فما به من نعمة فمن الله ، وما به من حسنة فمن الله كذلك ، وما أصابه من سيئة فمن نفسه ، يردد دائما هذا الثناء الذى ردده من قبل أبوه خليل الله ابراهيم عليه السلام : يقول :-

(الذى خلقني فهو يهدين ، والذى يطعمني ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتني ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) (٢) .

الايمان والأمن :-

قال تعالى : - (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) (٣) .

---

(١) رواه أحمد بن حنبل والترمذى في باب الايمان ، ومسلم في باب الايمان .

(٢) سورة الشعراء / ٧٧ - ٨٢

(٣) سورة الأنعام -٨٢-

فالايمان بالله عز وجل هو مصدر الامن النفسي والامان .

ذلك أن العقيدة في الله وحده لا شريك له تجعله شجاعا غير هياب ولا وجل ، وقد سكب فيه الايمان ان الامة كلها لو اجتمعت على أن تضره بشيء لم تضره الا بشيء كتبه الله عليه ، وتعلم واعتقد ان ما اخطأه لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه .

الٰهه المعبود واحد سبحانه صاحب القوة والجبروت والسلطان ، وبعد ذلك فكل الذى فوق التراب تراب .

فيقينه من انه في معية الله ملك الملوك من له الخلق والأمر ، كل ذلك جعله يستعلي بايمانه على كل المخاوف أو المغريات أو الشهوات أو حتى مكر اعداء الله مهما بلغ ، فاذا كان الله معه فمن عليه .

من هنا نرى مواقف المؤمنين الصادقين كيف كانت في قمة الشجاعة والثبات ، والاستعلاء على الباطل وأهله :-

فهذا نبى الله ابراهيم عليه السلام يتحدى قومه وأصحابه ، عندما كسر آلهتهم واصنامهم ، فخوفوه من تلك الآلهة :- فقال متعجبا :-

(وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ، فأى الفريقين أحق الامن ان كنتم تعلمون . . .) (١)

فالمؤمن بالله آمن على رزقه ، لايمانه ان الله قدر رزقه وهو جنين في بطن أمه .

وآمن على أجله المحدد عند ربه لا يتقدم ولا يتأخر اذا حان الأجل المسمى .

---

(١) سورة الأنعام - ٨١ -

وآثار ذلك كان واضحا في سلفنا رضي الله عنهم حيث كان الواحد منهم يذهب الى ميدان الجهاد ملبيا نداءه ،تاركا كل لذات الدنيا وشواغلها ، حاملا روحه على راحته ،متمنيا الموت في سبيل الله ونصر عقيدته ،وهو يعلم مع ذلك أن خلفه ذرية ضعاف لا مال ولا قوت ولكن يقينه بالله عظيم ان تركهم في رعاية ربه الرحمن الرحيم وهو سبحانه بهم برحيم .

ذاك لعمرى قمة الأمن ،وذروة الأمان النفسي الذى انعكس اقداما في الحياة وشجاعة وثباتا عند اللقاء .

الايمان والأمل :- (١)

من أكبر أسباب سعادة المؤمن في الحياة اضافة الى ما يتمتع به من أمن نفسي وسكينة وطمأنينة هو الأمل :-

الأمل ذلك النور الذى يبدد ظلمات اليأس والقنوط ،ويحيلها الى نور وضياء ، تهديه في مسالك الحياة .

الأمل يشرح الصدر للعمل ، ويوجد فيه دوافع الكفاح ودواعي الجهاد ، ويبعث فيه النشاط ،ويدفع عنه الكسل والملل ،يدعوه الى الجد والاجتهاد في تحقيق الأهداف .

ان الأمل عنصر مضمون في نفس المؤمن بالله ، في حين يفتقر اليه كل من لم يذق الايمان ولا حلاوته .

فالله تبارك وتعالى يدعو المؤمن للأمل والتفاؤل ، ويقرر له أن اليأس في دينه كفر :

(انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرين) . (٢)

---

(١) انظر الايمان والحياة ـ للقرضاوى ـ ص ١٥١ - ١٦١ -

(٢) سورة يوسف ـ ٨٧ -

ويخبره أن باب الرحمة واسع ولا قنوط من رحمته سبحانه :-
(ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) (١) .

وتشد الحاجة الى الأمل بالله ،عند اشتداد المحن والكربات ،وتكاثر الفتن والمحن على المؤمنين وحتى تشتد غربة المؤمن في داره وبين أهله ،فهنا ينير الله تعالى مصباح الأمل في قلوب عباده ، فيصبحون ينظرون الى نصر الله القريب وكأنه حقيقة ماثلة بين ناظريهم ، ولما علموه من ان الله ناصر عباده ودينه حقا ، فيكون ذلك دافعا لهم للثبات على طريقه وتحمل المحن والمشاق أملا بالنصر المبين .

فالمسلمون من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفترة المكية من عمر الدعوة ،لاقوا من قومهم سوء العذاب ،حتى جاء أحدهم وهو خباب رضي الله عنه يطلب من قائده رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم بالنصر العاجل والخلاص القريب ،قائلا له (الا تستنصر لنا الا تدعو لنا ؟) ويغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه العجلة من صاحبه ،وألقى عليه درسا في الصبر على بأساء اليوم ، والأمل في نصر الغد ، فقال : عليه الصلاة والسلام :-

(قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ،ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعله نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ، ما دون لحمه وعظمه ،ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) (٢) .

وهكذا نجد ان الايمان بالله تعالى هو أساس أصيل ومتين ووحيد للحياة الكريمة السعيدة المباركة الطيبة شعارها الحب والرضا ،وظاهرها السكينة وحداؤها الأمل .

---

(١) سورة الحجر - ٥٦ -
(٢) رواه البخاري .

هذه الحياة يعيشها كل مؤمن موحد بالرغم من قساوة العيش ومرارة الحياة ، ومكابدتها ، فانه يراها حلوة سعيدة بطاعة الله ، وبلذة مناجاته والانس بجلاله ، وهذا الكلام لا يفهمه الملاحدة أو الكافرون وكل من يعيش لغير مبدأ الدين الحق ، فيعيش لبطنه وشهوته حياة تافهة رخيصة .

ولا يعرفه كذلك من أعرض عن ربه ، وانحرف عن صراطه المستقيم ، فكان جزاؤه في الدنيا شقاء وتعاسة ونكد وتبرم وانتحار ، وكل ذلك عذاب الضنك الذي يسلطه الله على أعدائه :

(فأما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) (١) .

---

(١) سورة طه - ١٢٣ - ١٢٤ -

الفَصْلُ الثَاني

الإيمَانُ بالملائكة وأثره في النفس والمجتمع

الركن الثاني من أركان الايمـان
(١)
الايمان بالملائكـــة

========

والمقصود بالايمان بالملائكة :-

(هو الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وانهم لايعصون الله ما أمرهم ، وانهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيـــام بهــا) . (٢)

فهم نوع من المخلوقات ، لايصلح ايمان عبد حتى يؤمن بوجودهم ، وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بلا زيادة ولانقصان ولا تحريف .

حدود الايمان بالملائكة :-

والايمان بالملائكة يشمل الايمان :- بصفاتهم :-

(من حيث انهم لا ذكور ولا أناث ، وقد خلقوا من نور ، فهم أجســـام نورانية ، لا يأكلون ولا يشربون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمـرون ، يسبحون بالليل والنهار لايفترون ،

---

(١) يقول العلامة ابن حجر في معنى الملائكة (جمع ملك بفتح اللام) فقيـل مخفف من مالك ، وقيل مشتق من الالوكة وهي الرسالة) وهذا قـــول سيبويه والجمهور ، وأصله لأك .
وقيل اصله (الملك) بفتح الميم وسكون اللام ، وهو الأخذ بقوه ، واصـل وزنه (مفعل) ملأك فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال وظهرت فـــي الجمع ... وقال جمهور أهل الكلام من المسلمين : الملائكة : أجسام لطيفة ، اعطيت قدرة التشكل بأشكال مختلفة ، وسكنها السماوات) .
انظر فتح الباري جـ ٦ - ص ٣٣٢

(٢) انظر الأسئلة والاجوبة الاصولية . ص ٢١

والايمان بما ذكر منهم تفصيلا :

كجبريل ، وميكائل ، وملك الموت ، ونافخ الصور ، وحملة العرش ، وخازن النار ، والحفظة ، والزبانية . . . والباقي اجمالا .

وكذا الايمان بوظائفهم من تبليغ الرسالة للرسل ، أو كتابة الأعمال ، أو كتابة رزق الانسان وأجله ، وشقاوته وسعادته ، وسؤال الميت في قبره ، وقبض الأرواح ، والنفخ في الصور ، وحراسة ابن آدم ، والعبادة وحضور المساجد واماكن الطاعة ومجالس الخير والذكر ، الى غير ذلك من الوظائف الموكلة لبعضهم ، مما هو مفصل في الكتاب والسنة [1] .

حكم الايمان بالملائكة :-

ان وجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي الذى لا يمكن أن يلحقه شك ، قال تعالى :

(آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) [2] .

وفي الصحيح ، الحديث المتقدم ، الايمان :

(ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وتؤمن بالقدر) .

ومن هنا كان انكار وجودهم كفرا باجماع المسلمين ، بل بنص القرآن العظيم فقد قال سبحانه :-

(ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فقد ضل ضلالا بعيدا) [3] .

---

(١) راجع كتاب الاسلام لسعيد حوى ص ٣١

(٢) سورة البقرة -٢٨٥-

(٣) سورة النساء -١٣٦-

الايمان بالملائكة على درجات :

والايمان بالملائكة حده الأدنى التصديق ، وقد تصفو قلوب بعض الناس فيرون ما آمن به الآخرون .

(اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) (١) .

وما روى عن أسيد بن حضير قال : -

(بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده اذ جالت الفرس - دارت - فسكت ، فسكنت ، فقرأ فجالت ، فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت وكان ابنه يحيى قريبا منها فانصرف فأخبره ، ثم رفع رأسه الى السماء فاذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فلما اصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال أو تدرى ما ذاك ؟

قال : لا ، قال : تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لاصبحت ينظر اليها الناس لا تتوارى منهم) (٢) .

وعن البراء رضي الله عنه (كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوطة بشطنين - حبلين - فتغشته سحابه ، فجعلت تدنو ، وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال تلك السكينة تنزلت للقرآن) أخرجه الشيخان .

---

(١) آل عمران - ٤٢ -

(٢) أخرجه البخارى في كتاب فضائل القرآن ، ومسلم في كتاب المسافرين .

وعن حنظلة بن الربيع الاسيدى كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت ؟ فقلت : نافق حنظلة فقال ؛ سبحان الله
ما تقول ؟ فقلت : نكون عند النبي صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة
كانا راى عين فاذا خرجنا من عنده عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا
كثيرا قال : والله اني لأجد مثل هذا ، فانطلقنا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكرنا له ذلك فقال :

والذى نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندى وفي الذكر لصافحتكم
الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات) .

أخرجه مسلم والترمذى .

فهذه حالات يصفو بها الايمان ويرتفع الى درجة الشهود ، ويأتي بعد
ذلك شعور واستحياء ، ومعرفة ومراعاة لطبيعة الملائكة) . (١)

ونكتفى في هذا المقام بهذه النبذة المختصرة عن الملائكة ، لأننا كما
قلنا سابقا عن الهدف من وراء دراسة أركان الايمان كلها ، أن يفهم العبد
ايمانه ليصححه أولا ، ثم لندرس الآثار المترتبة ، والثمار التي يجنيها
المؤمن ، لتنعكس على سلوكه وخلقه وتثبت قدماه في السير الى الله . (٢)

---

(١) من كتاب الاسلام - سعيد حوى - ص ٣٤ - ٣٥

(٢) راجع عن الملائكة بتوسع : -
١- العقيدة الطحاوية ص ٤٣٨ ، فتح البارى ج ٦ / ٣٣٢ .
اغاثة اللهفان ج ٢ / ١٢٠ ، العقائد لسيد سابق ، والعقيدة للميداني

آثار الايمان بالملائكة على النفس والمجتمع

أولا :-استشعار عظمة الله ورحمته وكرمه بالمؤمنين :-

فان الايمان بوجود ملائكة مطهرين ، مظهر من مظاهر رحمة الخالق بنا ، ومحبته ايانا ، وهذا يتجلى في توكيل الملائكة بالدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم كما قال تعالى :-

(الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم .

ويدعون لهم بدخول جنات النعيم هم والاهلين :- (ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم) .

(وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم) . (١)

وكذلك من سجايا الملائكة انهم يؤمنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب ، كما ثبت في الصحيح :

(اذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله) (٢)

وأيضا معرفة عظيم فضل الله علينا ، ومزيد كرمه وتتابع منه، ومنها ان عرفنا بهذه المخلوقات الكريمة ، والتي تدل على عظيم قدرة الجبار جل وعلا ، وذلك مثل خلقه جبريل عليه السلام الذى وصفه ربه ب:-(ذى قوة عند ذى العرش مكين) (٣)

---

(١) سورة غافر -٧ - ٩ -

(٢) أخرجه أبو داود في باب الوتر.

(٣) سورة التكوير -٢٠ -

وغيره من الملائكة ،الذين جعلهم الله واسطة بينه وبين خلقه مثل نافخ الصور الذى ينفخه منه في الصور يصعق من في السماوات والأرض.

ثانيا :- من آثار الايمان بالملائكة الاستقامة على أمر الله :-

التحرز من المعاصي ، وزيادة الطاعة ، فان من يستشعر بقلبه وجود الملائكة جنود الرحمن ،ويوءمن برقابتهم لاعماله وأقواله ،وشهادتهم على كل ما يصدر عنه ، ليستحيى من الله ومن جنوده ،فيتحرز عما أمكن من المعاصي ، فـــلا يخالفه ولا يعصيه ،لا في العلانية ولا في السر ،فكيف له ذلك حين يتذكـــر انهم يسجلون عليه كل ما يقوله ويفعله .

كذلك فان الموءمن بالملائكة يكتسب الشجاعة والاقدام في الجهاد ،حين يتصور انهم يوءيدون المجاهدين بأمر رب العالمين .

(اذ يوحي ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا) (١) .

ويجتهد في العمل للجنة ليكون ممن يسلم عليه الملائكة :-

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ،سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقـــبى الدار) (٢) .

ويبتعد عن أسباب دخول النار لئلا يكون ممن يوبخونـــه : (ولو تـرى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عـــذاب الحريق) (٣) .

(خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم) (٤)

---

(١) سورة الأنفال -١٢ -
(٢) سورة الرعد -٢٤ -
(٣) سورة الانفال - ٥٠ -
(٤) سورة الدخان - ٤٧ -

ومن ثمراته كذلك : الصبر والثبات في المحن :- ومواصلة الجهاد في سبيل الله ، وعدم اليأس وكذا الشعور والانس ، والطمأنينة ، فهذه المعاني من لوازم وثمرات الايمان بالملائكة المكرمين .

(وما أخبر الله عن أحوالها وأفعالها ، فعندما يضل الركب عن الطريق ، وتسود الجاهلية الجهلاء ، ويصبح المؤمن غريبا عن وطنه ، وبين أهله وقومه ويجد منهم الصدود والاستهزاء والتخذيل ، والتشبيط عن طاعة الله ، والاستقامة على أمره ، في هذه الغربة يجد المؤمن أنيسا ورفيقا ، يصحبه ويرافقه ويواسيه ، ويصبره ، ويشجعه على مواصلة السير على درب الهدى ، فهذه جنود الله معه ، تعبد الله كما يعبد ، وتتجه الى خالق السماوات والأرض كما يتجه ، وتبارك خطواته ، وتشد ازره ، وتذكره بالخير عند ربه ، فهو اذا ليس وحده في الطريق ، ولكنه يسير مع الركب العظيم ، ومع الأكثرية من مخلوقات الله عز وجل : مع الملائكة الكرام ، ومع الأنبياء عليهم السلام ، ومع السماوات والأرض ، فهو الأكثر رفيقا ، وهو الأكثر سندا ، فتجعله هذه المشاعر الصادقة صابرا مطمئنا ، لا يزيده صدود الناس عنه الا ثباتا وجهادا) (١) .

الزهد في الدنيا والاقبال على الله : والمؤمن بالملائكة يحاول ان يرقى الى مستواها الرفيع فيخفف من قيود دنياه ومن جواذب الطين والأرض التي تجذبه الى مستنقعها الآسن وما فيه من شهوات وشبهات وأهواء ليتصل بالملأ الاعلى في طهره ونقائه واستعلائه على شهوات دنياه .

---

(١) راجع كتاب الايمان - لمحمد نعيم ياسين - ص ٣٤ - ٣٥

(ومن ثمراته الاجمالية ، التشبه بهم -أى الملائكة - في لزوم الطاعة ، واجتناب العصيان وتقوية الجانب الملائكي في الانسان) .[١]

النشاط والعبادة والاجتهاد في الطاعة : ومن ثمراته - ان المؤمن ينشط الى العبادة والطاعة لما يرى أن الملائكة ذوى القوة والعظمة يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون ، وكيف لا يفعل ذلك وهو يقرأ قول الله عز وجل

(ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون)

الأعراف ٢٠٥ .

التأدب مع الله ورسوله ودينه : كذلك فان من يؤمن بالملائكة يتعلم الادب وحسن الخلق ، فيعيش على طاعة الله دائما لا يسبق حكم الله تعالى بهوى أو غرض، ولا متابعة للضالين ايثارا للعاجلة على الآجلة ، فان الملائكة لا يسبقونه سبحانه بالقول وهم بأمره يعملون .

ان انسانا يعلم هذا في حق الملائكة ليجد في قلبه دوافع تدفعه الى الاستقامة على طاعة الله تعالى ، والمبادرة الى طلب مرضاته على كل حال .[٢]

الايمان بالملائكة : يلبي شوق الانسان الى المجاهيل واستطلاع حقائق الغيب :-

ان كيان الانسان مفطور ومجبول على حب الاستطلاع ، والشوق الى معرفة واستكشاف الغيب المجهول .

ومن ثم شاءت رحمة الله بالانسان وهو فاطره وهو العليم بتكوينه وأشواقه ومايصلح

---

(١) من كتاب تعريف عام بدين الاسلام - لعلي الطنطاوى - ط السابعة، ص١٠٣
(٢) انظر كتاب أركان الايمان - لوهبى سليمان الغاوجي ص ١٢٨ - ١٢١ - مؤسسة الرسالة ط ١

له ويصلحه كما يقول الأستاذ سيد قطب : (ان يمده بطرف من الحقائق الغيبية - ويعينه على تمثلها - ولو كانت أدواته الذاتية قاصرة عن الوصول اليها وبذلك يريحه من العناء ، ومن تبديد الطاقة في محاولة الوصول الى تلك الحقائق التي لا يصلح كيانه وفطرته بدون معرفتها .

ولا يطمئن باله ولا يقر قراره قبل الحصول عليها . بدليل ان الذين أرادوا ان يتمردوا على فطرتهم ، فينفوا حقائق الغيب من حياتهم ، استبدت ببعضهم خرافات وأوهام مضحكة ، أو اضطربت عقولهم وأعصابهم ، وامتلأت بالعقد والخرافات)(1).

اذا فالايمان بالملائكة يلبى فطرة الانسان ، ويشبع رغبته الشديدة وتشوقه الى استكشاف المجاهيل التي لا يحيط بها بحواسه ولكنه يحس بوجودها بفطرته)

أما اذا حرم شعب أو أمة من الايمان بالملائكة ولم تلب هذه الأشواق النظرية بحقائق الغيب كما منحها الله له اشتطت نفسه وراء الأساطير والخرافات، لتشبع هذه الجوعة ، أو أصيب الكيان الانساني بالخلخلة والاضطراب)(2).

وهكذا يكون الايمان بالملائكة مانعا من الجنوح نحو الخيالات التى لا أصل لها وواقيا للشعوب من الوقوع فريسة الأساطير والخرافات التي تفتك بعقلها وفكرها .

الايمان بالملائكة : يوسع آفاق الشعور الانساني :-

فهو كجزء من الايمان بالغيبيات الذى له أثر واضح وكبير في حس المؤمن وشعوره ، فلا تتكمش صورة الكون في تصور المؤمن حتى تقتصر على ما تدركه

---

(1) انظر في ظلال القرآن - لسيد قطب ص ٣٤١ - ٣٤٢ آخر سورة البقرة - ط / دار الشروق .

(2) من منهج التربية الاسلامية لمحمد قطب - فصل خطوط متقابلة .

حواسه القاصرة المحدودة ، وهو وكما يعلم كل عاقل يحترم عقله ضئيل بالنسبة لما يجهله أو يغيب عنه ولا يدركه بحسه ، لكن المؤمن بالمغيبات ومنها الملائكة يدرك انها مخلوقات تكوب حوله وتسكن الكون بحول الله وقوته وكلها تسبحه وتعبده وتسلم له طوعا أو كرها (وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها) (١)

فهو بايمانه بالمغيبات الثابتة شرعا ونقلا ، قد خرج من سجن فكرى ، وتقوقع علمي وثقافي ، بمعرفته بعالم الغيب اضافة الى عالم الشهادة المنظور وهي درجة امتدح الله أهلها و ـ

(آلم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) (٢)

بل ان أعلى مرتبة في الايمان والتصديق هي (الاحسان وهي أن تعبد الله كأنك تشاهده وتنظر اليه كما جاء في الحديث الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) (٣) .

الايمان بالملائكة :-

وشعور الانسان بكرامته على الله ، وعظيم قيمتها وعلو منزلته عند الله :

فان من آمن بالملائكة المكرمين ، وتدبر عظيم خلقها ، وكبر قوتها ، يرى بوضوح عناية الله الكبير المتعال اللطيف الخبير ، بهذا المخلوق الضعيف النحيل وهو الانسان ، لكنه المكرم المعزز ، حيث ان رب العالمين ساعة فراغه من النفخ في تلك القبضة من الطين الغليظ أمر ملائكته جميعا بالسجود لآدم عليه السلام :

---

(١) سورة آل عمران - ٨٣ -
(٢) سورة البقرة ١ - ٣ -
(٣) في الحديث الصحيح المتقدم الذكر

(فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس . . .) (١)

(فهذه الملائكة باصنافها ، وأشكالها ، وتعدد وظائفها من حفظة للبشر، يحصون على البشر أعمالهم ،ويقدمون كتاب أعمالها لرب العالمين ، ومنهم الموكل بقبض الأرواح ، ومنهم بالموكل بالريح ، أو بالجنة أو بالنار.

وان هذا الأمر بحد ذاته من شأنه أن يزيد من عزة المؤمن وكرامته ،بمعرفته مكانته عند الله حتى يسخر له كل تلك الأصناف من المخلوقات يرعونه ويحفظون شؤونه بل وسيتغفرون له) (٢) واستمع الى قصة تكريم الله لآدم عليه السلام بهذا الحوار الذى دار:-

قال الله عز وجل : (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبؤني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ،قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال ياآدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال : الم أقل لكم انى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . وان قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) (٣)

وهنا تتضح نظرة الاسلام الى الانسان ، وانه مخلوق كريم خلقه الله في أحسن تقويم ، وفضله على كثير ممن خلق ،وسخر له ما في البر والبحر جميعا منه .

وبذا تبطل نظرة الملحدين الهزيلة الى هذا الانسان اذ يعتبرونه حيوانا نشأ وتطور على مراحل كانت آخر مرحلة سبقت صورته الأخيرة مرحلة القرد ،

---

(١) سورة الحجر - ٣٠ -

(٢) راجع كتاب التربية الاسلامية للنحلاوى ص ٨٢

(٣) سورة البقرة من ٣١ - ٣٤

بل انه في نظرهم حيوان بهيم ، لا يرون فيه الا الشهوة البهيمية ، ومن خلال هذه النظرة يقوم ويوزن .

(فالايمان بالغيب ومنها الملائكة يخرج الانسان من نطاق الحواس المضروب على الحيوان ويطلقه يتلقى المعرفة من وراء هذا الاطار الحيواني)[1] .

الايمان بالملائكة :-

يفيد المؤمن في تنظيم شؤون حياته وترتيبها وتدبيرها :-

فالايمان بملائكة الله عز وجل يكسب المسلم دروسا عملية في كيفية تدبير شؤون حياته ، وتنظيمها ، هذا شيء ، والشيء الآخر يفيده في حمله دعوة الله عز وجل بتوزيع المهمات والتخصصات والوظائف وتنظيم أمر العاملين للسير على درب الايمان الى الله عز وجل :-

(فالايمان بالملائكة متمم للايمان بالله . . . وهو يدلنا على جانب من جوانب الالوهية ، فمن تمام عظمة الله ان له جندا ، وموظفين يعملون بأمره ، وهذا يربي في النفس النظام والطاعة ، وترتيب الأمور ، فالقادر على كل شيء سبحانه ، قد نظم شؤون الكون ووكل ببعضها بعض الملائكة ، فأطاعوه وعملوا بأمره)[2] .

فالمسلمون اذا يتعلمون النظام والدقة والتخطيط من كل جوانب دينهم فدينهم بما فيه من عبادة وعقيدة وأنظمة وتشاريع ومعاملات كل ذلك يدعو المسلمين لأن يعملوا بتخطيط وتنظيم ودقة ، وان الارتجالية ، والسير على غير هدى ، أو دون معرفة بالطريق ومايمكن أن يحدث ، وكيف يمكن مجابهة الأخطار والمتغيرات كل ذلك معاكسة لأوامر هذا الدين ، وجهل بطبيعته وحقيقة ما يدعو اليه .

---

(١) انظر منهج التربية الاسلامية لمحمد قطب - فصل خطوط متقابلة .

(٢) التربية الاسلامية - للنحلاوى - ص ٨٢

الفصل الثالث

الإيمان بالكتب

وأثره في النفس والمجتمع

الركن الثالث

الايمان بالكتب (١)

المقصود بالايمان بالكتب :-

(هو الاعتقاد والايمان الجازم بأن الله تعالى أنزل على رسله كتبا فيها أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، وما شاء من كلم الله تعالى) (٢) .

حدود الايمان بكتب الله المنزلة :-

ان الايمان بالكتب يشتمل على ما يلي :-

أولا : ايمان تفصيلي : وهو الايمان بالكتب والصحف التي سماها الله تعالى وهي :-

١- الفرقان : وهو القرآن الكريم أنزله الله على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

٢- التوراة : وهي الكتاب الذى أنزله الله على موسى عليه السلام .

(انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا) (٣) .

---

(١) الكتاب لغة : مصدر كتب ، من الكَتْب ، وأصل الكتب : ضم اديم الى اديم بالخياطة واستعمل عرفا في ضم الحروف بعضها الى بعض .
والكتاب شرعا : كلام من كلام الله تعالى فيه هدى ونور يوحي الله به الى رسول من رسله ليبلغه الى الناس .
(من كتاب العقيدة الاسلامية ـ للميداني ص ٥٢٧) .

(٢) من كتاب ـ مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر ـ لحسن أيوب . ص ١٠٢ ط . دار القلم الكويتية .

(٣) المائدة -٤٤-

٣-الانجيل : وهو الكتاب الذى أنزله الله على عيسى بن مريم عليه السلام :

(وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ،وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) (١)

٤-الزبور : الذى أنزله الله على داود عليه السلام .

(وآتينا داود زبورا) -الاسراء- (٥٥) .

٥-الصحف : التي أنزلها الله على رسله وأخبرنا في القرآن عن مجموعتين منها :- هي صحف ابراهيم ، وصحف موسى .

قال تعالى : (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذى وفى) - النجم - ٣٦ - ٣٧ .

وقال : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) (٢) .

ثانيا : الايمان الاجمالي :- وهو الايمان بكل ما أنزله الله على رسله من كتب لم يخبرنا الله عن أسمائها أو تفصيلات عنها .

وانما أخبرنا الله عز وجل أن لكل نبي أرسله الله رسالة بلغة قومه فقال عز وجل :- (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) (٣) .

ثالثا : - كما يجب أن نؤمن ان هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى ، وتوحيد الله سبحانه وتعالى في ربوبيته والوهيته وأسمائه وصفاته ،وان ما نسب اليها مما يخالف ذلك انما هو من تحريف البشر وصنعهم ،

---

(١) المائدة - ٤٦ -

(٢) الأعلى- ١٦ - ١٩ -

(٣) البقرة - ٢١٣ -

قال تعالى عن التوراة (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) ـ المائدة ـ ٤٤ .

وقال تعالى عن الانجيل و وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) ـ المائدة ـ ٤٦ ـ

رابعا :ـ وازاء هذا التغيير الذى طرأ على الكتب السابقة فان الايمان بها يكون بالتصديق انها من عند الله في أساسها ، أنزلها الله على رسله لنفس الغرض الذى أنزل من أجله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا نؤمن بشيء من محتوياتها انه من عند الله الا بما ذكره القرآن عنها أو أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم)(١) .

حكم الايمان بكتب الله :ـ

الايمان بالكتب الالهيه المنزلة هو أحد أركان العقيدة الاسلامية ذلك ان مقتضى الايمان بالله أن نؤمن بالرسل الذين أيدهم الله بالمعجزات ، ومن مقتضى الايمان بالرسل تصديقهم في كل ما يبلغون عن الله تعالى)(٢) .

فالله تعالى يخاطب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ويأمره باعلان ايمانه بكتب الله المنزلة .

قال تعالى (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب)(٣) وخطاب الرسول خطاب لأمته .

وقوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا)(٤)

وحديث جبريل المتقدم ، وفيه (الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) .

---

(١) انظر كتاب الايمان ـ لمحمد نعيم ياسين . ص ٥٦ ـ ٥٧ .

(٢) راجع العقيدة الاسلامية ـ للميدانى ـ ص ٥٣٦ .

(٣) الشورى ـ ١٥ ـ

(٤) النساء ـ ١٣٦ ـ

أثر الايمان بالكتب في تربية النفس

أولا : الايمان بالكتب الالهية : يعكس أكبر الأثر في نفس المؤمن ، ويزداد يقينا في قدرة الله العظيم ، ورحمته وعدله .

فقدرة الله العظيم تتجلى ، في انزاله عز وجل كتبا وصحفا لعباده فيهما أوامره ونواهيه وعباداته وشرائعه ، ودينه ، ما يكون دستورا للناس ، وفيه كل ما يحتاجونه من أمور حياتهم وآخرتهم ، مراعيا فطرتهم ، وطاقاتهم واستعداداتهم مالا يمكن لبشر أن يشرعوا بمثله ، أو يضعوا قوانين صالحة لجميع أمورهم وأحوالهم ولكن الله القدير أنزلها بعلمه .

وتتجلى قدرة الله وتفرده بالربوبية في صور أكثر وضوحا عند ما يكون هذا الكتاب معجزا لبني البشر من جميع وجوه الاعجاز ، اللفظية ، أو البيانية أو العلمية ، ويقصر البشر مجتمعين عن الاتيان بمثل جزء منه فضلا عن الاتيان بمثله (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين)(١) .

وهنا فان النفس السليمة البعيدة عن مؤثرات الهوى والكبر والحسد لتطأطئ رأسها معترفة بعجزها وقصورها ، بالقياس الى قدرة وجبروت ملك الملوك فتسلم قيادها لبارئها وتلتزم منهجه .

وأما رحمة الله عز وجل : فيستشعرها المؤمن وهو يرى ان الله عز وجل لم يترك البشر يواجهون أمور دنياهم واخراهم ، فقط بطاقاتهم واستعداداتهم ، وما اوتوا من قدرات العقل والحس ، يخططون لانفسهم ويشرعون من القوانين والأحكام ومناهج الحياة .

ذلك ان هذه القدرات البشرية محدودة بكونها طاقات بشر عنوانها القصور والعجز بما يلحقها من الهوى والضعف وعدم العلم الشامل ، فلا يمكن أن تكون نتائج عقولهم واجتهاداتهم البشرية متجاوزة حدها الطبيعي الفطري .

---

(١) البقرة - ٢٣ -

اذا فلا يمكن لهذا الانسان أن يضع لنفسه منهج حياته ،أو يشرع للبشر قانونا يصلح للتطبيق على جميع البشر دون حيف أو شطط.

كيف ذلك وهو يجهل نفسه التي بين جنبيه ؟ .

فهي رحمة من رحمة الله الواسعة العظيمة بهذا الكائن الضعيف العاجز أن يرسم له طريقه ،ويضع له معالمه ،ويبصره بعواقب أعماله وباليوم الآخر، وكل ذلك في كتاب يقرأه الناس .

وهكذا تكون كتب الله المنزلة منارات هدى يهتدى بها الضالون في انحاء الجاهلية ،أو يتخبطون في طرق الغي والفساد والانحراف، وتغدو كذلك علامات على طريق الله تدل على الله وتذكر عقابه ،وترد البشرية كلما نسيت وانحرفت وما أكثر نسيانها -الى صراط الله .

كذلك فان المؤمن يستشعر رحمة الله ورأفته بعباده عندما يجد أن الله لم يكلفه ما لايطيقه ، ثم انه أعفاه من الأوامر الثقيلة التي حملها الأقوام السابقون ،وهو يضرع والمؤمنون دائما الى الله قائلين (ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) (١) .

وأما عدل الله عز وجل :- فيتجلى للمؤمن بكتب الله المنزلة وبيان ذلك .

ان الله عز وجل هو أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين ،ومقتضى عدله أن لايعذب عباده الا اذا بلغهم ما يريد ،وما لا يريد ، وكل ذلك في أوضح بيان ، وأفصح لسان ينطقون به ،فيكون الكتاب حجة من الله عليهم ، فلا يكون لاحد من البشر حجة في الانحراف انه لم يبلغه التكليف وانه لم يعرف الطريق الصحيح من غيره .

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٢) .

---

(١) البقرة -(٢٨٦) -

وكذلك (ليكون الكتاب الرباني المنزل على رسل الله هو الحكم العدل لأمته في كل ما يختلفون فيه ، مما تتناوله أحكام شريعة الله لهم .

فكتاب الله هو الحاكم بين الناس فيما يختلفون فيه لأنه كلام الله والله هو الحاكم)[1] .

وهذا يتضح بقوله تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)[2] .

يستشعر المؤمن كل ذلك عند ايمانه بكتب الله المنزلة ، فيزداد يقينا وايمانا بهذا الخالق القادر البر الرحيم العادل ، فيحبه ويحب دينه ودعوته ، ويسترخص البذل والفداء ، والنفس والنفيس في سبيل احقاق راية الحق ونصرة الاسلام والمسلمين .

الايمان بالكتب وأثره في : بقاء الدعوة واستمرارها :-

ان وجود كتب الهية بين الناس ضروري لبقاء حركة الدعوة في طريقها ، ثابتة على اصولها بلا تبديل ولا تغيير ، كذلك فان وجود الكتاب وسيلة مهمة في حفظ اللغة والادب والتاريخ والتراث الخاص بأمة الكتاب وان كل ذلك لهو من المقومات الأساسية لوجود هذه الأمم والشعوب اذا أراد الله لها ولكتابها البقاء .

فالايمان بالكتب ايمان ببقاء دعوة الله قائمة مستمرة .

(وليحفظ الكتاب الرباني لدعوة الرسول وللرسالة سريانها وقابليتها للاتساع والانتشار ، مهما تباعدت الأمكنة أو الأزمنة عن مكان أو زمان نشأة الرسول صاحب الدعوة ، وبخاصة حينما تكون دعوة الرسول دعوة عامة شاملة ، كرسالة محمد صلى الله عليه وسلم)[3] .

---

(١) انظر كتاب العقيدة الاسلامية - للميداني - ص ٥٣٨
(٢) البقرة - ٢١٣ -
(٣) انظر المرجع السابق ص ٥٤٠ .

الايمان بالكتب : يلزم المؤمنين بالتلقي عن نبع واحد ليكونوا جيلا متميزا فريدا :

ان الايمان بكتب الله المنزلة يقتضي حصر تلقي واستقاء هذه الامة من ذلك النبع وحده فقط ، ويمنعهم أن يتلقوا عن الينابيع الأخرى خصوصا اذا كانت الجماعة المؤمنة في فترة التكوين الأولى ، وكان واضحا أن المنابع الصادرة عن غير منهج الله الصحيح ، قد فسدت .

وهذا ما يفسر غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رآى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، صحيفة من التوراة ، وقوله (انه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعني)(1).

(واذن فقد كان هناك قصد من رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد رآى ما رآى من عمر رضي الله عنه - أن يقصر النبع الذى يستقى منه ذلك الجيل .. في فترة التكوين الأولى ، ويستقيم عودهم على منهجه وحده ...

كان صلى الله عليه وسلم يريد صنع جيل خالص القلب ، خالص العقل ، خالص التصور ، خالص الشعور ، خالص التكوين من أى موثر آخر غير المنهج الالهي ، الذى يتضمنه القرآن الكريم) .

ومن ثم يتضح سبب تميز جيل الصحابة والتابعين عن أجيالنا المتأخرة في ما حققوه من نصر وعز للاسلام .

اذ ان (ذلك الجيل استقى من ذلك النبع وحده ، فكان له في التاريخ ذلك الشأن الفريد ، ثم ما الذى حدث ؟ اختلطت الينابيع !

صبت في النبع الذى استقت منه الأجيال التالية فلسفة الاغريق ومنطقهم ، وأساطير الفرس ، وتصوراتهم ، واسرائيليات اليهود ، ولاهوت النصارى ، وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات ، واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم ، وعلم الكلام ، كما اختلط بالفقه والاصول أيضا .

---

(1) رواه الحافظ أبو يعلى ، عن حماد الشعبى عن جابر

وتخرج على ذلك النبع المشوب سائر الأجيال بعد ذلك الجيل فلم يتكرر ذلك الجيل)[1] .

الايمان بالكتب : - واشعار الامة المسلمة بواجبها وثقل رسالتها الوارثة :

ذلك ان هذه الأمة هي الخالدة الباقية ، وهي الخاتمة للأمم ، ودينها ورسالتها هي الخاتمة لرسالات الأنبياء السابقين ، وهذا من جملة العوامل التي جعلها بها وصية وشاهدة على الأمم ، وهي الوسطية التي امتدحها الله بها في كتابه العزيز : فقال عز من قائل :

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[2] .

وهذا الواجب المحدد والحمل الثقيل ، يفترض على هذه الأمة مزيدا من البذل والعطاء ، ومضاعفة الجهود ، لتبليغ دعوة الله ، والقيام بها في الأرض ، وهذا ما عناه الرسول صلى الله عليه وسلم في موقعة بدر الكبرى وهو يتضرع الى الله بنصر الثلة المؤمنة بقوله :

(اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض)[3] .

(وهكذا تتلقى الأمة المسلمة تراث الرسالة كله ، وتقوم على دين الله في الأرض ، وهي الوارثة له كله ، ويشعر المسلمون - من ثم - بضخامة دورهم في هذه الأرض الى يوم القيامة ، فهم الحراس على أعز رصيد عرفته البشرية في تاريخها الطويل ،

---

(١) راجع كتاب - معالم في الطريق - لسيد قطب - فصل جيل قرآني فريد .

(٢) البقرة - ١٤٣ -

(٣) راجع فقه السيرة - للغزالي - ص ٢٣٩ ط . دار القرآن الكريم توزيع الاتحاد الاسلامي العالمي ، للمنظمات الطلابية .

وهم المختارون لحمل راية الله - وراية الله وحدها - في الأرض ، يواجهون بهـــا رايات الجاهلية ، المختلفة الشارات ، من قومية ووطنية ، وجنسية وعنصرية ، وصهيونية ، وصليبية واستعمارية والحادية . . . ،

الى آخر شارات الجاهلية التي يرفعها الجاهليون فى الأرض ، على اختـــلاف الاسماء والمصطلحات واختلاف الزمان والمكان . . .) (١) .

---

(١) راجع في ظلال القرآن - لسيد قطب - تفسير آخر سورة النور - ط. دار الشـــروق .

القرآن الكريم عقيدة وتربية

لقد بعث الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه القرآن كتابا معجزا تكفل بحفظه من أي تحريف أو تبديل ، أو زيادة أو نقصان ، ولما كان هذا القرآن يمثل رسالة الاسلام ، وقضى الله عز وجل أن تكون الرسالة والرسول هما الخاتمين . وخلاصة عقيدتنا نحن أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم ، هو ما أوجزه الامام الطحاوى بقوله :

(وان القرآن كلام الله ، منه بدا ، بلا كيفية قولا ، وأنزله على رسوله وحيا ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وايقنوا انه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البريه ، فمن سمعه فزعم انه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر ، حيث قال تعالى : (سأصليه سقر) المدثر -٢٦ - فلما أوعد الله بسقر لمن قال : (ان هذا الا قول البشر) المدثر-٢٥ - علمنا وايقنا انه قول خالق البشر ، ولا يشبه قول البشر) (١) .

ولما كان هذا الكتاب الكريم هو الرقيب والحكم العدل على الكتب السابقة ، بل هو الناسخ لها جميعا ، وكان هذا الكتاب هو صيحة السماء الأخيرة ، وهو الأمانة التي انيطت بعنق كل مسلم ، لذا سندرس بعض الآثار التربوية التي تنعكس على نفوس متبعيه .

الايمان بالقرآن وأثره في الانسان

القرآن الكريم مدرسة تربوية متكاملة الجوانب شاملة الوسائل والأساليب يهدف الى اعداد الأمة المسلمة اعدادا جهاديا ، لتكون ذات شخصية مرهوبة ، وعلى استعداد للدفاع عن حقها وحرماتها حين الاقتضاء ، واعدادها لاقامة الحق والعدل وتشييد الحضارة على أسس ربانية .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٩ ط/ المكتب الاسلامي .

ولا يتم ذلك الا بتربية أفراد هذه الأمة تربية متكاملة شاملة لجوانب النفس الانسانية ،من فكرية عقلية ،وروحية قلبية ، وجسدية عضلية ،وكل ذلك في توازن دقيق محكم هو من عند أحكم الحاكمين . وهاكم بعض التفصيل :ـ

القرآن الكريم والتربية العقلية :ـ

فالقرآن يربى الانسان على أعمال عقله وان يتفكر في مخلوقات الله عز وجل المبثوثة فى انحاء الوجود ، ليعلمه الدقة وكيفية الاستدلال والاستنتاج :

وهذا المعنى من تربية العقل والذهن ،ومطالبته بالتدبر والتفكر والاستنتاج والقياس والاستقراء ،قد تكرر كثيرا وزخرت الآيات الكثيرةببيانه مثل :

قوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (١)

وقوله تعالى (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) (٢)

وقوله تعالى (واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الألباب) (٣)

" " (ان في ذلك لآيات لاولي النهى) (٤)

" " (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٥)

كذلك فان القرآن الكريم يربي الفكر على عدم قبول شيء بغير حجة أو برهان أو علم .

قال تعالى :(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله) (٦).

---

(١) سورة محمد - ٤٤ -

(٢) الزخرف - ٣ -

(٣) سورة آل عمران - ١٩٠ -

(٤) سورة مريم - ١٢٨ -

(٥) سورة الروم - ٢١ -

(٦) الحج - ٨ - ٩ -

وقال تعالى : (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) -البقرة - ١١١-
وقال أيضا عز وجل (أم اتخذوا من دونه آلهة ، قل هاتوا برهانكم) -الأنبياء - ٢٤-

(والاسلام حين دعا الى التفكير واعمال العقل ، ورحب بكل ذلك ، انما أراد أن يكون ذلك في دائرة العقل وحدود مداركه .

فدعا الى النظر فيما خلق الله من شيء في السموات والأرض والانسان نفسه ، وفي الجماعات البشرية ،ولم يحظر عليه الا التفكير في ذات الله تعالى ، لان ذات الله فوق الادراك .

قال صلى الله عليه وسلم :(تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره) (١) .

القرآن والتربية السلوكية :-

ان القرآن الكريم يربي الانسان على الحياة المستقيمة ،والأخلاق القويمة ،لما فيه من العبر والحكم ، والتشريع العظيم ، وكفى به انه من لدن حكيم عليم ،حكيم يضع التشاريع والعبر في مواضعها ، عليم بطباع الناس وما يصلحهم .

قال تعالى : (ان هذا القرآن يهدى للتى هي أقوم) (٢)

وقد زخر القرآن الكريم بالآيات الكريمة التى توجه السلوك وترسم خط الاستقامة مثل قوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون ،الذين هم في صلاتهم خاشعون ،والذين هم لفروجهم حافظون) (٣) .

---

(١) روايات هذا الحديث ضعيفة لكنه بكثرة طرقه واجتماعها اكتسب قوة . انظر فيض القدير للمناوي ج٣/٢٧٤ ط الأولى مطبعة مصطفى محمد
(٢) الاسراء - ٩ -
(٣) المؤمنون ١- ٣

وقوله تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) (١) .

وقوله عز من قائل :ـ في وصايا لقمان لابنه :ـ

(يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ،ان ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير) (٢) .

وغيرها من الآيات الجمة التي تدعوا الى التخلق بكل خلق كريم ،والى نبذ كل مسلك ذميم ،حتى ان من يلتزم أحكام القرآن وآدابه وأخلاقه ليغدو كالملاك في ثياب بشر، وهكذا فان القرآن يدعو الناس الى الارتفاع بانفسهم وأفكارهم عن مستوى البهائم ، والحماوات ، ليكونوا بشرا اسوياء ،تحلق أرواحهم في عالم الروح والطهارة والعفة .

القرآن والتربية الروحية والقلبية :

فالقرآن الكريم يربي العواطف الربانية من خوف وخشوع وترقيق القلب والمشاعر ، ومن حسن تلاوته انك اذا قرأت في القرآن دعاء دعوت به ، وان قرأت تهديدا أو عذابا استعذت بالله منه ، وان قرأت آيات تدل على عظمة الله خشع قلبك ، واغرورقت عيناك بالدموع .

(والايمان بالقرآن له مقامات ، فالناس مع كتاب الله يتفاوتون ، فبعضهم يقرأ ويتأثر وكأنه يتلقاه عن الله وحيا ، ويعمل كأنه مخاطب به وحده ، وآخرون ليسوا كذلك ولكل مقام ، وهاك الدليل من كتاب الله تعالى ، لنعيش لحظات روحية خاشعة :

قال عز وجل : (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) (٣) .

---

(١) الفرقان ٦٣ - ٦٤
(٢) سورة لقمان ١٧-١٩
(٣) سورة البقرة ١٢١

وقال عز من قائل (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) (١)

وقوله : (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) (٢).

وقوله تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتب واخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) (٣).

وقوله تعالى : (ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) (٤) (٥)

القرآن والتربية : البيانية ، واللغوية ، والنحوية :

فان القرآن الكريم في الذروة العليا من الفصاحة والبلاغة وهذا ما أجمع عليه العرب وهم أمة الفصاحة وفرسان الكلام ، وخرجوا من التحدى الذى تحداهم به رب العالمين بالاتيان بمثل بعض القرآن ، رجعوا من تلك الجولة يجرون أذيال الخيبة والهزيمة والعجز الذريع ، ولهذا فان القرآن يصقل بيان المسلم ، ويعود لسانه على الفصاحة .

وهذا معروف لدى كل مشتغل بالقرآن ، فهو باعجازه وفصاحته يطبع الانسان على حسن البيان ، والاسلوب اللغوى المبين .

---

(١) الأنفال - ٢ -

(٢) الزمر - ٢٣ -

(٣) آل عمران - ٧ -

(٤) الاسراء ١١٧

(٥) راجع كتاب الاسلام - لسعيد حوى - ص ٣٥ ط ٢ دار الكتب العلمية .

فيصبح واضح المنطق واللفظ في كل ما يعرب عنه لسانه .

والحق انه لا يمكن لمشتغل بعلوم اللغة العربية ايا كانت فنونها ، أن يستكمل دراسته وعلمه الا اذا درس القرآن وتبحر فيه واتخذه له كتابا وفي هذا يقول أمير الشعراء :

وما عرف البلاغة ذو بيـــان اذا لم يتخذك له كتابـــا

فالقرآن الكريم وسيلة عملية لتربية أجيال الأمة المسلمة على الادب الرفيـــع والمنطق السليم ، والامر لا يحتاج أكثر من أن يعتاد المسلم قراءة حزب معين لـــه كل يوم ، فيكون ذلك رصيدا غنيا ومعينا لا ينضب .

يعينه على توصيل دعوة الله الى الناس بلغة سهلة واضحة ، وباسلوب مؤثـــر ينفذ الى قلوب المدعوين وعقولهم .

ولقد دعا الله عز وجل الى ذلك :-

(وقل لهم في أنفسهم قولا بليغـــا) (١) .

---

(١) سورة النساء - ٦٣ -

الفَصْل الرَابع

الإيمَانُ بالرُّسُل وأثَرُهُ في النفس والمجتمع

الايمان بالرسل عليهم السلام

وجوب الايمان بالرسل * :-

أوجب الله تعالى على المسلم أن يؤمن بجميع رسل الله دون تفريق بينهم ،
قال سبحانه :-

(قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ،وما أوتي موسى وعيسى ،وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) (١) .

وبين الله تبارك وتعالى ان هذا هو ايمان المؤمنين :-

(آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ،كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) (٢) .

وأخبر سبحانه ان البر في هذا الايمان فقال :-
(ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) (٣) .

حكم من أنكر الرسل :-

وقد أخبرنا الله كذلك ان من يكفر برسل الله وأنبيائه ، أو من يؤمن ببعض الرسل دون البعض الآخر ،وفرق بينهم في الايمان فهو كافر ،

(ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا ،اولئك هم الكافرون حقا ...) (٤)

---

* من كتاب العقائد الاسلامية ـ لسيد سابق صفحة ١٦٩ ط ٣ ـ مكتبة حسان ـ وانظر كتاب ـ مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر ـ لحسن أيوب ـ
(١) البقرة ـ ١٣٦ ـ
(٢) البقرة ـ ٢٨٥ ـ
(٣) البقرة (١٧٧)
(٤) سورة النساء (١٥٠ ـ ١٥١) .

حدود الايمان بالرسل :-

والايمان بالرسل يشمل الايمان بهم تفصيلا اذا فصل القرآن ، واجمالا اذا أجمل : قال تعالى : -

(ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك . . .) (١)

ثم الايمان بصدقهم وعصمتهم وفطانتهم وتبليغهم .

وكونهم صادقين يعني ان كلامهم هو الاساس الذى يقاس عليه غيره ، وغيرهم اذا خالفهم كاذب ، وكونهم فطناء يعني انهم المثل الأعلى في العقل ، وكل خروج عن الاقتداء بهم ، انحطاط عقلي ، كما أنه انحطاط سلوكي) (٢) .

الواجب علينا نحو الرسل :-

يجب على المسلمين تصديق رسل الله جميعا كما أسلفنا ، ودون تفريق بينهم أى الايمان بالبعض والكفر بالآخر .

كما يجب علينا أن نوءمن بأن كل رسول أرسله الله قد أدى الأمانة ، وبلغ رسالته على الوجه الأكمل ، وبينها بيانا واضحا شافيا كافيا .

كما يجب علينا طاعة رسل الله وعدم مخالفتهم (الا ما نسخته شريعتنا من الشرائع فنتبع رسالتنا لأن ذلك من طاعة الله سبحانه قال تعالى :

(من يطع الرسول فقد اطاع الله) (٣)

(وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) (٤)

---

(١) سورة النساء - ١٦٥ -

(٢) الاسلام - لسعيد حوى - ص ٣٢ -

(٣) سورة النساء (٨٠)

(٤) سورة النساء (٦٤)

انقلبتم على اعقابكم . .)

وقال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) (٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم (ولكنى اصوم، وافطر واصلي وأرقد واتزوج النساء . .) (٤)

---

(١) انظر الفقه الاكبر - لأبى حنيفة - بشرح ملا علي القارى صفحة (٥٠)

(٢) سورة آل عمران - ١٤٤ -

(٣) سورة الفرقان - ٢٠ -

ونؤمن كذلك أن الأنبياء لا يملكون من خصائص الالوهية شيئا ، فلا يتصرفون في الكون ، ولا يملكون النفع أو الضر ، ولا يؤثرون في ارادة الله تعالى ولا يعلمون الغيب الا ما أطلعهم الله عليه . (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، ان انا الا نذير وبشير لقوم يعلمون) (١) .

وانه تعالى زودهم بالمزايا والفضائل التى تؤهلهم لتلقي الوحي وتحمل أعباء الرسالة ، ليكونوا قدوة للناس واسوة يقتدى بهم في أمور الدين والدنيا .

(أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ، فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ...) (٢)

وكذلك يجب الايمان بان الله تعالى قد أيدهم بالمعجزات الباهرات ، والآيات الظاهرات ، الدالة على صدقهم فيما جاؤا به من عند الله تبارك وتعالى) (٣) .

---

(١) سورة الأعراف - ١٨٨ -

(٢) سورة الأنعام - ٨٩ - ٩٠ -

(٣) بتصرف من كتاب - الايمان - لمحمد نعيم ياسين - ٤٠ - ٤٣ -

(١)

حاجة البشرية الى الرسل والرسالات :-

اذا كان البشر في حال اعتدال امزجتهم ، وسلامة فطرهم ، هم بحاجة ماسة الى هدى الله عن طريق رسله الكرام ، ليضيئوا للناس طريق الحياة ، ويحددوا لهم مبتدأه ومنتهاه ، ويبينوا لهم علاقتهم بالحياة وخالقها ، ولكي يزكوا نفوسهم ، ويحصنوها من الانحراف أو الزيغ مع الهوى والشيطان .

نقول اذا كان الناس في حال سلامة فكرهم وفطرتهم هم بحاجة الى الرسل للأمور المذكورة آنفا ، فان البشرية اليوم هي أشد ما تكون حاجة للرسل وهديهم وتعاليمهم الروحية .

وذلك لما تعانيه البشرية اليوم في العالم وخصوصا من يدعي السبق الحضاري والتقدم المادى ، ما تعانيه من أزمة حادة ، أزمة ؟ نعم أزمة !!

رغم كل المنجزات العلمية ، والاختراعات والتقدم في عالم المادة والصناعات .

نقول انه بالرغم من كل تلك المكتسبات المادية ، والشأو البعيد الذى وصلت اليه البشرية في علم الحس والمادة . فانها تعاني أزمة ساحقة وافلاسا ذريعا في عالم القيم والمبادئ ، وخواء في عالم الروح .

ولا يظن ظان ان هذه الأزمة ليست بذات اعتبار لأنها من عوارض الأمور ، ولا تضر مسيره الحضارة والتقدم .

لا ! فان الحضارة والمدنية ايا كانت وفي أى زمن تكون ، فانهم لابد وأن تقوم على مبدأين ، مادى ، وروحي معنوى .

فاذا قام بناء الحضارة على أحدهما دون الآخر فانه لابد للبناء وأن ينهار حتما لانها بذلك أشبه ما تكون بنسر جبار يريد أن يحلق فى الفضاء بجناح واحد فقط .

---

(١) انظر كتاب ـ الرسل والرسالات ـ لعمر الأشقر - ٢٩ - ٣٤

خلاصة القول : ان الحضارة الحديثة التى تقود سفينة البشرية اليوم في خطر بل هي على شفا جرف هار سينهار بها وبمن خدعت وضللت فى شقاء الدنيا قبل الآخرة .

والذى يتفحص حياة الغرب الآن ومن يتبعه فى نظمه ومناهجه فانه لن يتعب في الحصول على النتيجة التى ذكرتها وذلك واضح في حالة الضياع والشرود والتيه التي يحياها أهل الحضارة ، وما تعيشه تلك المجتمعات من الرعب الدائم والجرائم والانحرافات والشذوذ ، والتصرفات المتشنجة الهوجاء التى لا يمكن أن تصدر عن بشر اسوياء ، بل تدل بكل وضوح على التركيبة النفسية المنحطة ، الهابطة في حمأة المستنقعات الآسنه ، والتى هي من افراز الحضارة الخاوية من كل قيمة ، خلو الجسم من الروح والحس ، والمظهر عن الجوهر .

كل ذلك يستدعي العلاج السريع ، والشفاء العاجل لهذه البشرية المنكوبة المنكودة التي أصبحت تعيش جاهلية حديثة هى أخبث وأشرس وأعمق من جاهلية العرب الساذجة ، وذلك في تميز الأخرى عن الأولى بالعلم والفن ، والتخطيط المنظم العاتي في مواجهتها للحق وأهله ، لافساده وتخريبه ، ومن ثم استئصاله وازاحته من الوجود .

ولقد صاح العقلاء من القوم منذرين بما يتهدد حضارتهم وأهلها ، وكثر المقتنعون بوجوب العلاج والاصلاح ، لانقاذ ما تبقى من معالم الانسانية ان بقيت ولكنها بقاء شرذمة شريرة معربدة ، قابضة عن زناد الدمار والمحق ، بما تتحكم به من طاقات مخربه مدمرة تؤذن العلم والحضارة بالدمار والبشرية بالفناء .

من هنا تزداد أهمية الاتجاه الى منقذ جديد ، مصلح كفء مناسب ، ليستلم الراية التي هوت ، ويرد البشرية الشاردة عن الله اليه ، وعن موارد الشريعة والرسالة اليها .

ولن يكون هذا المنقذ سوى الاسلام ، لأنه دين الله الخالد ، الصالح لكل زمان ومكان ، ففيه الحل لكل معضلات الشر ، وفيه العلاج الناجع لكل ادواء الناس وهو الهادى الى صراط مستقيم .

ضرورة ارسال الرسل الى البشـــر :

لقد جلى هذه القضية العلامة ابن القيم في زاد المعاد حيث يقول :

(... ومن هنا نعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة الى معرفة الرسول ، وما جاء به ، وتصديقه فيما أخبر به ، وطاعته فيما أمر .

فانه لا سبيل الى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة الا على أيدى الرسل ، ولا سبيل الى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل الا من جهتهـــم .

ولا ينال رضا الله البتة الا على أيديهم ، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس الا هديهم وما جاءوا به .

فهم الميزان الراجح الذى على أقوالهم وأخلاقهم توزن الاخلاق والأعمـــال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الضلال . ثم يقول رحمه الله :-

فالضرورة اليهم اعظم من ضرورة البدن الى روحه ، والعين الى نورها والروح الى حياتها فأى ضرورة وحاجة فرضت ، فضرورة العبد وحاجته الى الرسل فوقها بكثير ، وما ظنك بمن اذا غاب عنك هديه وما جاء به ، طرفه عين فسد قلبـــك ، وصار كالحوت اذا فارق الماء ووضع في المقلاة ، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسول كهذه الحال ، بل أعظم ، ولكن لا يحس بهذا الا قلب حـــي ، وما لجرح بميت ايلام ...)(١)

---

(١) انظر - زاد المعاد - لابن قيم الجوزية جـ ١ / ص ١٥
وانظر مفتاح دار السعادة - لابن القيم - ٢ / ٢

الرسالات نور وسواها ظلام :- لقد جلى العلامة ابن تيمية هذه المسألة جلاء طيبا اذ

يقول :(الرسالة ضرورية للعباد ،لابد منها ،وحاجتهم اليها فوق حاجتهم الى كل شيء ،والرسالة روح العالم ونوره وحياته ،فأى صلاح للعالم اذا عدم الروح ؟

والحياة نور ،والدنيا مظلمة ملعونة الا ما طلعت عليه شمس الرسالة .

وكذلك العبد اذا لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ،ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة ،وهو من الأموات .

قال تعالى :

(أو من كان ميتا فأحييناه ، وجعلنا له نورا يمشي به في الناس ،كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ...؟) (١)

فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل ،فأحياه الله بروح الرسالة ونور الايمان ،وجعل له نورا يمشي به في الناس ،وأما الكافر فميت القلب في الظلمات.

هدى الرسالات روح :-

وبين رحمه الله تعالى : ان الله سمى رسالته روحا ،والروح اذا عدمت فقدت الحياة ، (وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ...) (٢)

هدى الرسل كالمطر للأرض ،وكالنار ضياء :-

وضرب الله عز وجل للوحي الذى أنزله حياة للقلوب ونورا لها ،بالماء الذى ينزله من السماء حياة للأرض وبالنار التي يحصل بها النور:

---

(١) سورة الأنعام - ١٢٢ -

(٢) سورة الشورى - ٥٢ -

كما في قوله تعالى :

(أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبدا رابيا ، ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال)(١) .

فشبه سبحانه العلم بالماء المنزل من السماء ، لأن به حياة القلوب ، كما أن بالماء حياة الأبدان .

وشبه القلوب بالأودية ، لأنها محل العلم ، كما أن الأودية محل الماء . فقلب يسع علما كثيرا ، وواد يسع ماء كثيرا ، وقلب يسع علما قليلا وواد يسع ماء قليلا ...(٢)

وحدة الرسل والرسالات

عرفنا فيما سبق ان جميع الرسل الذين اصطفاهم الله بينه وبين خلقه ، انهم جاءوا جميعا بالتوحيد ، رسالة واحدة ومنهجا عقديا واحدا من عند الله .

(٣)(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

(٤)(وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون)

ومن هنا كان الايمان برسل الله جميعا من شرائط الايمان ، فكلهم جاء من عند الله ، وكلهم جاء بدين الله - الاسلام - وعدم الايمان بواحد منهم كفر بهم جميعا ، وكفر بالله الذى بعثهم جميعا .

---

(١) سورة الرعد - ١٧ -

(٢) راجع بتوسع - مجموع فتاوى ابن تيمية ٩٣/٩ - ٣٦ . نقلنا هذا من كتاب العقيدة في الله - لعمر الأشقر - بتصرف . ص ٢٩ - ٣٤ .

(٣) سورة النحل - ٣٦ -

(٤) سورة الأنبيا - -

قال تعالى :

(وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ..) (١)

يقول الشهيد السيد قطب (فالرسل هم موكب واحد يتراآى على طريق التاريخ الطويل الموصول .

ورسالة واحدة بهدى واحد للانذار والتبشير .

موكب واحد يضم هذه الصفوة المختارة من البشر نوح وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ، وعيسى وأيوب ويونس ، وهارون وسليمان وداود وموسى ، وغيرهم ممن قصهم الله على نبيه في القرآن ، وممن لم يقصهم .

فهو موكب من شتى الاقوام والأجناس ، وشتى البقاع والأراضي ، في شتى الأزمنة والآونه ، لا يفرقهم نسب ولا جنس ولا أرض ولا وطن ولا زمن ، ولا بيئة .

(انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ...) (٢)

وكلهم آت من ذلك المصدر الكريم ، وكلهم يحمل ذلك النور الهادى ، وكلهم يودى الانذار والتبشير ، وكلهم يحاول ان يأخذ بزمام القافلة البشرية الى ذلك النور ، سواء منهم من جاء لعشيرة ومن جاء لقوم ومن جاء لمدينة ، ومن جاء لقطر ، ثم من جاء للناس أجمعين صلى الله عليهم وسلم أجمعين) . (٣)

---

(١) سورة المائدة - ١٢ -

(٢) سورة النساء ١٦٣ - ١٦٤ -

(٣) طريق الدعوة في ظلال القرآن - أحمد فائز - ٣٤ - ٣٨ -

وانما الاختلاف في رسالات السماء انما بالتشريعات الفقهية المناسبة لأحوال كل ، فبين الله انه جعل لكل رسول شرعة خاصة به ومنهاجا .

وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا لاتفاق الرسل في الدين الواحد واختلافهم في الشرائع فقال (الأنبياء من علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد) (١) .

قال ابن حجر : ((الأنبياء أولاد علات - وفي رواية - والأنبياء اخوة لعلات ، والعلات : بفتح المهملة : الضرائر ، وأولاد العلات الاخوة من باب الأب وأمهاتهم شتى . ومعنى الحديث : ان اصل دينهم واحد وهو التوحيد وان اختلفت الشرائع . انتهى)) (٢) .

---

(١) حديث رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود . -

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ ٦ / ٤٨٩

آثار الايمان بالرسل على النفس والمجتمع

أولا : الايمان بالرسل يعلمنا : - البدء بالعقيدة :

فالمستعرض لقصص الأنبياء والرسل وما ذكر من أخبارهم في كتاب الله الكريم ، يجد انهم جميعا اتفقوا في نقطة البدء في الدعوة الى الله .

وكانت الدعوة الأولى التى قرعوا بها اسماع أممهم كانت للتوحيد والعقيدة قائلين لهم : اعبدوا الله ما لكم من اله غيره .

وفي ذلك درس تعليمي للدعاة في كل زمان ومكان ، لينهجوا النهج السليم في الدعوة الى الله ، المنهج الذى رضيه الله بل وأراده على أيدى رسله الكرام .

فهذا المنهج يقرر قاعدة من قواعد العمل للاسلام :

هي ان الواجب تقديم الأهم على المهم .

وذلك أن كل شعائر دين الله مهمة وهامة لانها من أمر الله ، لكن هذه الأجزاء والمكونات لدين الله ، منها ما هو من العقيدة ، ومنها ما هو خلق ، أو معاملة أو فقه أو تشريع .

فالداعية الحكيم الواعي هو الذى يبدأ بالأمور الأهم مقدما لها على المهم منها ، ولا شك أن العقيدة أو التوحيد هو الأساس ، والأصل الأصل في دين الله .

فمن الخطأ الفادح أن يبدأ الداعية بمواجهة أناس بعيدين عن دائرة الاسلام من الخطأ أن يدعوهم الى تطبيق فرعيات الدين ، وجزئيات الاسلام ، تاركا من الاصول الأهم ، ولا يعنى هذا عدم تكامل المنهج في الدعوة .

لكن الذى نريد أن نقرره هنا أن الدعوة الى الله فن ، لا يتقنه الا من وفقه الله لذلك .

والبشرية اليوم ، ضالة شاردة ، تركت الاصول والفروض فضلا عن الفروع ، فمنطق الحكمة والعمل السليم أن نسلك سبيل الأنبياء في ذلك ، أن نعرف البشرية بالله عز وجل ، ونربط قلوبها به سبحانه منبهها الى دلائل عظمة الخالق

بالبرهان الساطع فاذا اسلمت زمامها لله أمكنها بعد ذلك قبول آداب الدين وسننه .

ثانيا : الايمان بالرسل يحقق معنى الاخوة والوحدة بين بني البشر :-

وهذا المعنى يأتي من استعراض سير الرسل عليهم الصلاة والسلام حيث تظهر لنا وحدة رسالتهم كما أسلفنا ، واتفاقهم في الدعوة على خط واحد ، وحيث ان الايمان بهم يقتضي عدم التفريق بين أحد منهم ، وكذا عدم التفضيل بينهم تفضيلا ينتقص من المفضول ويحط من قدره .

(فالايمان بالرسل على هذا النحو يدعم معنى الاخوة التي يجب أن تتحقق بين بني الانسان ، لاننا اذا عرفنا أن الرسل جميعا من بني آدم ، فهم اذا اخوان لنا ، واذا عرفنا أن دينهم جميعا هو دين الاسلام ، فنحن اذا جميعا ندين بدين واحد .

فليس هناك مجال للفرقة ، وليس هناك مجال ولا داع للخلاف ، على هذا يكون الايمان بالرسل أكبر دعامة في اقامة مجتمع سليم وعلى قواعد متينة ، هدفه توحيد البشرية ، وتوجيهها الى الدينونة للواحد القهار) (١)

فالاسلام اذا قد وضع أساسا للتعارف والاخاء والوحدة بين شعوب الأرض جميعا ، لأن الناس متى آمنوا بجميع المرسلين سهل التفاهم بينهم على ما يبقى بينهم من خلاف .

ولا بد هنا من كلمة نوجهها الى كل العاملين في ساح الاسلام : بأن يبادروا الى الاتفاق على خطة عمل واحدة ، لأن العدو متربص بنا ، يواجهنا بكل تخطيط ودقة ، ويتحد كل أعداء الله ليرمونا عن قوس واحدة ، وليقاتلونا من خندق واحد .

---

(١) من كتاب - أسس الدعوة وآداب الدعاة - لمحمد السيد الوكيل ص ١٠٤

فمقتضى العقل والمنطق ، ومنطق البديهة أن لا نجابه العدو متفرقين ،فلا بد من اتحاد قلوبنا أولا باخلاصها لله وتجردها ،ثم رص الصفوف بالمخلصين من العاملين ،يجمعهم ما يتفقون عليه من اصول الاسلام ،ويعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه من الجزئيات . فذلك لعمرى أصوب للعمل وأجلب للنصر باذن الله .

ثانيا :

الايمان بالرسل يطمئن المؤمن ، ويشد أزره بمن سبقه على الدرب :-

فكما قلنا أن رسل الله عليهم السلام سلسلة قديمة طاهرة ،امتدت شجرتها ، وموكب موصول تماسكت حلقاته ، ودعوة واحدة حملها رسول بعد رسول ،وآمن بها ويؤمن بها من يقسم الله له ذلك الخير اذا سبق في علم الله استحقاقه اياها .

وهذا التقرير من شأنه ان يسكب الطمأنينة في قلب المؤمن ، وفي قلوب العصبة المؤمنة ايا كان عددها ، ان هذه العصبة ليست وحدها ، ليست مقطوعة من شجرة ،انها فرع منبثق من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وحلقة في موكب جليل موصول ، موصولة أسبابه بالله وهداه .)(١)

ونحن نقدم هذا الى مؤمنى هذه الحقبة من الزمن ،وقد عاشوا غربة الايمان عن هذه الجاهلية الشاردة عن الله وهداه .

تطمينا لهم وتهنئة ،بأنهم على طريق الله وقد انخرطوا في صفوف من سبقهم من الدعاة الى الله ،فسلفهم في ذلك وقدوتهم خير خلق الله ،ولئن رجمهم قومهم عقوقا ،ووصموهم بالرجعية صلفا ، فحق لهم أن يفتخروا بهذه الرجعية التى ترجعهم الى تلك السلسلة الطاهرة النقية ،

---

(١) انظر طريق الدعوة في ظلال القرآن -لأحمد فائز -ص ٤٠ - ٤١

فما عليهم : الا الصبر ، والتوجه الى الله بضراعة أن يثبتهم وايانا على طريق الحق ، وأن يجمعنا جميعا مع النبيين والصديقين والشهداء يوم نلقاه .

رابعا :

الايمان بالرسل : يدل على عظم اسلوب القدوة العملية :-

فالايمان برسل الله وأنبيائه ، يوضح لنا مثلا عليا انسانية ولكنها واقعية ، وتبرز لنا قدوات بشرية ممتازة ، استطاعت أن تجمع من مكارم الاخلاق ، وصوالح الأعمال ، وفضائل النفوس ، حقائق واقعة ، وشخوصا مرئية للناس ، لا مجرد أفكار في بعض الرؤوس ، أو اماني في بعض النفوس ، أو نظريات في الكتب والقراطيس .

ذلك أن جمهور الناس ليسوا فلاسفة يؤمنون بالمجردات ، وانما يؤمنون ويتأثرون ، وينفعلون بما يشاهدون وما يحسون .

لذا اقتضت حكمة العليم الخبير بنفوس من خلق ، ان يرسل اليهم رسلا منهم ، لا ملائكة من غير جنسهم ، لأن الانسان لا يقتدى ولا يتأسى الا بمثله) . (١)

وقد استبعد المشركون أن يكون الرسل بشرا مثلهم ، وقالوا منذ عهد نوح (لو شاء الله لأنزل ملائكة) . (٢)

وقالوا في عهد محمد (ابعث الله بشرا رسولا) (٣)

فرد الله تعالى عليهم : (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) . (٤)

لأن الحكمة هي التمكن من الاستفادة وتلقى الهدى كاملا عن الرسول ، ولو بعث الله الى البشر رسولا من الملائكة لما استطاعوا مواجهته ، ولا الأخذ عنه ، ولهذا قال : لو كان في الأرض ملائكة يعيشون كعيشتكم لنزلنا عليهم الرسل من جنس الملائكة ولما كنتم أنتم بشرا بعثنا لكم رسلا منكم لطفا ورحمة . (٥)

---

(١) الايمان والحياة - للقرضاوى ص ٤١ .
(٢) سورة المؤمنون - ٢٤ -
(٣) سورة الاسراء - ٩٤ -
(٤) سورة الاسراء - ٩٥ -
(٥) انظر تفسير ابن كثير عند تفسيره هذه الآية من سورة الاسراء .

خامسا : الايمان بوحدة الدين عند الله فهو واحد ثابت : -

وهذا يظهر جليا من دراسة رسالات الرسل السابقين ، لنخرج بنتيجة هي بمثابة (نظرية الاسلام في خط سير الأديان) هذه النظرية تقوم على أن دين الله في جميع الأماكن والازمان واحد لايتغير ، وان تغيرت المناهج والشرائع باختلاف ظروف البشر الزمانية والمكانية ومستواهم من الوعي والنضج الفكرى ، وتنبني نظرية الاسلام في الأديان على الاعتراف بكل ما جاء به الرسل ، وانهم جميعا جاءوا بالاسلام الصحيح والتوحيد الخالص ، ثم ان البشر بعوامل مختلفة انحرفوا نحو الجاهلية والشر وحرفوا الرسالات والأديان ، حتى شاء الله بثباته واكماله وتعهد بحفظ دينه في رسالة النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى :

(قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)(١) .

وقال تعالى :

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما أوحينا الى ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب)(٢)

---

(١) سورة البقرة - ١٣٦ -

(٢) سورة الشورى - ١٣ -

فالتصور الاسلامي للأديان ، ان الدين عند الله الاسلام ، وان من يبتغي غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وأن الأنبياء جميعا من لدن آدم عليه السلام وانتهاء بمحمد صلى الله عليه وسلم حملوا لواء هذا الدين الواحد .

وقد أكد الله في القرآن الكريم هذا المعنى تأكيدا تاما ، فذكر على لسان نوح قوله (وأمرت أن أكون من المسلمين)(١) ، وعلى لسان ابراهيم واسماعيل : (ربنا واجعلنا مسلمين لك)(٢) ، وفي وصية يعقوب لأولاده : (ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون)(٣) ، وعن موسى عليه السلام : (فعليه فتوكلوا ان كنتم مسلمين)(٤) ، وفي معرض الحديث عن التوراة : (يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا ..)(٥) ، وعن يوسف عليه السلام . (توفني مسلما والحقني بالصالحين)(٦) ، والحديث الصحيح بان الانبياء اخوة أبناء علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد كذلك .

وأخيرا يصور الرسول صلى الله عليه وسلم موقفه من الأنبياء قبله ، وانه ليس الا اللبنة الأخيرة في هذا الصرح الكبير فيقول (مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين)(٧) .

---

(١) سورة يونس - ٧٢ -
(٢) سورة البقرة - ١٢٨ -
(٣) سورة البقرة - ١٣٢ -
(٤) سورة يونس - ٨٤ -
(٥) سورة المائدة - ٤٤ -
(٦) سورة يوسف - ١٠١ -
(٧) أخرجه الشيخان .

وبهذا التمام والكمال أصبحت البشرية كلها مطالبة به بعد نسخ الشريعة الخاتمة ، لكل ما سبق من الرسالات والشرائع .

واذا علمنا انه لايوجد الآن أى كتاب دينى متصل السند صحيحه في العالم أجمع غير القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعد أن طمست معالم الحق في كل الرسالات سواه ، أدركنا أن الانسانية اذا أرادت أن تستسلم لربها وان تتبع دينا فيه صلاحها دنيا وأخرى ، فليس أمامها الا اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى ليست مختارة في ذلك فان الله لايقبل غيره ، وقال صلى الله عليه وسلم :

(والذى نفسي بيده لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار) (١) .

---

(١) أخرجه الامام مسلم ، وانظر الاسلام - لسعيد حوى جـ ١ ص ٥-٨ ط ٢٠/

سادسا :

استشعار حكمة الله البالغة ورحمته الواسعة :-

فحكمة الحكيم ، ورحمة الرحيم ، هما اللتان اقتضتا الا يترك الناس سدى ، (أيحسب الانسان أن يترك سدى) (١) ولا يعذبهم قبل البلاغ والتبشير والانذار : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (٢) .

ولا يتركوا للخلاف يأكلهم ، والخصام يفرقهم دون حكم عدل بينهم :-

(فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) (٣) .

والله يعلم تبارك وتعالى الاصلاح لهذا الانسان الا بما تباعه لهدى المرسلين ، لذا فان الله تبارك وتعالى لم يترك أمة من الأمم الا وقد أرسل لها رسولا .

(وان من أمة الا خلا فيها نذير) (٤) . (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٥) .

(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) (٦)

وقال عليه الصلاة والسلام (أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله) (٧) .

---

(١) سورة القيامة - ٣٦ -

(٢) سورة الاسراء -١٥ -

(٣) " البقرة - ٢١٣ -

(٤) " فاطر - ٢٤ -

(٥) " النحل -٣٦ -

(٦) " ابراهيم - ٤ -

(٧) أخرجه الترمذى .

وهكذا اقتضت حكمة الله ورحمته ارسال رسل الى البشر رحمة بهم ورأفة وهداية ، وكذلك حتى لا يبقى للناس عذر ولا حجة يوم القيامة :

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (١) .

ولو لم يرسل الله الرسل الى الناس لجاءوا يوم القيامة يخاصمون الله جل وعلا - ويقولون كيف تعذبنا وتدخلنا النار ، وأنت لم ترسل الينا من يبلغنا مرادك منا - كما قال تعالى : (ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) (٢) .

سابعا :

النزول الى واقع المجتمعات والتفاعل مع أحداثها :-

فرسل الله كما رأينا وعلمنا بشر مثلنا ، وكانوا يعيشون حياتهم كلها كما يعيش باقي البشر ، ولأنهم كذلك فقد تفاعلوا مع قضايا مجتمعاتهم ، وكان نضالهم وجهادهم دائما ينطلق من واقع تلك المجتمعات ، لا من نظرية محلقة في السماء لا يتمكن الا القليل من الناس وعيها وادراك ابعادها .

ولعل هذه (الواقعية) هي التي برهنت للناس - عموم الناس - على جدية هذه الرسالات في التصدى لمشاكل الانسان في كل عصر ، والناس في كل عصر قلما يتفاعلون مع (النظريات والأفكار) بقدر ما يتفاعلون مع (المواقف) .

والحديث الطويل العريض عن العدالة والقسط يغني عنه موقف واحد أو وقفة واحدة مع مظلوم واحد ، لأن تلك الوقفة هي المحك العملي لمصداقية الدعوة من أجل العدالة والقسط .

---

(١) سورة النساء / ١٦٥

(٢) سورة طه /١٣٤

ولقد كان رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أصحاب مواقف لا أصحاب نظريات وأفكار فحسب ، ومن هنا صار الناس يتعلقون بهم ويؤمنون بهم .

هذه الواقعية الجدية التي دائما تتبدى على شكل موقف جدى مع العدل وضد الظلم ومع الاستقامة وضد الاعوجاج ، ومع الطهارة وضد الارتكاس ، ومع القوة والتماسك والنظافة ، وضد الضعف والرهل والقذارة ، اقول هذه الواقعية هى التى أدخلت الناس في دين الله أفواجا .

فدعوة شعيب مثلا كانت موجهة ضد جشع التجار ، وضد اشكال الدناءة التجارية التى كانت شائعة فيهم وما زالت في مجتمعات العصر :-

(والى مدين اخاهم شعيبا ، قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى آراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط) (١) .

فدعوة شعيب لم تكن دعوة مجردة انما جاءت باسم الله لتحارب واقعا اقتصاديا يقوم على الاستغلال والدناءة والابتزاز .

ودعوة موسى عليه السلام كانت موجهة ضد الطاغوت والتسلط والعجرفة التاريخية التي كان يمثلها فرعون وما أكثر فراعنة عصرنا هذا .

قال تعالى : لموسى وهارون -

(اذهبا الى فرعون انه طغى ، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (٢) فاتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ...)

يأتى موسى واخوه عليهما السلام ويقولان لفرعون ! ارفع يدك عن هؤلاء المستضعفين.

ودعوة لوط عليه السلام كانت مرتبطة بواقع اجتماعي منحل ، جاء لوط باسم الله ليهاجمه ويعلن المفاصلة معه .

---

(١) سورة هود - ٨٤ -

(٢) سورة طه -٤٣- ٤٧ -

(كذبت قوم لوط المرسلين ، اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله واطيعون ، وما اسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين ، اتأتون الذكران من العالمين ، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) .(١)

وهكذا تنتظم رسل الله جميعا قاعدة واحدة في العمل للاسلام وهي الواقعية الحركية ، والتفاعل الحي مع قضايا امتهم ، واحداث مجتمعاتهم ، ولم يجعلوا دعوتهم نظرية فكرية بحتة تتخذ من العقل والفكر ترفا فكريا وعقليا ، دون البحث في ما يعانيه الناس أو مهاجمة مظاهر الفساد في كل مناحي الحياة .(٢)

---

(١) سورة الشعراء ١٦٠ — ١٦٣

(٢) من مقالات (في السياسة الشرعية) للدكتور عبدالله النفيسي ((مجلة المجتمع الكويتية عدد (٥٧٠) بتاريخ ١٨ رجب ١٤٠٢هـ))

الرسل أعلام هادية في الطريق الى الله واقامة دينه :-

ان الأنبياء والمرسلين هم صفوة خلق الله تبارك وتعالى ، وأكملهم اخلاقا ودينا ، ولقد قص الله علينا من قصصهم الشيء الكثير ، وذلك ذكرى وعبرة ، ليكونوا أولا : النماذج والقدوات في تطبيق أحكام دين الله في الأرض كما أسلفنا .

وليكونوا ثانيا : النماذج الحية الصادقة امام البشر في الثبات على دين الله ، ومواجهة المحن والعقبات . وليكونوا الاسوة الحسنة في حملهم لدعوة الله يواجهون بها كل باطل ، ويبلغونها لجميع فئات المجتمع الانساني .

(لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) . (١)

ولذلك أمرنا رب العزة ان نقتدى بهم ، وان نسلك سبيلهم :

(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (٢)

فالأنبياء والرسل هم القادة في الدعوة الى الله ، والأساتذة المخلصون لكل داع يريد النجاح فى دعوته .

هذا وان مواقفهم مع اقوامهم ومواجهتهم لمجتمعاتهم بكل أشكال المواجهة ، سفر خالد لكل الدعاة الى الله الى أن يرث الله الأرض وما عليها .

فآدم عليه السلام :-

وخطيئته التى كانت سببا لاخراجه من الجنة ، ثم توفيق الله له للتوبة ، واجتباؤه وقبوله فى الصديين ، كل ذلك ليعلمه الله تبارك وتعالى بوسيلة تجريبية ودرس علمي ، كيف يتخلص من المعصية ، ان المتشابه ، وهو درس له عليه السلام ولذريته من بعده ، ولاسيما وانه خليفة الله في الأرض يعمرها ويعيش فيها ،

---

(١) سورة يوسف - ١١١ -

(٢) سورة الأنعام - ٩٠ -

ويتعرض للخطأ والصواب ، وللحلال والحرام ، وهو بحكم تكوينه الخلقي : فيـــه الاستعداد للخير وللشر .

(ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها)(١) ، فيتعرض للزلل والخطأ فكيـــف يتخلص من هذا ؟ فكان لابد من هذا الدرس الأول للبشرية وأن يكون محل التجربة اباها الأول عليه السلام .

ولقد زخرت قصة آدم مع ابليس واخراجه من الجنة ، بدروس هامة كان من أهمهـــا ، أمر الكبر والاعتداد بالنفس ، والاستعلاء بالباطل الذى صدر عن ابليس فكان حفضيا الى كفره وطرده من رحمة الله .

وهذا درس لمن يستنكف عن الخضوع لأمر الله ، ويستكبر عن تحكيم منهجه فـــي الحياة ، بانه على خطر انزلاق قدمه خارج حدود الاسلام .

ودرس آخر نتعلمه من قصة آدم عليه السلام : انه لا يأس من رحمة الله ، لان اليأس والقنوط خروج عن الملة ، فما على المرء الا أن يرجع ويتوب ويجدد العهد معربـــه بصدق ليقبله الله تائبا طاهرا .

ونوح عليه السلام :

هذا الرسول الكريم الداعية الصابر ، وصاحب النفس الطويل في الدعوة الى الله ، حيث انه استمر في دعوته لقومه قرابة العشرة قرون ، كل ذلك دون أن ييأس فـــي دعوته لقومه وامكان هدايتهم .

---

(١) سورة الشمس - ٧ - ٨ -

(قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا ،فلم يزدهم دعائي الا فرارا ، واني كلما دعوتهم لتغفر لهم ، جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ، واصروا واستكبروا استكبارا ، ثم اني دعوتهم جهارا ، ثم اني اعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا ...)(١) .

فهذا درس عملي في وجوب الصبر على المدعوين والحلم عليهم ، وفي عدم استعجال الخطى ، أو تخطي المراحل لقطف الثمار وهي لا تزال فجة .

فالمطلوب ان تحمل جهدك مخلصا ضمن الخط السليم ، والطريق الصواب ، والباقي على الله ، فعلينا السعي وليس علينا جلب النصر أو ادراك النجاح فكل ذلك بيد الله .

<u>وفي الصبر على البلاء وتحمل الاذى :</u>

حقق الانبياء والرسل في ذلك أعظم الأمثلة ،وبلغوا الأرقام القياسية في الثبات على طريق الله ، والاستمرار في حمل اللواء حتى آخر لحظة يقدرها الله .

وفي مقدمة الأنبياء الذين حققوا هذه القيم نوح عليه السلام كما أسلفنا ، انه صبر على قومه ليس سنوات ولا عشرات السنين بل قرونا طويلة ، متحملا استهزاء قومه وسخريتهم ، ولكن صاحب المبدأ العظيم يتحمل كل ذلك في ذات الله ويعرض عن الجاهلين .

وابراهيم عليه السلام : ألقي في النار ، ثم يهدده أبوه بالطرد أو ترك دينه قائلا له (لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا)(٢) .

---

(١) سورة نوح - ٥/٩ -

(٢) سورة مريم - ٤٦ -

ويعقوب عليه السلام :

يصبر على فراق ولده يوسف حتى يذهب بصره من شدة الكرب وبثه شكواه للواحد الأحد ،ثم فراق ابنه الآخر عنه وكل ذلك ممزقات للنفس الا من عصم الله .

ويوسف عليه السلام :-

وصبره على ظلم اشقائه ، وصبره على السجن ، وابتلي بكيد النسوة ، وامرأة العزيز .

وأيوب عليه السلام :-

حيث ابتلي ابتلاء شديدا ، فصبر على آلامه ، وعلى زوجته كذلك .

وهذا موسى عليه السلام :

ابتلي ببني اسرائيل ، فصبر على تعنتهم ، وتكذيبهم ، وكثرة اسئلتهم ، وطلبهم للآيات عنادا وعنتا .

وقصة التحمل والثبات على المبدأ يجسده لنا النبيان الكريمان يحيى وزكريا ، حيث قتلهما بنو اسرائيل شر قتلة .

وهذا النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ، وصبره في فترة الاستضعاف في مكة ،لقي اثناءها العنت الشديد من صناديد الكفر ، فالقي التراب والقذر على رأسه الشريف،وخرج الى الطائف طالبا النصرة ، فيرد عليه أهل الطائف شر رد فأغروا به صبيانهم وسفهاءهم فضربوه وأدموه ، . . وحكم عليه وعلى أصحابه بالسجن في شعب أبي طالب ، ذاقوا اثناءه المر وأكلوا ورق الشجر .

ثم أخرج من مكة مهاجرا تتعقبه فرسان مكة ،ولقد خضب وجهه بالدم يوم أحد وغير ذلك .

وهكذا نجد أن الأنبياء الكرام كانوا أروع من صبر على المحن حين ابتلوا بها ،

وأصدق من ثبت في الامن التي امتحنوا بها ، وهم الأطهار الأبرار ، صفـــوة الخلق ، لكنهم استعذبوا الايذاء في ذات الله ، وتحدوا كل أنواع الفوارع ايثارا للآخرة على الأولى ، ولو آدى بهم الأمر لتقديم اعز ما يملكون أرواحهم على مذبح الشهادة لتحيا دعوة الله ويحيا الحق وأهله وينتحـــر الباطل ويندحر .

الفصل الخامس

الإيمان باليوم الآخر وأثره في النفس والمجتمع

الايمان باليوم الآخر

الايمان باليوم الآخر ركن من أركان الايمان ، وجزء من أجزاء العقيدة .

قال تعالى :

(والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) (١) .

وقال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقكم الله من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) (٢) .

وقال :(الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا) . سورة النساء (٨٧) .

وكما صح في حديث جبريل الصحيح المتقدم (ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ..)

والايمان باليوم الآخر هو العنصر الهام الذى يلي الايمان بالله عز وجل مباشرة ، لان الايمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذى صدر عنه الكون ، والايمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذى ينتهي اليه هذا الوجود .

المقصود باليوم الآخر :-

هو الايمان بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه ، وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه ، والبعث ، والحشر ، والصحف ، والحساب ، والميزان ، والحوض ، والصراط والشفاعة والجنة والنار ، وما أعد الله تعالى لأهلهما جميعا) (٣) .

---

(١) سورة البقرة - ٤ -
(٢) سورة البقرة - ٢٥٤ -
(٣) انظر الايمان - محمد نعيم ياسين - ٥٨ - والكواشف الجلية - ٩٤٥ -

ومقدمات الساعة من أشراطها الصغرى والكبرى .

ومنكر اليوم الآخر وما صح به وباحداثه النقل الصحيح ، يخرج من الملة .

(ياأيها الذين آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) (١) .

(ان الذين لايرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا ، واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) (٢) .

اهتمام القرآن بهذا الركن :

ولقد حفل القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر ، واهتم بتقريره في كل موقع ، وبشتى الأساليب ، وفي كل المناسبات ، ومن مظاهر هذا الاهتمام : -

أولا : ربطه الايمان بالله :-

كما قال تعالى : (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) (٣)

(ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٤)

(قاتلوا الذين لا يوءمنون بالله واليوم الآخر) (٥) وأمثالها كثير في كتاب الله .

---

(١) سورة النساء -١٣٦-

(٢) سورة يونس ٧ - ٨

(٣) سورة البقرة -١٧٧-

(٤) سورة البقرة - ٦٢ -

(٥) سورة التوبة - ٢٩-

ثانيا : اكثار القرآن من ذكر اليوم الآخر حتى انك لا تكاد تمر على صحيفة من صحائف القرآن ، الا وتجد فيها حديثا عن اليوم الآخر وما سيكون فيه من الأحداث ، والأحوال ، بأساليب كثيرة ومتنوعة ، كذلك نجد القرآن يفصل احداث ذلك اليوم تفصيلا قلما تجده في أمور الغيب الأخرى .

ثالثا : ومن مظاهر الاهتمام به أيضا ، ما سماه الله به من الأسماء ، التي يدل كل واحد منها على ما سيقع فيه من الأهوال فمن أسمائه في القرآن :- القيامة ، الساعة ، الآخرة ، يوم الدين ، ويوم الحساب ، يوم الفتح ، يوم التلاق ، يوم الجمع ، يوم التغابن ، يوم الخلود ، يوم الخروج ، يوم الحسرة والتناد والآزفه ، والطامة الكبرى ، والصاخة الحاقة والغاشية والواقعة وغيرها . (١)

حكمة الاهتمام به :-

وانما اهتم القرآن الكريم هذا الاهتمام باليوم الآخر لعدة أسباب :

أولا : لان مشركي العرب كانوا ينكرونه أشد الانكار :-

(وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا الا الدهر) (٢)

ثانيا : ان أهل الكتاب وان كانوا يؤمنون باليوم الآخر الا أن تصورهم له قد بلغ منتهى الفساد ، فالنصارى مثلا : يعتمدون فيه على وجود يسوع الفادى المخلص الذى يفدى الناس بنفسه ، ويخلصهم من عقوبة خطاياهم .

وهذا يطابق قول الهنود فى (كسرشنه) وبوذا سواء بسواء .

---

(١) انظر العقائد الاسلامية - سيد سابق - ص ٢٥٣ - ٢٥٨

(٢) سورة الجاثية - ٢٤ -

وعقيدة اليهود في الله واليوم الآخر ، لا تقل في فسادها وضلالها عن عقيدة النصارى والهنود .

ثالثا : ان الايمان باليوم الآخر يجعل لحياتنا غاية سامية ، وهدفا أعلى ، وهذه الغاية هي فعل الخيرات وترك المنكرات ، والتحلي بالفضائل ، والتخلي عن الرذائل .

رابعا :- ومن حكمة الاهتمام به كثرة نسيان العباد له ، وغفلتهم عنه ، بسبب تثاقلهم الى الأرض ، وحبهم متاع الدنيا ، فيكون الايمان به وبما فيه من عذاب ونعيم مخففا من الغلو في حب الدنيا ، وهو بذلك يستنهض هممهم وعزائمهم لتفضيل الدائم على الفاني الزائل ، ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى :-

(يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) (١) .

خامسا :- ولعل من حكمته الاهتمام به أيضا : ان وجود ذلك اليوم ، كان ولا يزال يثير استغراب الكافرين ، وتعجبهم ، لما يرونه ببصيرتهم القاصرة ، من مخالفة البعث لما يرونه ويحسونه من تحول الى رفات وعظام بعد الموت ، فبين الله لهم في كثير من المواضع ، ان الحس الذى يواجهون به هذه الحقيقة حس عاجز وقاصر ، لأنه من قدرة الله ، ومن أمثالها ما يحدث كثيرا امام ناظريهم في حياتهم ولكنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى في الصدور (٢) .

قال تعالى : (ق ، والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ، ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) (٣)

---

(١) سورة التوبة - ٣٨ -

(٢) انظر روح الدين الاسلامي - عفيف طباره - / ١٢١ .
والعقائد الاسلامية - سيد سابق / ٢٥٧
الايمان - محمد نعيم ياسين - ٥٨-٦٠

(٣) سورة (ق) ١-٣ .

أدلة الايمان باليوم الآخر ورد شبهات المنكرين :

لقد دل على الايمان باليوم الآخر ،كتاب الله ،وسنة رسوله ، كما يدل عليه العقل والفطرة السليمة .

فأكثر سبحانه من ذكره في كتابه ، وأقام عليه الأدلة ، ورد شبه المنكرين للبعث في كثير من المواضع ،كما فصل في القرآن أمور ذلك اليوم وحوادثه تفصيلا لم يسبق له مثيل في الكتب السابقة ، مع ان كل رسول أرسله الله ، بشر قومه وأنذرهم هذا اليوم العظيم .

فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه :

(والله انبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا) (١) .

وابراهيم عليه السلام يقول :

(والذى اطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) (٢) .

وقال الله تعالى لموسى عليه السلام :-

(ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يوءمن بها واتبع هواه فتردى) (٣) .

وأمر الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقسم به على البعث في أكثر من موضع :-

مثل (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ، قل بلى وربي لتبعثن) (٤)

وقد رد الله تبارك وتعالى على كل من أنكر البعث أوالقى شبهة في الاعتقاد به في كثير من الآيات

---

(١) سورة نوح ١٧ -١٨
(٢) سورة الشعراء ٨٢
(٣) سورة طه ١٥ - ١٦
(٤) سورة التغابن ٧

١- قال تعالى : (وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا ، قل : كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر في صدوركم ، فسيقولون : من يعيدنا ؟ قل : الذى فطركم أول مرة ،فسينغضون اليك رؤوسهم ،ويقولون : متى هو؟ قل : عسى أن يكون قريبا ،يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا)[١] .

٢- قوله تعالى :

(ياأيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقه وغير مخلقة ،لنبين لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء الى اجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ،ومنكم من يتوفى ومنكم من يريد الى أرذل العمر ، لكيلا يعلم من بعد علم شيئا .

وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ،وانبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور[٢] .

٣- وقوله تعالى : -

(وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ،أوليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم)[٣]

---

(١) سورة الاسراء ٤٩ - ٥٠

(٢) سورة الحج ٥- ٧

(٣) سورة يس ٧٨ - ٨١

يقول شارح الطحاوية في شرح هذه الآيات الكريمة :-

(فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان ،أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها ،بألفاظ تشبه هذه الألفاظ في الايجاز ووضوح الأدلة وصحة البرهان لما قدر ،فانه سبحانه ،افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد ، اقتضى جوابا ، فكان في قوله تعالى (ونسي خلقه) ما وفي الجواب واقام الحجة ، وأزال الشبهة ولما أراد سبحانه تأكيد الحجة وزيادة تقريرها ،قال (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) فاحتج بالابداء على الاعادة ، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى ، اذ كل عاقل يعلم ضروريا ان من قدر على هذه ، قدر على هذه ، وانه لو كان عاجزا عن الثانية ، كان عن الأولى اعجز وأعجز.

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق ، وعلمه بتفاصيل خلقه ، اتبع ذلك بقوله (وهو بكل خلق عليم) فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته فكذلك الثاني .

فاذا كان تام العلم ، تام القدرة ،كيف يتعذر عليه أن يحيى العظام وهي رميم) (١)

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٠ - ٤٦١

وانظر العقيدة الاسلامية وأسسها - للميداني - ص ٦٦٥- ٦٨٠ .

الآثار التربوية للايمان باليوم الآخــــر

ان عقيدة البعث واليوم الآخر تمثل اتجاها تربويا له أثره الواضح ،وانعكاساته الايجابية البارزة في نفوس المؤمنين بل وعلى الأمة من حيث كونها الخاتمـــــــة والخالدة والوصية على البشر .

ونحاول هنا أن نقف على بعض الآثار لليوم الآخر في النفس والمجتمع :ـــ

أولا ـ اكتمال تصور المسلم عن الحياة والوجود مبتدءة ومنتهاة :ـ

حيث ان النتيجة الطبيعية لنظرة الاسلام الى الكون والحياة هي الايمان بالحياة الباقية ،واعتبار ان الدنيا كل الدنيا وكل ما فيها ،مرحلة موقتـــــة غرور ،وان الكون وما فيه ،ما خلقه الله عبثا ،بل خلقه لحكمة سامية والى أجـــل مكتوب عنده .

فاذا انتهى أجل الكون والانسان والحياة البشرية ، أفنى الله هذا الكـــون وانهى الحياة القائمة عليه ،وأفنى كل شيء فيه ، ثم يخلق الله عالما آخـــــر ، غير هذا العالم ، له نظام ومكونات تختلف عن نظام هذا الكون ، وتكون حينئذ حياة خالدة لا موت بعدها ، ليقدر الله أعمال العباد ، ويزنها بالقسطاس المستقيم (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون)[١] .

وهكذا يتسع أفق المؤمن عند ايمانه باليوم الآخر ، ويتسع أفق الأمة وتكـــــبر شخصيتها .

وحقيقة الأمر ان هذه الأمة لايمكن أن تؤدي واجبها الا بأن تخرج بتصوراتها وقيمها عن حس ذلك الجحر الضيق ، الى تلك الآفاق والآماد الواسعة ،ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة الأعراف ـ ٨ ـ

ذلك لان اتساع التصور وتكامله وعمقه ، ينشيء كبرا في اهتمامات النفوس ، وارتفاعا في المشاعر ، ينشأ عنها بالتالي خلق وسلوك يغاير اخلاق وسلوك الذين يعيشون في الجحور. (١)

ثانيا : تربية الشعور الحقيقي بالمسوءولية على مستوى الفرد والأمة :-

فالايمان باليوم الآخر هو الوازع الحقيقي والدافع الفعال الذى يكمن وراء استشعار المسلم للمسوءولية ، ويعوده الحياة الجادة الحازمة .

والحقيقة ان هذا المستوى من التربية الجادة الواعية لا يتحصل بدون هذا الايمان ، ولذلك ندرك ان ميزة التشريع الالهي والمنهج الرباني تكمن في تقبل الناس له بطواعية واقتناع ، ودون حاجة في أكثر الأحيان الى استعمال سلطان العقوبات ، وبذلك يكفل ولا شك التزام حدود هذا المنهج الالهي في السر والعلن ، ودون احتيال أو تهرب .

كل ذلك ما دام يعتقد ان الملائكة الحفظة يكتبون (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين) (٢)

وما دام يوم الحساب والجزاء ينتظره بالمرصاد (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) . (٣)

فبقدر التزامنا بمنهج الله فهما وعملا وانضباطا ، نجد شعورا بالمسوءولية وتقديرا للواجب واخلاصا في العمل واداء أفضل .

---

(١) انظر - اليوم الآخر في ظلال القرآن - أحمد فائز - ص ٤

(٢) سورة الانفطار - ١١ -

(٣) سورة البقرة - ٢٨١ -

وكل ذلك تكوين رباني للأمة المسلمة الخالدة ، المؤهلة لقيادة البشرية ، والقيام بأمر الله في استخلاف الأرض ،فهيأها الله لهذه المرتبة السامقة بتربيته اياها على عقيدة الآخرة ،حتى بات عالم الآخرة في حس الأمة المسلمة أوضح وأثبت من عالم الدنيا الذى تعيشه فعلا ولهذا صلحت للريادة والقيادة وحق لها أن تستلم زمام قافلة البشرية عبر التاريخ .

ثالثا :

الاستقامة وتحقيق الاخلاق الفاضلة :-

ان الايمان بالآخرة والتصديق بيوم الدين ،يرسم للمسلم طريق حياته ويحدد له منهج عيشه ليسير عليه ،ولهذا فهو ناظر دائما الى السماء ،يزن كل شيء في ميزان الله الحق ،ويرجح بين مصالحه ليختار الأدوم والأكمل والأبقى .

لذا فاننا نراه يزن كل ما يصدر عنه ،ويتخلق في سلوكه وحياته بأدب الاسلام وأخلاقه ، ويبقى ثابتا على ذلك لانه أصيل في نفسه ،متغلغل في كيانه ، لأن الايمان هو الشجرة والتطبيق والاستقامة هما الثمرة ،ولا ثمر بدون شجر .

وهكذا يبدو المسلم في حياته يحقق اسلامه في نفسه وفي واقع حياته ، دون نفاق أو رياء ،فيكون مشعا للفضائل ،من حلم واناة وتضحية وصبر وسمو بالنفس عن الدناآت .

وذلك لما قلناه من عظيم أثر الايمان اليوم الآخر في توجيه الانسان واستقامة سلوكه ،والتزامه العمل الصالح وتقوى الله عز وجل .

وشتان ما بين اثنين ، احدهما لا يعتقد ببعث ولا حساب على أعماله وأقواله ،ولا يقيده غير مصلحته الشخصية ، ومنفعته الذاتية ، وآخر يعتقد بيوم يحاكم فيه الانسان على أعماله وأقواله امام أعدل العادلين ـ

فيثاب على الخير ، ويعاقب على الشر ، فالأول منفلت من أى ضابط سوى هواه وشهوته والغاية عنده غاية أنانية تبرر أية وسيلة وأى خلق وأى عمل ، مهما كان ضرره ، والآخر منضبط في حدود الحق والخير والصلاح .

ولهذا نجد القرآن الكريم يربط بين الايمان باليوم الآخر والعمل الصالح في كثير من الأحيان مثل (أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) (١)

وقوله تعالى :-

(انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر .) (٢)

وقوله (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) (٣)

وقوله عز من قائل (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) (٤)

وهكذا يحسب المؤمن حساب ذلك اليوم وما فيه من أهوال عظام ، وكرب شداد ، فيضاعف من طاعته لله ، وينفر من مساخطه راجيا ثوابه ومشفقا من عذابه فيذكره ظلام الليل وجلسة الوحدة ، بظلام القبر ووحشته ، حيث لا نور ولا جليس الا الايمان وما قدم من صالح العمل .

فيحرص على تبليغ دعوة الله للناس ، ويكون قدوة صادقة حسنة في سلوكه قولا وعملا ومواقف ثابتة شجاعة في وجه الباطل وأهله .

يشعر دائما بزوال هذه الدنيا ومرجعه الى داره الحقيقية ، لذا فهو متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، سريع العبرة ، حاضر الدمعة ، شديد الخوف ، لايكاد يهنأ الا اذا أقبل على الله تعالى في طاعة . (٥)

---

(١) سورة الماعون ١ -٣

(٢) سورة التوبة ١٨

(٣) سورة المجادلة ٢٢

(٤) الطلاق - ٢-

(٥) انظر - الايمان - محمد نعيم ياسين ص ٥٩ - ٦٠
وانظر أركان الايمان - وهبى سليمان الغاوجي ص ط ١ مؤسسة الرسالة .

رابعا : انضباط الغرائز والدوافع :-

فالايمان بالبعث على أنه موعد للانصاف ، وانتصار للحق ، وخذلان للباطل ،الايمان بالبعث على هذا النحو ،يكون له أكبر الأثر في تهذيب الغرائز الانسانية ، وضبط الدوافع الجامحة العاتية ، بل والتحكم في كل هذه القوى الغريزية القوية .

ويكون ذلك حين يستشعر المرء أن عمله محسوب عليه ،وانه مسؤول عنه خيرا أو شرا فيكون ذلك كابحا له عن التمادى في الغي ،وجرس انذار ينبه غرائزه ان اغرته بتجاوز الحدود المشروعة ،حتى لا توردة في ما يهلك ويدمر.

والقاعدة في ذلك هي تربية المشاعر والضمائر على الخوف من الله تعالى ، والطمع في نعيمة الدائم ،فالنتيجة هي الاستسلام والخضوع والاذعان لما شرعه الله .

مع العلم بأن الله تعالى قد جعل ووضع لكل دافع غريزى من الترغيب والترهيب ، ومن التسامي به ،ما يخضعه لشريعة الله ، فيحوله الى طاقات مثمرة بناءة في حياة الفرد والجماعة ،بدلا من ان يعاكس هذه الدوافع فتنقلب الى طاقات مبددة متمزقة حين يصدمها بالكبت والاحباط ،

فتوجيه الدوافع في الاسلام خير ألف مرة من كبتها أو تناسيها كما في العقائد أو الأفكار الأخرى والتي تبالغ في الزهد المنحرف دون مراعاة الفطرة الانسانية وخصائصها .(١)

---

(١) انظر - التربية الاسلامية - للنحلاوى . ص ٩٠

(٢) وانظر شبهات حول الاسلام - محمد قطب - فصل الاسلام والكتب .

خامسا : ايثار الآخرة على ألدنيا والصبر على شدائدها :-

ان ما تعج به الحياة الدنيا من صنوف المغريات وأشكال الفتنة والاغراء ، وما يقابل ذلك من المصائب والشدائد ، والمحن التى تصيب الأفاضل المؤمنين ، يكيدها لهم اتباع الشياطين ، كل ذلك لاعلاج له ولا شفاء ولا يمنح المناعة والصلابة التي تمكن النفس من مجابهة الدنيا وما فيها، الا ما يربيه الاسلام في النفوس من ايثار الآخرة على الأولى .

فنساء الرسول صلى الله عليه وسلم وهن من فضليات نساء ذلك العصر وما بعده ، اجتمعن ليطالبن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمتعهن بزينة الحياة الدنيا كما تتمتع نساء الملوك .

فنزل فيهن قول الحق عز وجل :

(يا نساء النبى ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة ، فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) . (١)

فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، وبقين في كنف رسول الله يصبرن على شظف العيش .

وقال تعالى (بل توثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) (٢)

وقال أيضا (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى) (٣)

---

(١) سورة الأحزاب ٢٨ - ٢٩

(٢) سورة الأعلى ١٧ - ١٨

(٣) سورة النازعات ٣٧ - ٤١

كل ذلك نهى عن ايثار الدنيا ونسيان الآخرة ، ولقد زخرت السنة النبوية المطهرة بكثير من الأحاديث التي تزهد في الدنيا وتعرفنا قيمتها الحقيقية مثل :

قوله صلى الله عليه وسلم : ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه في اليم ، فلينظر بم يرجع) (١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) (٢)

ولهذا حذر الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم أمته خطر الدنيا اذا انفتحت عليهم فيغتروا بها ناسين واجبات الآخرة .

وذلك ما روى في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الى البحرين يأتي بجزيتها ، فقدم بمال من البحرين ، فسمعت الانصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال : اظنكم سمعتم أن أبا عبيده قدم بشيء من البحرين ؟ قالوا : أجل يارسول الله فقال :

(ابشروا واملوا فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني اخشى ان تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم) — متفق عليه —

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال : (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) .

---

(١) رواه الترمذى في باب الزهد ، وابن ماجه في باب الزهد كذلك .

(٢) رواه مسلم في كتاب الزهد ، والترمذى وابن ماجه في كتاب الزهد كذلك .
سجن : أى ممنوع من شهوات الدنيا المحرمة ، وسجن بالنسبة لنعيمه المدخر وأى سجن أكثر من محنها ومكابدات الهموم والاسقام .
انظر رياض الصالحين ص ٢١٧ .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول (اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا اصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك) (١)

والمطلوب أن يجعل المسلم الدنيا في يده لا في قلبه ، ولا ينسى نصيبه من الدنيا ولكن يرنو في كل ذلك الى الآخرة ، فهي داره وقراره ، ومستقره ومتعته .

فاليقين بالآخرة هو الضمان ليقظة القلب البشرى ، واستدامة تطلعه الى ما عند الله ، ومن ثم استعلاوة على مغريات الأرض ومفاتنها ، وترفعه عن متاعها طلبا للباقي الدائم من النعيم المقيم عند رب العالمين فيعيش على هذا الأمل الباسم .

سادسا : الايمان باليوم الآخر يفيض رضا وارتياحا على النفوس ، وينفي السخط والقلق :

وبدون فكرة اليوم الآخر تتحول حياة الانسان الى عدم ، ولا يمكن أن يرتسم على الوجوه الا العبوس والاسى ، لأن الحياة كلها تغدو عديمة القيمة ، ليس فيها ما يستحق أن يبتسم له الانسان ، أو يعيش من أجله ، وحتى لو ملك ما في الدنيا ، واستمتع بكل ما فيها من ألوان المتع وصنوف الملذات ، فلا بد أن يبقى يحس بجوعة في روحه ، وبعطش وظمأ الى نعيم الآخرة الخالد ، وذلك لما يشعر به ويلمسه من تحول الأيام وتداول المكاسب ، وعدم بقاء ما في يده ، وانه هو وما يملكه لابد مدركه الفناء .

---

(١) انظر كتاب اليوم الآخر - عبد الغني عبود ص ١٣٩ - ١٤٥

وهذا ما يفسر لنا ظاهرة جديدة أخذت تكتسح مجتمعات الحضارة المزيفة، وهي موجه الانتحار العارمة التي تجتاح مجتمعات الرفاهية والتقدم ، والتى وصل أبناؤها الى كل ما يمكن أن يتفتق عنه العقل البشرى من وسائل الراحة والرفاهية والتقدم الهائل في علوم المادة ، وهم مع كل ذلك يهلكون انفسهم ، يتخلصون من حياتهم ، ينتحرون ، لا لضيق الحياة ، ولكن لفراغ هذه الحياة من أى معنى نبيل ، أو قيمة تستحق البقاء والثبات في ساح الحياة .

فبايضاح فكرة اليوم الآخر في ضمير الانسان وايمانه بها ، تتحول حياته الى سعادة ونعيم في طاعة الله ، وتملأ القناعة جوانحه وهي أكبر كنز يحوزه ، حتى ولو انعدمت كل أسباب الحياة المادية للمؤمنين بها (١) .

فالاعتقاد باليوم الآخر اذا نعمة يهبها الله للفرد فتفيض على القلب حيوية وانسا ، ولها الدور الفعال في نفي القلق والسخط والقنوط من النفوس .

وذلك باعتقاد : ان الحساب النهائي ليس في هذه الأرض .

والجزاء ليس في هذه العاجلة ، بل ان الحساب الختامي هناك والعدالة المطلقة مضمونه في هذا الحساب . وهذا الاعتقاد يحل اشكالات كثيرة وحالات نفسيه معقده في نظر مشا في المادة الصماء .

فالاعتقاد باليوم الآخر دواء يشفي من علل كثيرة تمرض الروح وترين على القلب ، فهو لا يندم على الخير والجهاد في سبيله اذا لم يتحقق في الأرض أو اذا لم يلق جزاءه .

---

(١) انظر كتاب اليوم الآخر - عبد الغني عبود ص ١٣٩ - ٤٥ .

ولا يقلق على الاجر اذا لم يوف في هذه العاجلة بمقاييس الناس ، فسوف يوفاه بميزان الله .

ولا قنوط من العدل اذا توزعت الحظوظ ولم يوف حظه ، فالعدل لابد واقع .

وأخيرا فالتصديق بيوم الدين ، حاجز كذلك دون الصراع المجنون المحموم الذى تداس فيه القيم ، وتداس فيه الحرمات ، بلا تحرج ولا حياء .

فهناك في الآخرة فيها عطاء ، وفيها غناء ، وفيها عوض عما يفوت .

وهذا الشعور كما أسلفنا من شأنه ان يفيض السلام والرضى والتسامح في مجال السباق والمنافسة ، وأن يخفف السعار والتكالب على عرض هذه الحياة لظن انها الفرصة الوحيدة المحدودة . (١)

سابعا : الايمان بالآخرة يحث على العمل والنماء وزيادة الانتاج واقامة الحضارة :-

وذلك ان التنافس في نعيم الآخرة لا يدع الأرض خرابا بلقعا كما قد يتصور بعض المنحرفين أو الجهلة .

ولكن الاسلام يجعل الدنيا مزرعة الآخرة ، ويجعل القيام بخلافة الأرض بالعمار والصلاح والتقوى وظيفة المؤمن الحق ، على أن يتوجه بهذه الخلافة الى الله ويجعلها عبادة يرجو ثوابها وجزاءها من البر الرحيم .

وهذا المعنى هو الذى يوسع آفاق الحياة ، ويفسح المجال فيها للعمل والانتاج ، لان الانسان اذا تيقن ان كل أعماله تحصى عليه ، وسيبعث بعد موته لاستيفاء اجرها ، ازداد من الصالحات ، وبحث في نواحي الحياة المختلفة ليستغل الخير منها ويتزود به .

---

(١) انظر اليوم الآخر في ظلال القرآن - ص ١٦ - ١٧

وهناك تتفتح للنفس مجالات الخير على مصاريعها ، فيزكي نفسه بالصبر ، ويطهرها بالنفقة فيحصل التنافس والتسابق على الخير ، فيبني المشافي ويفتح المدارس ، وينشيء الملاجيء ، ويعمر البلاد ويسعد العباد .

ولهذا نرى اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه العقيدة وخصوصا في مكة وذلك ليقيم في نفوس الاتباع والأصحاب هذا الأساس المتين الذى سيشاد على متنه فيما بعد بناء الاسلام العظيم ، ولتنهض هذه الأمة لتأخذ مكانها بين الأمم .

وبعد فان الايمان بالآخرة ، هو القاعدة الصلبة التي تقوم عليها حضارة الاسلام ، وبالتالي كان أهم مميزات حضارتنا العظيمة انها تقوم على أساس الايمان باليوم الآخر ، وعلى اعتبار ان العمل للدنيا وتشييد هذه الحضارة هو في ذاته عبادة اذا أخلص المسلمون نيتهم لله رب العالمين .

وبذا تكتمل القاعدة الروحية والمعنوية التى تنضم الى القاعدة المادية ليقوم عليها بناء حضارة متكاملة .

الفصل السادس
الإيمان بالقدر
وأثره في النفس والمجتمع

الفصل السادس

الركن السادس

الايمان بالقضاء والقدر

الايمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الايمان ، وهو من أصول العقيدة الاسلامية . والأصل فيه حديث جبريل المتقدم ،عندما سأل جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان ،فقال صلى الله عليه وسلم :

الايمان : (ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) (١) .

وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم : - (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع :

يشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق .

ويؤمن بالموت ،ويؤمن بالبعث بعد الموت ،ويؤمن بالقدر) (٢)

فالايمان بالقدر واجب ، لتكتمل أركان الايمان ، ومن أنكره خرج من الملة .

معنى القضاء والقدر :-

في اللغة : القضاء : من قضى يقضي : الحكم ، يقال قضى عليه أي حكم ،ومنها الصنع والختم والبيان ،والاداء ،يقال قضى دينه أي أداه . (٣)

---

(١) رواه مسلم عن عمر بن الخطاب في كتاب الايمان ، وأخرج البخاري نحوه عن أبي هريرة في كتاب الايمان .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في باب القدر .

(٣) انظر القاموس المحيط باب الألف ، فصل القاف .

والقدر : يأتي في اللغة على معان : منها القضاء ، والحكم ومبلغ الشيء ، ومنها الغنى واليسار، ومنها المقدار : تقول قدرت الثوب فانقدر أى جاء على مقدار. (١)

أما في الاصطلاح :-

فقد اختلفت عبارات العلماء في تعريف القضاء والقدر ، فمنهم من جعلهما أى القضاء والقدر - شيئا واحدا -

ومنهم من عرف القضاء تعريفا مغايرا للقدر.

فقال : القدر : علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل .

والقضاء : ايجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وارادته. (٢)

وقد عكس بعض العلماء التعريف السابق ، فجعل تعريف القضاء للقدر وتعريف القدر للقضاء . (*)

كما قال ابن حجر: والقضاء علم الله أولا بالأشياء على ما هي عليه ، والقدر : ايجاده اياها على ما يطابق العلم) (٣)

وأرى ان الأمر محتمل فكلا التعريفين مرجعهما الى علم الخالق وقدرته عز وجل وانهما من خصائصه تبارك وتعالى لا يشاركه فيهما مخلوق .

وأما من عرفهما تعريفا واحدا : فقال :

هو النظام المحكم الذى وضعه الله لهذا الوجود ، والقوانين العامة ، والسنن التي ربط الله بها الأسباب والمسببات . (٤)

---

(١) المصدر السابق ، باب الراء ، فصل القاف .

(٢) تبسيط العقائد الاسلامية لحسن أيوب . ص ٧٧ .

(*) كبرى اليقينيات الكونية - للبوطي - ص ١٣٠

(٣) فتح المبين في شرح الأربعين - لابن حجر -.

(٤) العقائد الاسلامية - لسيد سابق ص ٩٣ ، وتعريف عام بدين الاسلام - لعلي الطنطاوى - ص ١٢٩ .

وقد سئل الامام أحمد رضي الله عنه عن القدر : فقال : القدر : قدرة الرحمن .

وهذا ما ذكره ابن القيم في قصيدته الكافية الشافية :-

فحقيقة القدر الذى حار الورى ... في شأنه هو قدرة الرحمن

واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد ... لما حكاه عن الرضا الرباني (١)

وتعريف أحمد رضي الله عنه كفى وشفى ، فالقدر يعني ما قرره الحق سبحانه في قوله تعالى :- (قل ان الأمر كله لله) (٢)

وقوله تعالى : (واليه يرجع الأمر كله) . (٣)

وفي قوله تعالى : (بيده ملكوت كل شيء) (٤)

وقوله (يدبر الأمر ما من شفيع الا باذنه)- يونس / ٣ وغيرها من الآيات التي تدل على انه لا يحدث شيء في الكون الا باذنه وارادته ومشيئته . (٥)

وعقيدة القدر مبنية في حقيقتها على الايمان بصفات الله عز وجل ، وأسمائه الحسنى ، ومنها العلم والقدرة والارادة .

وهو ما أكده الامام الطحاوي حين قال (وكل شيء يجرى بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد الا ما شاء الله ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه) (٦)

---

(١) شرح قصيدة ابن القيم جـ ١ / ٢٥٤

(٢) سورة آل عمران - ١٥٤ -

(٣) سورة هود / ١٢٣

(٤) سورة ياسين - ٨٣ -

(٥) الايمان - محمد نعيم ياسين - ص ٩٨ - ٩٩ -

(٦) شرح الطحاوية ص ١٥٣

مراتب القدر :

والايمان بقدر الله عز وجل لا يتم الا بان يؤمن المرء بمراتب القدر وهي أربعة :-

الأولى :- الايمان بعلم الله القديم الشامل :- فالله عز وجل علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذى هو موصوف به ازلا ، وعلم جميع أحوال العباد ، من طاعات ومعاصي وأرزاق وآجال . وان هذا العلم هو علم انكشاف لا جبر فيه .

المرتبة الثانية :- كتابة ذلك في اللوح المحفوظ :-

وان الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق ،فأول ما خلق الله القلم ، قال له اكتب : قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة .

كما قال تعالي : (ألم تعلم ان الله يعلم ما في السماوات والأرض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير) (١).

وقال تعالى : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير) (٢). وهذه الكتابة سابقة لا سائقة .

المرتبة الثالثة : الايمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة .

بأن يؤمن العبد بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ،وانه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون الا بمشيئة الله تعالى ، ولا يكون في ملكه الا ما يريد ، وانه سبحانه على كل شيء قدير.

---

(١) سورة الحج - ٧٠ -

(٢) سورة الحديد - ٢٢ -

المرتبة الرابعة : - ايجاد الله لكل المخلوقات ، وخلقه للأعمال .

فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء الا الله خالقه سبحانه ، لا خالق غيره ولا رب سواه . (١)

احتجاج الكفار بالقدر :-

أراد المشركون ان يحتجوا بقدر الله ومشيئته على شركهم وكفرهم ، لـه لـو لم يشأ الله لـهم الشرك لما وقعوا فيه ، وأبطل الله حجتهم ورد عليهم بقوله :

(سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هو عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون ، قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) . (٢)

وجواب الله رب العالمين للمحتجين بالقدر واضح يقوم على أمرين :-

الأول : ان الله عذب الكافرين الأولين وأنزل بهم عقابه ، فلو لم يكونوا مختارين لما ارتكبوه من الآثام والكفر والشرك ، لما عذبهم ، ولو عذبهم سبحانه وهم مجبرين ، لكان ظالما سبحانه ، والظلم منتف عن رب العزة جل جلاله .

الثاني : - ان الذي يحتج بالقدر على كفره ومعصيته ، متقول على الله بغير علم ، لان احتجاجه على أمر لم يقع اصدار حكم على الغيب ، وقدر الله غيب لا يعلمه الا هو سبحانه .

وبعبارة أخرى هل يصح لرجل أن يقول : كتب علي ربي أن أسرق فأنا ذاهب لتنفيذ قدره ؟

---

(١) راجع كتاب شفاء العليل - لابن قيم الجوزية . ص ٦٦ - ١٠٩ - ومجموع فتاوى ابن تيميه جـ ٨ . ص ٩٤ ، ٩٥

(٢) سورة الأنعام / ١٤٨ .

فهل اطلع على اللوح المحفوظ فقرأ ما فيه من الكتابة حتى يتقول بهذا .

وأجاب الله تعالى أولئك المحتجين بآية أخرى :-

(واذا فعلوا فاحشة ، قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) . (١)

وهذا انحراف فكري واضح ومغالطة مكشوفة لمن له عقل سليم .

تصحيح المنهج الفكري في أمر القضاء والقدر :-

والواقع ان هذا الاسلوب القرآني في الرد على أولئك المغالطين ، انما جاء ليصحح للناس منهجهم في الفكر والنظر ، وليبين لهم ان المطلوب منهم هو تنفيذ أوامره سبحانه واجتناب نواهيه ، وليس المطلوب أن يبحثوا عن غيبه المستور ، ليكيفوا أنفسهم على حسبه .

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في ظلال آية الأنعام السابقة :

(قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) : يقول :

(واللمسة الثانية ، كانت بتصحيح منهج الفكر والنظر ... فالله قد أمرهم بأوامر ، ونهاهم عن محظورات ، وهذا ما يملكون أن يعلموه علما مستيقنا .. فأما مشيئة الله ، فهي غيب لا وسيلة لهم اليه ، فكيف يعلمونه ؟ واذا لم يعلموه يقينا فكيف يحيلون عليه .

ان لله أوامر ونواهي معلومة علما قطعيا فلماذا يتركون هذه المعلومات القطعية ليمضوا وراء الحدس والخرص في واد لا يعلمونه .

---

(١) سورة الأعراف - ٢٨ -

ثم يقول رحمه الله :

هذا هو فصل القول في هذه القضية ،ان الله لا يكلف الناس أن يعلموا غيب مشيئته وقدره حتى يكيفوا أنفسهم على حسبه ، انما يكلفهم أن يعلموا أوامره ونواهيه ليكيفوا أنفسهم على حسبها ... وهم حين يحاولون هذا يقرر الله تعالى أنه يهديهم اليه ، ويشرح صدورهم للاسلام ... وهذا حسبهم في القضية التي تبدو عندئذ في واقعها العملي ، بسيره واضحة بريئة من غموض ذلك الجدل وتحكماته .

ان الله قادر لو شاء على أن يخلق بني آدم . ابتداء بطبيعة لا تعرف الا الهدى ،أو يقهرهم على الهدى ، أو يقذف بالهدى في قلوبهم فيهتدوا بلا قهر ... ولكنه سبحانه شاء غير هذا ! شاء أن يبتلي بني آدم بالقدرة على الاتجاه على الهدى والضلال ، ليعين من يتجه منهم الى الهدى على الهدى ، وليمد من يتجه منهم الى الضلال في غيه وعميانه . وجرت سنته بما شاء .

ويردف قائلا : فالقضية واضحة ، مصوغة في أيسر صورة يدركها الادراك البشرى ، فأما المماحلة فيها والمجادلة ،فهي غريبة عن الحس الاسلامي ، وعن المنهج الاسلامي ... ولم ينته الجدل في أية فلسفة أو أى لاهوت الى نتيجة مريحة ، لأنه جدل يتناول القضية باسلوب لا يناسب طبيعتها .

وبعد فلقد جاء هذا الدين ليحقق واقعا عمليا ، تحدده أوامر ونواه واضحة ، فالاحالة الى المشيئة الغيبية دخول في المتاهة ، يرتادها العقل بغير دليل ، ومضيعة للجهد الذى ينبغي أن يتفق في العمل الايجابي الواقعي)[1] .

---

(١) في ظلال القرآن ص ١٢٢٧ جـ ٨ . نقلا عن كتاب الايمان - لمحمد نعيم ياسين ص ١٠٤

كيف وقع الخلط في فهم القدر وتفرقت الفرق :-

ان أساس الخلط الذى حصل في فهم القضاء والقدر وتباين مذاهب الناس فيه أن مجموع النصوص التى تثبت للانسان ارادة وحرية اختيار ويملك من خلالها التصرف أوهمت/ انه مستقل في فعله وحركته.

ومجموع النصوص التى جعلها فوق ارادتنا وظاهرها لو أخذت مفرده عن بقية النصوص توهم ان الانسان مجبر لاخيار له في الأفعال .

كقوله تعالى : (وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين) سورة التكوير ٢٩

ونشأ هذا الخلط العجيب في المذاهب الكلامية ، فمن مدعٍ ان الانسان مسير لا ارادة له ولا خيار وهم الجبرية فان أفعاله مجبر عليها ولا أثر له في الفعل . (١)

وتوسع آخرون واعطوا ارادة الانسان أكثرمما لها في الواقع ، وادعوا ان الانسان يخلق فعله وليس الخالق ، فالزموا بوجود أكثر من خالق ،أو اقتضى قولهم وجود خالقين اثنين ، ومن هنا سموا مجوس الأمة .

وكذا تخبطوا في البحث فى عدالة الله عز وجل وقاسوا الخالق وعدالته على المخلوق وعدالته فانحرفوا عن الجادة وطريق السلامة في كل ذلك هو التزام منهج القرآن وما كان عليه السلف ، قبل تفرق الأمة واختلافها .

---

(١) انظر بتوسع الكتاب القيم (شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل) لابن القيم ، والمجلد الثامن من مجموع فتاوى ابن تيمية ـ كتاب القدر ـ

الصحابة الكرام امام عقيدة القدر :-

ان ما ذكرناه من أمر القدر وحدوده العامة ، هو القدر الذى يحتاجه المؤمن في حياته ، فيكفيه أن يعلم معناه ومراتبه ، وأن يؤمن ان الله بكل شيء عليم ، وهو خالق كل شيء ، وما شاء الله كان . وما لم يشأ لم يكن وانه عليم حكيم منزه عن العبث .

ولا يحتاج الموضوع أكثر من هذا ، فكل تكلف بالبحث عن ما لم يكشف لنا ، وطوى عنا ، فهو يقود الى الاختلاف والضلال .

فعلى المسلم أن يحترم عقله ويستعمله في طاعة الله وعمارة الكون ، وأن يؤمن بما عرض الله لنا من أمور الغيب ، ولا يذهب يخبط في ظلماء بلا نور أو دليل ، فان عاقبة ذلك هي الخسران .

وهكذا كان الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تربوا في مدرسة النبوة ، لما أرادوا الخوض في القدر والتعمق فيه نهاهم رسول الله عن ذلك فانتهوا .

وذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم والناس يتكلمون في القدر ، قال فكأنما تقفأ في وجهه حب الرمان من الغضب قال : فقال لهم : (ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ؟ بهذا هلك من كان قبلكم) . (١)

وعندما جاء رجل عليا رضي الله عنه ، يسأله عن القدر ، فقال : طريق مظلم فلا تسلكه ، قال اخبرني عن القدر . قال : بحر عميق فلا تلجه ، قال : اخبرني عن القدر قال سر الله فلا تكلفه) . (٢)

---

(١) رواه الامام أحمد عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده .

(٢) انظر العقائد الاسلامية - سيد سابق / ٢٢٠ ، تيسير العزيز الحميد / ٩٧

يقول الأستاذ سيد سابق عند ذكر هذا الحوار، فمثل هذا النهى انما ينصب على السؤال عن نظام الله في الحياة والموت، وبسط الرزق وضيقه وهكذا لا على الكلام في القدر نفسه) .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال لابنه عند الموت : يابني : انك لن تجد حقيقة الايمان حتى تعلم ان ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان أول ما خلق الله القلم قال له : اكتب ، فقال : يارب وما أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة يابني اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس مني (١))

وهكذا كان لهذا الايمان العميق الواعي المستسلم لله تعالى في نفوس الأصحاب رضي الله عنهم ، كان له أكبر الأثر ، فقد انطلقوا في الأرض وهم يحملون عقيدة القدر ، كما علمهم اياها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال لابن عباس رضي الله عنهما :

(ياغلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف (٢))

ففهم الصحابة للقدر لم يجعل ذلك حجة لهم لارتكاب المعاصي ، ولم سببا للقعود والكسل ، ولكنهم اتخذوا منه دافعا للعمل والجهاد كما يقول الشيخ علي الطنطاوى :-

---

(١) رواه أبو داود في باب السنة ، والترمذى في باب القدر .

(٢) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

فقرأنا نحن أن الرزق مقسوم فظن قوم ان مقتضى ذلك ترك الكسب واهمال السعي ، وان نقعد بلا عمل وننتظر أن تمطرنا السماء ذهبا وفضة .

وقرأ ذلك السلف ، ففهموا أن عليهم أن يعملوا كل ما في وسعهم وان يبذلوا كل طاقاتهم وجهودهم .

وسمعنا نحن ان الأجل محتوم ، فاتخذنا ذلك سببا لاهمال التوقي والاحتياط واضاعة المسؤوليات ، وسمع ذلك السلف فقالوا : اذا كان الأجل محتوما لا يموت أحد قبل موعده ولو خاض اللهب وتلقى بصدره الرماح ، فلنعمل لما يرضي الله ، نجاهد بأنفسنا في سبيل الله لا نخشى الموت ...)

وفهمنا أن كل شيء مقدر ، وأهملنا دراسة سنن الله في الكون ، وقوانين الطبيعة ، وكان سلفنا هم علماءها وأساتذتها ، فكانت النتيجة ان هبطنا من الذروة الى الحضيض ، ونزلنا من الأعالي الى الأسافل ، وكانوا بالايمان سادة الدنيا وقادتها ، فصرنا المسودين المقودين ...) (١)

---

(١) عن كتاب - تعريف عام بدين الاسلام - لعلي الطنطاوي - بتصرف ١٣٨ - ١٣٩ .

الآثار التربوية للايمان بالقـــــدر

ان للايمان بقضاء الله وقدره نتائج عظيمة في حياة الأفراد والمجتمعـات ، وحري بنا اذا أردنا صياغة أجيالنا على اصول عقيدتنا الصحيحة ،ان نغرس روح هذه العقيدة في قلوب الناس، ونتعدى معهم حدود الحفظ والتلقين الى استشراف اللباب في قضايا العقيدة ، ومحاولة التعايش مع المعاني وما تهدي اليه من التوجيهات والثمار والنتائج مما يستثير كامن الايمان في قلوبهـــم ، ويوقظ الفطرة المرصودة في حناياهم ، ليؤمنوا الايمان الحق ويلتزموا مقتضيات هذا الايمان عملا والتزاما بمنهج الله في واقع الحياة . ونعرض هنا الى بعض الآثار للايمان بالقدر:-

أولا : صحة الايمان وقبوله عند الله :-

ان أولى ثمار الايمان بقدر الله عز وجل صحة ايمان العبد ، وقبوله عنـــد الله ،فانه لا يتم ايمانه حتى يؤمن بالقدر.

وهذا هو مقتضى الاستسلام والاذعان لله رب العالمين في كل ما يطلبه منا أو ينهانا عنه . فلا ايمان الا بتحقق هذه الدرجة التي هي بمثابة الأساس العريض الذى يقوم عليه بناء الاسلام ونظامه في ضمير المسلم وكيانه وفي مجتمعه.

وهكذا شاء الله تعالى أن يربي عباده على التصديق الشامل والايمان المطلق العميق ، وعلى السمع والطاعة ، وأن يكون عنوان المؤمنين سمعنـــا واطعنـا .

ذلك ان انكار جزء من أجزاء الاسلام انكار للجميع ، لأن عدم التصديـــق أو الايمان بجزئية واحدة يعتبر كفر وخروج وانخلاع من العبودية والطاعة .

(افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ،فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) (١) .

وان الايمان ببعض أجزاء الدين وترك الأخرى، تشويه لصورة هذا الدين التى أرادها الله ،ولا يسمى المجتمع مسلما أو الشخص مسلما الا اذا أخذ الدين كله وأحاطه من جميع جوانبه .

فالترقيع مرفوض في دين الله وانصاف الحلول وأرباعها ليس لها سوق في عقيدتنا .

ولهذا كان المؤمن الصادق هو الذى يؤمن بالله ربا وبالاسلام دينا ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقائدا ورسولا .

ويعلن باخلاص أن الأمر كله لله ، وليس لأحد في هذا الكون مهما عظم أو كبر أو استغنى، أن يضر أو ينفع أو يحيي أو يميت الا هو سبحانه لا شريك له .

وهكذا تنضم عقيدة القدر الى باقي أركان العقيدة واصول هذا الدين العظيم ليتحقق بالايمان بها جميعها العبودية الكاملة لرب العالمين ، وليكون الايمان صحيحا وسليما ،ينعقد عليه قلب صاحبه ، ويتغلغل في أعماقه وجوانحه ليكون المؤمن الصحيح المقبول عند الله دنيا واخرى .

---

(١) سورة البقرة /٨٥

عن ابن الديلمي قال : اتيت أبي بن كعب ، فقلت له : قد وقع في نفسي شيء من القدر ، فحدثني لعل الله يذهبه من قلبي ، فقال : لو ان الله تعالى عذب أهل سماواته وأهل أرضه ، عذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهبا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك ، ولو مت على غير هذا لدخلت النار .

قال : ثم أتيت ابن مسعود فقال مثل ذلك ، ثم أتيت حذيفة ، فقال مثل ذلك ، ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك .(١)

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد والطبراني وابن حبان في باب القدر .

ومن الآثار والنتائج التي يجنيها المؤمن بالقدر ، أن يكسب صاحبه قوة الشكيمة ومضاء العزيمة ، وهذا ملموس وواضح ، فانه ليس في المجتمعات البشرية أمضى عزيمة من المؤمن بقدر الله ، فهو اذا ناقش الأمور ودرسها ورجح بينها وفق ما يهديه اليه اجتهاده ، واستشار غيره ، واستخار ربه ، فانه بعد ذلك يمضي قدما فيما عزم عليه دون توقف أو تردد أو وجل .

وذلك يقينا منه بأن جميع الظروف والاحتمالات أو التوقعات التي يمكن أن تكون خارج حدود اجتهاده ومقاييسه هي مقدرة عند الله ، وتقع ضمن علم الله تعالى ومشيئته ، ويعتقد ان الله معه يؤيده وينصره .

فان كانت النتيجة ان تحقق هدفه وتيسر سعيه ، وبلغ غايته كل الخير المقدر ، وان كانت الأخرى احتسبها عند الله وصبر ، ليقينه ان الله قد اختار له الخير ، وقد يكون صرف عنه مكروها أكبر شرا وأعظم خطرا .

وما حدث من أمر الشورى في بدء غزوة أحد ، شاهد على ذلك ، حيث ان المسلمين اجتمعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدبرون أمرهم ، أيخرجون لمقاتلة العدو خارج المدينة ، أم ينتظرونه داخلها معتصمين بتحصيناتها ، وبيوتها ، واختار الرسول صلى الله عليه وسلم الرأى القائل بالخروج لكثرة من أيد هذا الرأى ، ولأن أصحابه أكثرهم من الشباب المتحمس والمتعطش للاستشهاد.

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته وخرج لابسا عدته متهيئا للقتال وشعر القوم انهم استكرهوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأيهم وأظهروا الرغبة في النزول على رأيه ، وهنا كان شاهدنا موقف الحزم والمضاء وعدم التردد ليكون درسا للصحب الكرام ومن يليهم من الأمة ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

(ما ينبغي لنبي لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه)[1]

وموقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حروب الردة اذ تولى الخلافة ، وكفر من كفر من العرب . قال عمر : قلت يا خليفة رسول الله : تألف الناس وأرفق بهم ، فقال لي : اجبار في الجاهلية وخوار في الاسلام . قد انقطع الوحي وتم الدين ، اينقص وانا حي)[2] ومضى في حروب المرتدين حتى دانت له رقاب العرب في جزيرتهم واسلموا لله رب العالمين .

---

(١) ذكره ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق ج ٢ / ١٢٦ . ورواه الامام أحمد ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، انظر فقه السيره - للغزالي - ص ٣٧٨ .

(٢) انظر مختصر سيرة الرسول - محمد بن عبد الوهاب - ص ٤٢٣

الشجاعة والجرأة امام الموت :

ان الذى يوءمن بقدر الله تعالى يكون أشجع الناس واصلبهم حين البأس ، واصبرهم واثبتهم حين الشدائد .

ذلك بأن القلوب التي توءمن بأن الأمر كله لله ، وان البشر لا أمر لهم بنفع أو ضر الا باذنه ،فان قوى الأرض جميعا لا تقف امام أناس يحملون هذا المبدأ ويوءمنون هذا الايمان .

وان هذه العقيدة لتنتزع كل مظهر للجبن من القلوب التى تعمرها ، فتدفع أصحابها الى جهاد اعداء الله على اختلاف فئاتهم وعددهم ، يمضي الواحد فيهم مستعينا بالله القوى المتعالي ، هازئا بكل وسائلهم وأساليبهم وما يجمعون ويكيدون ، وحتى ولو كان كيدهم كالجبال ضخامة وحجما ، فان هم الموءمنين من الرجال تزيل الجبال .

ولماذا ينشغل بتهديد الخلق المهازيل مهما عظموا في ميزان البشر ، وقد ضمن له خالقه وخالقهم أن يستوفي رزقه وأجله ؟ ولماذا يجبن وهو يعلم أن المقدور نازل به لا محالة ،وغير المقدور لن يحيق به أبدا فما أحسن القائل :

أى يومي من الموت أفر يوم لا قدر أو يوم قدر

يوم لا قدر لا أرهبه ومن المقدور لا ينجو الحذر

ان الانسان الذى ينعم بعقيدة القدر ، ويعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وان الأمة لو اجتمعت على أن تضره فلن تصيبه الا بشيء ، قد كتبه الله عليه .

ان هذا الانسان هو وحده الذى يتحرر من طوق العبودية للعباد بدخوله في عبودية رب العباد ، اذ كيف تنحني جبهته لأية قوة على ظهر الأرض ، وهو

وان ماقام به الصحابة الميامين ، وما حققوه من ضروب الشجاعة وانماط البسالة لاحقاق الحق وازهاق الباطل ،

وما يحققه اتباعهم ، ومن تجود بهم هذه الأمة عبر التاريخ،من أبطال مغاوير لهم من أثر تربية هذه العقيدة الحقة ،وما نراه اليوم كذلك من شباب الاسلام أشبال أسامة وابن الوليد ، يقومون لله قانتين في كل صقع من أصقاع الأرض ، يرفعون ألوية التوحيد ، يتحدون بها كل باطل ، وان اقتضى الأمر يسقطون تحت اللواء ، يروون غرسته ،ليبقى اللواء خفاقا،ويختاروا هم أجواف الطيور الخضر سكنا لهم وجنات الفردوس مرتعا ، كل ذلك من أثر الايمان بالله عز وجل وما تصنعه عقيدة الايمان بقدر الله في نفوس المؤمنين .

---

(١) سورة آل عمران - ١٤٥ -

رابعا : الحث على العمل ، وعدم التواكل أو الكسل :-

ذلك ان هناك قاعدة في هذا الباب قعدها العلماء :

وهي ان الايمان بقدر الله والتوكل عليه سبحانه ، لا ينافي الأخذ بالأسباب.

فالتوكل السليم : هو ان يفوض المسلم الأمر ويسلمه لله مع العمل والأخذ بالأسباب المشروعة ، مع الايمان كذلك بأن الله هو خالق الأسباب والمسببات ، وان الاسباب لا تعطي النتائج الا باذن الله تبارك وتعالى .

فمن أراد النسل الصالح فلا بد أن يتخذ السبب لذلك وهو الزواج الشرعي ، فاذا قال قائل ، ان الله عز وجل اذا قدر لي ولدا فسوف يجيء بدون وطء ، ثم لم يتزوج كان أحمقا (١) .

ولذا يحرم على المسلم ترك العمل والأخذ بالأسباب ، فلو ترك انسان السعي لطلب رزقه كان آثما ، مع ان الرزق بيد الله تعالى .

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الأسباب المشروعة والوسائل المباحة هي جزء من قدر الله ، حيث سئل مرة : -أرأيت رقى نسترقي بها ، وتقى نتقي بها ، وأدوية نتداوى بها ، هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : هي من قدر الله (٢))

وما روى في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء) (٣) .

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية /ج ٨/ ٥٢٨ - ٥٣١

(٢) انظر زاد المعاد - لابن قيم الجوزية جـ ٣/ ٦٦

(٣) صحيح البخاري كتاب الطب.

وفهم الصحابة رضوان الله عليهم هذا الفهم الصحيح، وهو أن تعاطي الأسباب المشروعة داخل في معنى الايمان بالقدر، ووقائع حياتهم وأحداثهم تشهد بذلك .

فقد روى الامام البخارى في صحيحه : ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما خرج الى الشام لقيه امراء الأمصار، وأخبروه بانتشار الوباء فيها ،فاستشار المهاجرين والانصار، ثم مهاجرة الفتح من مشائخ قريش فاجتمع المهاجرة على الرجوع ، بعدا عن الوباء ، وأمر بذلك عمر ،فقال أبو عبيدة : افرارا من قدر الله ؟ فقال : عمر رضي الله عنه : لوغيرك قالها ياأبا عبيده . نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ، أرأيت لو كان لك ابل هبطت واديا له عدوتان ،احداهما خصبة والأخرى جدبة ،اليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ،وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله) (١) .

وهكذا تبدو عقيدة القدر داعية للعمل والنشاط ، والتحرك للعمل بهذا الدين ،فالله عز وجل يقول لمريم ابنة عمران وهي نفساء :-

(وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) (٢)

ولو شاء الله عز وجل أن يسقط عليها الرطب من غير أن تهزه لسقط وهي معذورة اذا لم تفعل ، وفي هذا يقول الشاعر:

توكل على الرحمن في الأمر كلـه	ولا تقعدن بالعجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله أوحى لمريـم	وهزي اليك الجذع تساقط الرطب
ولو شاء الله تجنيه من غير هزه	جنته ،ولكن كل شيء له سبب

---

(١) انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٠ ص ١٥٠ - ١٥١ .
والموطأ - للامام مالك - ص ٥٥٧

(٢) سورة مريم - ٢٥ -

وكذلك أمر الله المؤمنين بالاستعداد ، واتخاذ الوسائل الموصلة الى الغاية ، فقال (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) (١) .

مع العلم بأن عقيدة المؤمن قائمة على أن العدة والسلاح والتدرب لا يجلب نصرا ولا يرد هزيمة ، ولهذا قال سبحانه (ترهبون به عدو الله وعدوكم) ، ولم يقل لتنتصروا به على عدوكم ، وذلك ان هذه كلها بشريات للنصر وان النصر الحقيقى بيد الله سبحانه .

فالانسان مطالب بالعمل وفق ما هو مطلوب منه شرعا ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) (٢)

وصدق ابن قيم الجوزية حيث يقول :

(لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التى نصبها الله تعالى ، وان تعطيلها يقدح في نفس المتوكل ... وان تركها عجزا ينافي التوكل الذى حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد فى دينه ودنياه ، ودفع ما يضره في دينه ودنياه ، ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب ، والا كان معطلا للحكمة والشرع ، فلا يجعل العبد عجزه توكلا ، ولا توكله عجزا) (٣) .

وبعد : فانه لا مكان في عقيدة الاسلام للكسل أو القعود أو العجز أو الخور . ولا مكان في دعوة الله للمتبطلين والمتعطلين ، والمتخاذلين ، ممن انحرف فهمهم الاعتقادى ، وأدى ذلك الى انحراف تفكيرهم .

فدعوة الله تريد أناسا يتوكلون على الله حق التوكل ، بقلوبهم ، ثم يترجموا صحة هذا التوكل بجوارحهم ، عملا لدينهم ، وسعيا حلالا في دنياهم ونصرة لدعوة ربهم .

---

(١) سورة الانفال - ٦٠ -

(٢) رواه الطبراني في الكبير . وانظر أسس الدعوة وآداب الدعاة - للسيد الوكيل - ١٠٦ - ١٠٧

(٣) انظر زاد المعاد ج ٣ / ٦٧

خامسا : الرضا والسعادة ، ونفي السخط والتشاؤم :

الايمان بالقدر من أكبر عوامل السعادة في الحياة ، فالمؤمن يعلم ان ما قدر له سوف يكون ، وان قضاء الله يجري له بالخير والحكمة (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

فالايمان بالقدر على هذا النحو يشيع الطمأنينة في نفوس الناس ، ويغمر حياتهم بالرضا والتسليم ، وهذه سمات الحياة التي يتطلع اليها المصلحون ، لأن القلق والاضطراب انما ينشأ عادة من عدم رضا النفس بما يحصل لها ، وعدم الرضا ناشيء من عدم الايمان بالقدر .

ولذلك لا عجب ان نرى أناسا هم في الناس أسعد السعداء ، لأنهم يملكون كل أسباب السعادة في هذه الحياة من مال ، وجاه ، وسمعة ، وشهرة ، وزوجه ، وأبناء وحفده ، ومع ذلك ترى القلق والاضطراب يسيطران على حياتهم ويلونانها بما يتسمان به من الظلمة والحيرة .

واذا بحثنا عن أسباب هذه الظاهرة ، كان الجواب المناسب الصحيح هو عدم الاطمئنان الى المستقبل بعد الموت ، وعدم الرضا بما يعترى حياتهم من هموم أو مصائب أو نوازل مادية أو معنوية .

وان ما يعم مجتمعات الحضارة المزيفة اليوم من أمراض عصبية ، واضطرابات نفسية ، وموجات قلق وسخط وانتحار ، مما أصبح ظاهرة القرن الواضحة الملموسة ،

كل ذلك يعتبر ويعد أكبر دليل على أن سبب شقائهم وقلقهم هو عدم ايمانهم بقضاء الله وقدره ، وان العلاج الشافي والبلسم الناجح لكل هذه الأدواء ، هو غرس الايمان الصادق في نفوس الناس وانعقاد قلوبهم

حياتهم على الايمان بقدر الله وقضائه ، لنرى باذن الله ان الطمأنينة والراحة والبشر والسعادة قد خيمت الجميع (١) .

وهكذا فان المؤمن العاقل متى صح فهمه لحقيقة القضاء والقدر ، وامتلأ قلبه يقينا واعتقادا بأن كل ما يجرى له من نعم ، وما ينزل به من مصائب ، أمر محتوم ، مراد لله تعالى ، مقضى بقضائه ، محدد بتقديره ، منفذ بمشيئته ، وراقب مع ذلك صفات الله العظيمة التي منها علمه وحكمته ورحمته ، ثم وضع بين عينيه قوله تعالى : (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (٢) .

انه متى آمن بهذا وفهمه فهما صحيحا اطمأن قلبه لكل ما يجرى في الكون مما لا كسب له فيه ، ورضي بمراد الله مهما كان محزنا أو مسرا ، وانتقل من الأكوان الى مكونها ، فارتقى في سلم محبة الله والقرب منه .

ولئن صدق القائل اذ يقول لممدوحه :

(فما لجرح اذا أرضاكم ألم) فان المؤمن الصادق وهو في مقام حبه لربه ، حرى بأن يقول وهو مطمئن القلب .

(رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبقضائه حكما ، انه ولي وهو حسبي ونعم الوكيل) وبذلك يفرغ الله على قلبه من معاني السعادة والسرور مما لا يجده في شيء آخر ، ولو أملك الدنيا بمتعها ومسراتها .

---

(١) انظر ـ كتاب أسس الدعوة وآداب الدعاة ـ لسيد الوكيل ١٠٥ - ١٠٦

(٢) سورة البقرة / ٢١٦

وهذه النعمة - نعمة الرضا بالقضاء - هي التي افرغت السكينة والطمأنينة في نفوس الرعيل الأول رضي الله عنهم ، فكانوا بهذه العقيدة سادة الدنيا وقادتها ، كانوا خير أمة أخرجت للناس ، وتحققت لهم السعادة العظمى دنيا وأخرى . (١)

هذه السعادة التي افتقر اليها الملوك ولو علموها في هؤلاء لقاتلوهم عليها .

والرسول صلى الله عليه وسلم بوحي من ربه يضع أسس الرضا والسعادة للناس حيث يقول : -

(عجبنا لأمر المؤمن ان أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ان أصابته سرائر شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضرار صبر فكان خيرا له) . (٢)

هذا ولقد ارتفعت نفوس الصحابة رضوان الله عليهم في ظلال هذا التصور الايماني ، وسمت أرواحهم ، وأرهفت ضمائرهم ، حتى استوت في نظرهم السراء والضراء ، وتماثل لديهم الشكر والصبر ، كما يقول عمر رضي الله عنه :

لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت ايهما أركب) (٣)

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

(من سعادة الموت استخارته ربه ، ورضاه بما قضى ، ومن شقاء المرء تركه الاستخارة وعدم رضاه بعد القضاء) (٤)

---

(١) انظر العقيدة الاسلامية وأسسها للميداني / ٨٠١ - ٨٠٢

(٢) رواه مسلم وأحمد من حديث صهيب رضي الله عنه .

(٣) انظر مدارج السالكين - لابن قيم الجوزية جـ ٢ / ١٧٥ - ١٧٧ .
وانظر الايمان - نعيم ياسين - ١١٠ - ١١١ .

(٤) رواه البزار ومعناه عند أحمد والترمذي في باب القدر .

البَاب الثَاني

خصَائصُ العَقيدةِ الإسلامِيَّة

الفَصْلُ الأوَّل

خاصّيَة الرَّبانيـة

خصائص العقيدة الاسلامية :

ان للعقيدة الاسلامية خصائص خاصة تميزها عن غيرها من العقائد والتصورات ، تمييزا بوضوح صورتها ، فتظهر محددة الملامح ، مستقلة الشخصية وكيف لا تكون كذلك وهي من عند الله الحكيم العليم ، اللطيف الخبير ، (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) (١) .

- الفصل الأول -
الربانية

ان أول خصائص عقيدة الاسلام انها عقيدة ربانية ، أي انها من عند الله تبارك وتعالى (فالعقيدة : هي تصور اعتقادى موحى به من عند الله سبحانه ، ومحصور في هذا المصدر لا يستمد من غيره) (٢) .

وذلك تمييزا لها من التصورات الفلسفية : -

التي هي عبارة عن تصورات فكرية ، ينشئها البشر بأعمال عقولهم في غير مجالها المخصص ، وخارج دائرة الفكر البشرى .

وبهذه الخصيصة تتميز عقيدتنا الربانية عن المعتقدات الوثنية التي تنشئها تخبطات الاخيلة ، واضغاث الاحلام والأوهام والمشاعر والتصورات البشرية .

وكذلك فانها تختلف وتفترق عن الشرائع والقوانين الوضعية التي يتحاكم اليها بنو البشر ، لأن مصدرها الانسان ، أما الاسلام فمصدره رب الانسان .

العقيدة الاسلامية ربانية المصدر :-

فهي مستفادة من كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، من القرآن الكريم الذى ارسى دعائمها ، ووضع معالمها ، ومن صحيح السنة المبينة للقرآن) (٣) .

---

(١) سورة البقرة - ١٣٨ -
(٢) راجع كتاب خصائص التصور الاسلامي - لسيد قطب فصل الربانية . .
(٣) انظر كتاب الخصائص العامة للاسلام - يوسف القرضاوى ص ٣٧

قال تعالى في محكم التنزيل (تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) (١)

" " " " (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) (٢)

" " " " (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) (٣)

فمصدر عقيدة الاسلام هو الله الواحد الأحد .

فهي وحيه الى رسوله صلى الله عليه وسلم .

ما يترتب على كون العقيدة ربانية :-

أولا :-

كمالها وخلوها من النقائص :-

فعقيدة الاسلام كما أسلفنا صادرة عن الله عز وجل المتصف بالكمال المطلق المنزه عن معاني النقص والهوى والجهل والظلم وبالتالي فان هذه الصفات تظهر واضحة في دين الله أو في العقيدة الاسلامية ، وذلك

ان صفات الصانع تظهر في ما يصنعه ، اذا فان أثر كمال الله عز وجل في ذاته وصفاته يظهر في ما يشرعه من دين ومناهج وقواعد شرعية فهي عقيدة كاملة ختمها رب العالمين بقوله :

(اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (٤)

---

(١) السجدة - ٨٨ -

(٢) النمل - ٦ -

(٣) النجم ٣ - ٤

(٤) المائدة - ٤ -

فلا مجال فيها للبشر بزيادة أو نقص أو اجتهاد

فليست هذه العقائد من وضع مجمع من المجامع ، ولا من اضافة هيئة من الهيئات ولا من املاء (بابا) من البابوات .

ليس لأحد من تلاميذ محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا من أئمة الاسلام وفقهائه الكبار ، ان يغير أو أن يبدل في عقيدة الاسلام بالزيادة أو النقص أو التحوير كما هو الحال في النصرانية أو اليهودية (١) .

وان هذا الكمال والتمام الذى تتصف به عقيدة الاسلام هو الذى يعطيها قيمتها الأساسية ، وقيمتها الكبرى .

فهو يطمئن النفس انها خير لأنفسنا ، وان السعادة تكمن في تنفيذها وان الشقاء يترتب على تركها .

فالخير والبركة والسعادة ووفرة الانتاج كلها من بركات تطبيق الشريعة المبنية على هذه العقيدة .

قال تعالى :-

(ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون (٢)) .

ثانيا : المساواة والعدل :-

وما دامت هذه العقيدة ربانية فالناس أمامها سواء ، لا فضل لعربى على عجمي الا بالتقوى ، فالله خالق الناس أجمعين ، فكلهم عبيده ، وهو لا يفضل لونا على لون ، الأبيض والأسود ، كما هو الحال في القانون الأمريكي ،

---

(١) راجع كتاب الخصائص العامة للاسلام (ص ٣٧) للقرضاوى . وكتاب مقارنة الاديان لأحمد شلبي - وكتاب (اظهار الحق - لرحمة الله الكيرانوى .- ففيها صورة واضحة لتحريف دين الله بأيدى البشر .

(٢) سورة الأعراف - ٩٦ -

ولا يفضل الرجال على النساء ،ولا يحابيهم سبحانه ،لان الرجل والمرأة كلهم خلقه . ولا يفضل طبقة على طبقة ،كالأشراف على العبيد ، ولا يفضل جنسا على جنس ، كتفضيل العرق الارى ، والجنس الأبيض على غيره ،وألمانيا فوق الجميع .

لذا فهي العقيدة الوحيدة التي تنصف الناس وتعدل بينهم ، والناس يقفون فيها على قدم المساواة ،حاكمهم ومحكومهم سواء) .(١)

ثالثا : هيبتها وتقديرها والانقياد لها :-

وهذه الآثار هي من أهم الآثار المترتبة على كون هذه العقيدة ربانية من عند الله تبارك وتعالى ،انها تضفي على هذه العقيدة من التقدير والاحترام من قبل المؤمنين بها مهما كانت مراكزهم الاجتماعية وسلطاتهم الدنيوية .

وكذلك فان لها سلطانا على قلوب متبعيها فانها من عند الله العليم بمفاتيح القلوب ،وقلوب العباد بين يدى الرحمن يقلبها كيف يشاء .

وبالتالي فان هذه العقيدة تطبع الانقياد والاستسلام الفطرى في قلوب المؤمنين ،ويؤدى هذا الى سمع وطاعة ،فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعن قناعة ذاتية ،وانبعاث وهمة ونشاط ،وغير محتاجة الى قسر السلطة ،أو سياط القانون ،وبوليس الرقابة .

وللتدليل على صحة ما نقول نضرب مثالا واحدا بشأن واقعة معينة عالجها الاسلام بتشريعه الالهي القائم على عقيدة ربانية في القلوب ،ونجاحه في المعالجة ،في حين فشلت كل قوانين الأرض الوضعية في علاج نفس المعضلة .

---

(١) من كتاب العقيدة وأثرها في بناء الجيل - لعبد الله عزام - ص ٨٥-٨٦

وتفصيل ذلك في حادث تحريم الخمر في الاسلام .

فانه من المعروف (أن العرب قبل الاسلام كانوا مولعين بشرب الخمر ،لا يجدون فيه منقصة ولا منكرا ، وكانت زقاق الخمر ودنانه ، في البيوت كالماء المخزون في القرب والحباب ، فلما اتى الاسلام بتحريم الخمر بقوله تعالى :-

(يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) . (١)

(كان لكلمة فاجتنبوه قوة هائلة تفوق قوة الجيش والشرطة ، وما يمكن أن تستعمله أي دولة لتنفيذ أوامرها بالقوة والجبر ،.. . لقد قام المسلمون الى زقاق الخمر فاراقوها ، والى دنانه فكسروها ، وفطموا نفوسهم من شرب الخمر حتى غدوا وكأنهم لا يعرفون الخمر ولم يتذوقوها من قبل ،لان أمر الله ورد (فاجتنبوه) وأوامر الله من شأنها الاحترام والطاعة والتنفيذ .

وفي القرن العشرين أرادت الولايات المتحدة الأمريكية تخليص مواطنيها عن الخمر ، وقبل أن تشرع قانون تحريم الخمر ، قامت بتمهيد لهذه الفكرة ، ونفذت عملية دعاية واسعة جدا لتهيئة النفوس لها .

وقد جندت جميع وسائل الاعلام وأجهزة الدولة وذوي الخبرة جندت السينما ، والمسارح ، والاذاعة ، والنشرات ، والكتب والمحاضرات والاحصائيات ، وقام بها المختصون في كل باب .

وقد انفقت في هذا الباب ملايين الدولارات على الدعاية ، وملايين الصفحات المكتوبة ، وقتلت ونفذت عقوبات الاعدام والمخالفة في مئات الالوف من البشر ، وبالرغم من كل ذلك العجب العجاب ..

---

(١) سورة المائدة - ٩٠ -

فان النتيجة كانت أعجب . وهي ان تلك الخطة الرهيبة الشاملة الواسعة، كان مصيرها الاخفاق والفشل الذريع ، مما أضطر الحكومة الأمريكية الى الغاء قانون تحريم الخمر في أواخر سنة ١٩٣٣م .)[١]

وما ذلك الا لان القانون لم يكن له سلطان على النفوس والقلوب ليحمل أصحابها على تنفيذ الأمر واتباع القانون، الأمر الذى أدى الى عدم احترامها أو هيبتها فضلا عن تنفيذ نصوصها . ومن ثم فشل القانون والغى :

أما كلمة (فاجتنبوه) التي جاء بها الاسلام فقد أثرت وغيرت ، لا بقوة الشرطة والجند ولكن بقوة الايمان وطاعة المسلمين) .[٢]

---

(١) راجع كتاب في ظلال القرآن - اسيد قطب - نقلا عن - تنقيحات - للمودودى ص ٦٦٣ ط/ دار الشروق .

(٢) انظر كتاب اصول الدعوة - لعبد الكريم زيدان - ص ٤٨

ربانية الغايـــة :

كما رأينا سالفا من ربانية مصدر هذه العقيدة التي نتشرف بالانتماء اليها نحن المسلمين ، وهذا كما رأينا له الأثر الفعال الواضح في قلوب المؤمنين بالاطمئنان على منهجهم الذى يسيرون عليه ويدعون الناس الى الانضمام تحت لوائه ، كذلك فان هذه العقيدة ربانية الغاية :-

ومعنى ذلك ان الغاية المتوخاة من وراء كل بنود دعوة الاسلام هي السـير على طريق الله المستقيم ، للوصول الى رضا الله ، رغبا ورهبا ، والاعتقـــاد بأن الغاية والمصير اليه تبارك وتعالى (وان الى ربك المنتهى) (١).

وان هذه الميزة لهي في السمو وعلو المكانة ما يجعلها تلزم السائريـــن على دربها بأخلاق وضوابط وأوامر لضمان الوصول الى الهدف الحنيف .

أولا : الاخـلاص :-

والاخلاص في كل فكرة هو بمثابة روحها الذى اذا خلت منه ذوت واندثرت ، فكيف اذا كانت الفكرة هي الدعوة الى عقيدة الاسلام ، هي دعوة الله تبـــارك وتعالى الذى يدعو المؤمنين الى اخلاص دينهم له عز وجل وانه يحبط عمل من أشرك معه فيه غيره ، أو راآى لو سمع لغيره من دونه .

(الا لله الدين الخالص) (٢)

(وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) (٣)

والاخلاص اساس الدين وقوامه وروحه النابض الذى اذا ما خدش أو جـرح أو فقد ، حبط العامل والعمل ولا يقبل عند الله الا أن يتوب ويرجع قبل غرغرته .

---

(١) سورة النجم - ٤٢ -
(٢) الزمر - ٣ -
(٣) البينه - ٥ -

والرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم يبين للسائرين على دربه ، بل وللبشرية كافة ، ان الأعمال بالبينات وأن كل امرىء وما نواه وذلك في الحديث الصحيح :

(انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه) (١).

ويوضح الأستاذ البنا ذلك بقوله :-

(وأريد بالاخلاص ، ان يقصد الأخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله وابتغاء مرضاته ، وحسن مثوبته ، من غير نظر مغنم ، أو مظهر ، أو جاه ، أو لقب ، أو تقدم أو تأخر ، وبذلك يكون جندي - فكرة وعقيدة . لا جندي غرض ومنفعة .

(قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين) (٢)

وبذلك يفهم الأخ المسلم معنى هتافه الدائم (الله غايتنا - والله أكبر ولله الحمد) (٣) .

ثانيا :- التجرد لهذه العقيدة :-

فالذى تخالط بشاشة الايمان قلبه ، يجد حلاوته ، وهنا عليه واجب دعوة الناس الى ما اقتنع به واهتدى به واليه ، فيقطع المسلم العلائق والارتباطات من كل ما سوى دعوته وفكرته ، وينخلع من كل ما خالفها من الأفكار والمبادىء ، تاركا الأشخاص والأفكار المعادية والمخالفة ، معتقدا ان دعوته وعقيدته هي الحق وهي أعلى الدعوات ، واسمى الفكر ، وأصدقها .

---

(١) متفق عليه / البخارى في كتاب بدء الوحي ، والايمان ، ومسلم في الامارة ، وأبو داود في الطلاق .
(٢) الأنعام - ١٦٣ -
(٣) انظر - مجموعة رسائل الأستاذ حسن البنا - رسالة التعاليم - ركن الاخلاص -

ثالثا : الولاء والبراء :-

ومقتضى كون هذه العقيدة ربانية الغاية والمصدر ، ان يحرر المسلم ولاءه لله عز وجل ولحزب الله ، فانه ليس هناك الا حزبان حزب رب العالمين ، ويمثله صف المؤمنين العاملين المخلصين ، فينبغي لمن يريد اعتاق نفسه من فيح جهنم وعذابها أن يعطي تأييده ونصرته وولاءه فقط لله ورسوله والمؤمنين .

(انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) (١)

(ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) (٢)

والولاء لا يتم الا ببراء ، فيبرأ المؤمن من كل ما سوى الله مما يضاد الله سواء كان بشرا ، أو حجرا ، وسواء كان منهج حياة ، أم دين عبادة أم شرائع قانونية ولا تستمد من دين الله .

وهو هو الكفر بالطاغوت الذي ذكره الله تبارك وتعالى في كتابه بل وقدمه في الذكر على الايمان به (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) (٣)

وبهذا يبرأ المؤمن من حزب الشيطان وحزب الباطل ممثلا في كل ما ذكر ممن يضاد الله ويعاديه ، وسلفنا في ذلك رسول الهدى صلى الله عليه وسلم في براءته من كل لوثات الجاهلية مما يخالف الله ومنهجه ، وابراهيم عليه السلام في قوله تعالى :

(قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه ، اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده ..) (٤)

---

(١) سورة المائدة -٥٥-

(٢) سورة المائدة -٥٦-

(٣) سورة البقرة ٢٥٦

(٤) الممتحنة -٤-

رابعا : التسليم لمنهج الله ، واتباع طريقة القرآن في فهم النصوص :-

وهو الطريق السليم الخالي من التأويل أو التعسف في الفهم وهي طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن درس في تلك المدرسة المباركة .

وطريقة الصدر الأول في فهم نصوص العقيدة وآيات الصفات هو الطريق الأسلم الذى يبعد صاحبه عن التشبيه ، أو التجسيم ، أو التأويل ، أو التحريف.

فان الله عز وجل أعلم بهذه النفوس من أصحابها أنفسهم ، وأعلم بما يصلح لها من المناهج ، وما يليق بها من الأساليب والمناهج ، ووسائل الفهم والتدبر.

فمقتضى الايمان بأنها من عند الله ، فهمها كما أراد الله دون التواء ، أو تأويل عن الظاهر أو تحميل الألفاظ ما لا تحتمل ، أو تكلف الفهم بشواذ اللغة .

قال الامام أحمد بن حنبل : لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث) (١)

ذلك بأن الله تباركت اسماؤه قد ذم المتبعين للمتشابه من القرآن الباحثين عن الشبه ، ومدح ايمان الراسخين في العلم فى قوله تعالى :

(والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يتذكر الا ألوا الألباب) (٢) .

وكما قال الامام الشافعي ونؤيده نحن في هتافه :-

آمنا بالله وما جاء عن الله على مراد الله

وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله .

---

(١) الروضة الندية ص ٢٢

(٢) آل عمران - ٧ -

الفَصْل الثاني

خاصِّيَة الوضوح

خاصية الوضـــوح

الوضوح :-

ان الوضوح سمة غالبة تعم رسالة الله الخالدة ، وهي احدى خصائصه وأول مظاهر الوضوح وأهمها هو ما يتعلق بالاصول الاعتقادية .

فتوحيد الله تبارك وتعالى وهو اصل الاصول - لا يجهله مسلم - أيا كـــان جنسه أو لونه أو طبقته ، أو حظه من التعليم .

فقد عرف من كلمة التوحيد وأولى الشهادتين (لا اله الا الله) الا مكان في الاسلام لتألية حجر أو بشر ، أو شيء في الأرض أو في السماء ، بل لله من في السماوات والأرض ، وما في السماوات والأرض ، ولهذا كانت رسالة نبينـــا محمد صلى الله عليه وسلم الى ملوك الأرض وزعمائها :

(تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئـا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) (١)

فهي اذا عقيدة واضحة بسيطة ، لا تعقيد فيها ولا غموض ولا فلسفة أو منطق منحرف ، وان كل ما نراه الآن من المؤلفات الكثيرة والكبيرة في شرح العقيـــــدة أو علم الكلام ، كما يسمونه ، لم يتبع أكثره طريقة الكتاب والسنة في عرضه العقيـدة كما سنرى عقيدتنا سهلة ميسور فهمها : والتعقيد طارىء عليها :-

فالرعيل الأول من صحابتنا الاجلاء رضوان الله عليهم ، كانت العقيدة واضحة لديهم ، قلوبهم عامرة بالايمان استغنوا عن الجدل والماحكات والمناظرات ، بالقضايا الكبرى المصيرية ، استنفد الجهاد والغزو في سبيل الله طاقاتهم الـتي فجرها الايمان براكين زلزلت الكفر ، واستاصلت الجاهلية من الجزيرة ومـــن عليهــا -

---

(١) آل عمران - ٦٤ -

(٢) انظر كتاب الخصائص العامة للاسلام - للقرضاوى - ١٧٧ - ١٨١ .

فلم تكن مجالسهم مناظرات منطقية ، ولا ترفا عقليا وفكريا ، فكانوا بذلك مثال الأمة المجاهدة ذات الرسالة فهي لا تعرف الا الجد ومعالي الأمور ، وشغلهم العمل عن مثل هذا العلم ، ومن العلم ما هو جهل .

وليس معنى ذلك ان الصحابة لم يكونوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عما استشكل عليهم من أمور دينهم ، لا بل كما يقول العلامة ابن القيم :

(كان الصحابة يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كانوا يخوضون معه في مسائل دقيقة ، ويستفهمون عن حقائق الايمان ، ولا يقتصرون على مسائل العمل ، وكانوا يوردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم .

وقد أورد عليه عليه الصلاة والسلام الأسئلة اعداوءه وأصحابه ، اعداوءه للتعنت والمغالبة ، وأصحابه للفهم والبيان وزيادة الايمان) (١) .

ولكن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا ليجعلوا من هذه المسائل مذاهب فكرية ، أو أحزابا وفرقا متعارضه متضاربه ، كما حصل بعد عصرهم ، فأصبحت فرق تتبنى هذه الأقوال والآراء ، مثل صاحب الكبيرة ، والقضاء والقدر ، وغيرها من المسائل التي كانت بمثابة أسئلة واستفسارات في عهد الصحابة ، الا انها انتقلت من حوادث جزئية فردية شخصية ، الى قضايا كلية عامة جماعية بشكل فرق وأحزاب) (٢) .

---

(١) من كتاب زاد المعاد - لابن قيم الجوزيه - ص ٥٧ - ج ٣ - ط - المصرية .

(٢) من كتاب مقالات الاسلاميين - للاشعرى - ص ١٤ ج ١ - ط الثانية .

كيف تلقت الصحابة هذه العقيدة :-

فالصحابة رضوان الله عليهم كما قال الامام ابن القيم بأنهم (قد تنازعوا في كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المسلمين وأكمل الأمة ايمانا .

ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم على اثبات ما نطق به الكتاب العزيز والسنة النبوية ،كلمة واحدة من أولهم الى آخرهم لم يسوموها تأويلا ،ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ، ولم يبدوا لشيء منها ابطالا ، ولا ضربوا لها أمثالا ،ولم يوقعوا في صدورها وأعجازها ، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها ،بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالاجلال (١) .

يجب تنقية العقيدة من الكتب التي عقدت العقيدة :-

ان الأغلبية الساحقة من الكتب التى تتناول موضوع التوحيد والعقيدة ، تصطبغ بالصبغة الفلسفية والمنطقية المعقدة ، وذلك انما غزا هذا العلم بعد أن استقر أمر الاسلام والمسلمين وتحول الجهاد في سبيل الله من قضية مصيرية عامة ،الى قضية جزئية كفائية ،فراجت العلوم ، ونشطت الترجمات ،واضطلع المسلمون على علم اليونان والرومان وغيرها من الأمم القديمة ،وترجموا علومهم ، فوجدوا من الفلسفة رياضة عقلية ،واشباعا لترف فكرى عم أرجاء ديار الاسلام ، ودخل كثير من العلماء في بطون الكتب الفلسفية ،وخلبهم بريقها ،وغرهم منها الأساليب الملتوية ،وتخبطات البشر الفكرية ،وتخيلاتهم ،فلاقى ذلك قبولا في نفوس بعض فلاسفة المسلمين لمرض في نفسه وزيغ في قلبه (٢) .

---

(١) من كتاب اعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٥٥ ط . منير الدمشقي .

(٢) من أراد التوسع في هذه المسألة فليراجع كتاب (نشأت الآراء والمذاهب والفرق الكلامية) ليحيى فرغل .

المهم ان علماء الاسلام اصابتهم العدوى السالفة الذكر فأخذوا يستعملون الأساليب الفلسفية والمنطقية في الدفاع عن هجمات وشبهات آثارها زنادقة أو شعوبيون ، أو هواة جدل ومنطق .

وصاغوا علم اصول الدين ، وقواعد التوحيد في تلك القوالب المحتوية على داء الجدل ، والاغراق في الفلسفة والاخلية ، والمنطق الخارج على اطار الشرع وضوابط الدين فانتقلت العدوى الى ما في القالب ، فتشوهت العقيدة ، وظهرت فلسفة وجدلا عميقا ، ينفر من يقرأه ، ويمسخ التصور الصحيح للتوحيد ، وللعبادة والفكر ، وهو هو ما نراه من هذه الكتب التي بحثت علم الكلام والتي فيها حجب كثيفة تمنع النور ، وتحدث الظلمة .

فمن الخطأ الفادح الآن اذا أردنا أن نغرس العقيدة في نفوس أجيالنا أن نستقيها من تلك الكتب وبتلك القوالب والأساليب .

فأنا ادعو من على متن هذه الصفحات وبأعلى صوت بضرورة اعادة كتابة مقررات العقيدة لتتفق ، والتقدم الفكرى الذى وصل اليه دولاب الزمن ، ولتبدل العدو ، واختلاف شبهات الهجوم والدفاع فى ملحمة هذه العقيدة اعنى في الشكل والمظهر – لأن الحق والباطل – صورتان ثابتتان على الدهر لا تلتقيان .

وادعو رجال العقيدة وكل الباحثين والدارسين في هذا المضمار الهام الخطير أن يعيشوا عصرهم ويعرفوا عدوهم الحقيقى ويحاربوه .

ولا يجمدوا على ما كتب عن أنباء الماضي وأخبار الأعداء السالفين .

فينبغي تنقية كتب التوحيد والعقيدة مما شوه التوحيد والعقيدة وينبغى عرضها بقوالبها الربانية ، واضحة المعالم ، بينة الغايات كما عرضها رب العالمين ، ورسوله الأمين ، بصورة مشرقة بيضاء نقية .

ونقطة أخرى في الموضوع اعتقد انها من الأهمية بحيث يجب التذكير بهـــــا وهي اننا لانفرق في دراسة التوحيد والعقيدة بين تاريخ العقيدة ، والعقيدة ذاتها .

فمع أن التاريخ والعقيدة متلازمان ، لكنهما ليسا شيئا واحدا ، أو بمعـــنى آخر اننا نخطىء خطأ بينا حين نعكف على مناظرة وجدل قوم لا نحس لهم ركزا من أصحاب المذاهب القديمة والفرق البائدة ، ونترك الساحة الحقيقيـــة لمعركة العقيدة في هذه الآونة .

ان من أكبر الجناية على هذه العقيدة أن يحول صراعها من أعداء ماثلين أمامها يستأصلون جذورها ، الى أعداء طواهم التاريخ ، وأتى عليهم الردى فتلك جريمة على دين الله فلينتبه لها حماة هذه العقيدة ورافعوا لواءها .

فمثلا المذاهب الشيوعية أو الاشتراكية لم تكن في عصر ابن تيمية رحمه الله تعالى ولذلك لم يتناولها بالبحث ، وانا واثق من أن ابن تيمية رحمه الله لـو كان حيا بين ظهرانينا لكتب عن الشيوعية وفندها لانه كان واعيا مؤمنـــا حقا يعيش عصره .

صورة عن العقائد الأخرى :-

وحتى تكتمل صورة هذه العقيدة السمحة لابد وان نعرض بعض الصـــور للعقائد الأخرى التي هي من أشهر ما يعتنقه البشر على الأرض الآن وذلـــك من باب وبضدها تتميز الأشياء :

عقيدة (الثنوية) : - فلم تقل عقيدتنا بالهين اثنين متشاكسين كما قالت (الثنويه) حين زعم دعاتها ان الحياة صراع دائم بين اله الخير واله الشر .

ولعمرى كيف يستساغ هذا الفهم وكيف يمكن أن يسير هذا الكون المنتظم ، المبدع التنسيق والتكوين ، بآلهين متصارعين متضاربين . فان هذا فساد ودمار.

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)(١) .

(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)(٢) .

عقيدة النصارى :

وليس في عقيدتنا من الاسرار النصرانية مثل سر التثليث ، وسر القربان وتحوله الى لحم المسيح ودمه .

هذه الأسرار التي لا يصل أحد من رجال النصرانية أنفسهم أن يدركها ادراكا عقليا صحيحا ، ولهذا يطلبون من اتباعهم الايمان بها دون محاولة فهمها ، ولكن هيهات ..!!

وفكرة (الوساطة) في النصرانية بين الله وعباده ، فكرة لا يستسيغها العقل ، ولا يرى لها ضرورة ، فانه لا معنى لتوسط رجل من رجال الدين بين الله وبين أحد من الناس، والله هو العليم بكل نفس ، ولا حجاب بينه وبين أحد من خلقه .

ولهذا يرى الاسلام أن لكل أحد أن يتجه الى الله مباشرة بقلبه ، ويرفع رجاءه بلا وسيط من رجال الدين .

قال تعالى : (واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان)(٣) .

---

(١) سورة المؤمنون -٩١-

(٢) سورة الأنبياء -٢١-

(٣) سورة البقرة -١٨٦-

وعقيدة الصلب والفداء :-

كذلك لا تدخل العقل المستقيم المنصف .

أما الفداء فأصله كما يدعون ، ان الانسان جاء الى هذه الحياة مثقـلا (بالخطيئة الاصلية) التي لا يستطيع منها فكاكا ، كما يقول أهل الانجيـل ، ويعنون بالخطيئة ، خطيئة آدم عليه السلام جده الأعلى حين أكل من الشجـرة مخالفا أمر ربه في تحريمه قربانها .

وبذلك يحملونه وزرا لم يجنه ، ويجعلونه يعيش طول حياته وهو رازح تحت أثقال هذه الخطيئة المزعومة .

ومن ثم يطلبون من الانسان أن يؤمن بعقيدة (الصلب والفداء) أى صلب المسيح الاله ، تفدية للبشر مما لحقه من هذه الخطيئة الاصلية !!!

وكيف يستطيع عقل ان يؤمن بأن الاله كما يزعمون يتمكن منه أعـداؤه فيصلبونه وهو يستغيث ولا مغيث له . (١)

على حين يقول القرآن عن سيدنا آدم عليه السلام .

(وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) . (٢)

كما يقرر أنه ليس للانسان الا ما سعى ، وانه لا تزر وازرة وزر أخرى .

كما يقرر من ناحية أخرى ، ان الانسان يولد بريئا من كل ذنب أو خطيئة وان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

وان الله تعالى أمره ، هو القوى العزيز ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ، فلا يمكن أن ينال منه أحد تعالى الله عن ذلـك علوا كبيرا .

---

(١) راجع كتاب مقارنه الاديان للأستاذ أحمد شلبى - عن المسيحية . وكتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / لابن تيمية ، وكتـاب اظهار الحق .

(٢) سورة طه ١٢١ - ١٢٢

(٣) انظر كتاب الاسلام وحاجة الانسانية اليه . محمد يوسف موسى ٤١ - ٤٥

أما عقيدة اليهود :- فهي ليست بأقل من ذلك التخبط في العقائد السالفة ، فان فيها من الاعتداء على صفات الالوهية ، ما يجعلونهم كالبشر أو أضعف من البشر ، وأما عن الأنبياء وعصمتهم ، فقد دنسوا سيرتهم الطاهرة وحطوا من اقدار الرسل وصوروهم حفنة من الزناة ، والسكارى ، والعابثين .

وأخيرا فانه ليس بين المرء وبين أن يكون مسلما الا أن يعتقد بالله واحد لا شريك له من أحد من خلقه ، ويؤمن برسله جميعا لا يفرق بين أحد منهم ، ولا شيء أبسط ولا أوضح من هذا !

كما لا شيء يحول بين العقل العادي وبين الايمان بهذه العقائد ، وما اليها من العقائد الأخرى التي يقوم عليها الاسلام[1] .

أسباب وضوح العقيدة الاسلامية :-

ان أهم أسباب وضوح هذه العقيدة المباركة انها تطابق النفس وفطرتها الاصلية وما جبلت عليه ، والله عز وجل صانع النفس وهو مصدر العقيدة فلا يتصادمان ولا يتعاكسان ، فمنهج الله عز وجل سامق فعلا ، لكنه في الوقت ذاته منهج فطري ، يعتمد على رصيد الفطرة ، وينفق من هذا الرصيد المذخور ، وميزته أنه يعرف طريقه منذ اللحظة الأولى الى هذا الرصيد .

انه يعرف طريقه الى النفس البشرية منذ اللمسة الأولى ، يعرف دروبها ومنحنياتها ، فيتدسس اليها بلطف ، ويعرف مداخلها ومخارجها فيسلك اليها على استقامة ، ويعرف قواها ومقدراتها فلا يتجاوزها أبدا . . .)

---

(١) انظر كتاب الاسلام وحاجة الانسانية اليه . محمد يوسف موسى (٤١ -٤٥)

والسبب الآخر :- ان هذا المنهج في سبيل وصوله الى القمة السامقة ، انه لا يعتسف الطريق ، ولا يستعجل الخطى ، ولا يتخطى المراحل .. أن المدى أمامه فسيح ، لا يحده عمر فرد ، ولا تستحثه رغبة يتوقع صاحبها الموت أو الفوت ، كما هو حال أصحاب المذاهب والمناهج الأرضية من البشر الفانين الذين يعتسفون الأمر كله في جيل واحد ، ويتخطون الفطرة الهادئة الخطى ليقفزوا الى تحقيق صور براقة تتخايل لهم ، وفي الطريق المعتسف تقوم المجازر والدماء وتتحطم القيم والموازين ، ثم يتحطمون هم في النهاية تحت مطارق الفطرة .

فأما المنهج الاسلامي فانه يسير هينا لينا - مع الفطرة - يوجهها من هنا ، ويذودها من هناك ، ويقومها حين تميل ولكنه لا يكسرها ولا يحطمها ولا يجهدها كذلك .

انه يصبر عليها صبر الواثق الخبير البصير ، والذى لا يتم في الجولة الأولى يتم في الجولة الثانية ، والذى لا يتم في الجوله الثانية يتم في الجولة الثالثة .. أو العاشرة ... أو المئة ... أو الألف !

كل ما هو مطلوب هو بذل الجهد والمضي في الطريق .)(١)

شبهة وردها :-

وهناك فريق يستبعد تطبيق هذا الدين ثانية بأحكامه وشرائعه لأن كل شيء تغير الآن وتطور ومستحيل أن يعاد تطبيق هذه العقيدة في مثل واقعنا المادى المعقد الصعب .

---

(١) راجع كتاب هذا الدين — سيد قطب - ص ٣٥

ويجيب الأستاذ سيد قطب هؤلاء (والذين يظنون ان (اخلاقيـــه) الاسلام تجعل منه عبئا ثقيلا على البشرية ، تحول دون تحقيقه في حياتهم ، انما يستمدون هذا الشعور مما يعانيه الفرد المسلم ، حين يعيش في مجتمع لا يهيمن عليه الاسلام .

وحين يكون الأمر كذلك يكون الاسلام باخلاقيته عبئا ثقيلا فادحا بالفعل ، يقصم ظهور الأفراد الذين يعيشون باسلامهم النظيف في المجتمع الجاهلي القذر ، ويكاد يسحقهم سحقا) (١) .

تطبيق هذه العقيدة لا يكلف البشرية ما تكلفها المناهج البشرية :-

ان من يظن ان استئناف هيمنة هذه العقيدة على الأرض في جولة أخرى جديدة ، ويفكر ان هذا جد صعب ، يتعب البشرية ويحتاج الى تكثيف جهد وجهود ، وان مناهج الجاهلية ، والقوانين الوضعية أيسر وأسهل ولا تكلف كثيرا .

وهذا الكلام وهم ، وجهل ، واعتداء على جناب هذا الدين المتين .

وذلك ان المناهج الجاهلية التي يخترعها البشر بعيدة عن هدى الله ومنهجه لابد وان تنطبع بصفات صانعيها من الضعف البشرى ، والهوى ، والجهل ، وان ذلك ليؤدى ولا ريب الى شقاء البشرية بهذه المناهج ، وارهاقها وهو الضنك القاصم ، والقحط من الامن والاستقرار والسكينة ، التي هي نهاية من أعرض عن منهج الله ودينه .

---

(١) المرجع السابق ص ٣١ .

وهذا فضلا عن انها تتسم كذلك بالعلاجات والحلول الجزئية للمشكلات والمعضلات البشرية في مختلف جوانب الحياة ، فتعالج من جهة في حين تخرب في جهات أخرى وذلك من جراء الرؤية الناقصة ، فاذا عادت الى علاج الداء الجديد انشأت داء جديدا وهكذا .

وهذا ولا ريب يكلف البشرية من الجهد والجهاد ، والبذل المهدر ، والطاقات الضائعة ، ما هي في غنى عنه وتستغني عنه فعلا حين تفيء الى منهج الله ، ذلك المنهج الشامل الكامل المنسجم مع الفطرة ، ذو الحلول المتكاملة ، الشاملة ، الشافية .

والتاريخ خير شاهد ، يشهد بما فيه من سجل الآلام البشرية ، من جراء مناهج الجاهلية ، في تاريخها الطويل ، يرى المتدبر أين الرهق وأين المشقة في تطبيق المذهبين (١))

وضوح الطريق ، وتحديد المراحل :-

ان أهم ما يميز دين الله ومنهجه في العمل للوصول الى تحقيق هذا الدين ، واقعا يتحرك في نفوس اتباعه أولا ثم في واقع حياتهم ومجتمعاتهم ثانيا .

انه واضح الهدف ، محدد المراحل ، محدود الخطوات ، والمنتمون الى هذه العقيدة ومن يتشرفون بالعمل لها ، يعرفون تماما ماذا يريدون وكذلك فانهم يعرفون وبكل وضوح وبصيرة ، الطريق لتحقيق هذه الارادة .

وما ذلك الا بفضل الله ورحمته بالناس اذ لم يتركهم يتخبطون الطريق خبط عشواء ، ولا ترك ذلك لأمزجتهم أو أهوائهم ، يعمل كل على هواه ،

بل ان الله تبارك وتعالى وضح للعاملين الطريق ، فالدعوة لله ، وطريقها ومنهج عملها بأمر الله كذلك .

---

(١) راجع المصدر السابق ص ٣٤ - ٣٥

استمع الى قول الحق :

(وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (١)

وقوله : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (٢) .

والرهط الكريم من الأنبياء والمرسلين جميعا حملوا لواء الله ، ودعوا الناس الى دعوة الله المباركة ، وهم في ذلك قادة ، يقودون الناس الى الحق والخير ، وأئمة على آثارهم يهتدي البشر ، وبهداهم يقتدون .

فوضحوا معالم الطريق ، وأناروا السبل ، ورسموا المدارج للسالكين ، فبلغوا الرسالة ، وادوا الأمانة ، وكل ذلك مدون يعرفه المؤمنون ، اما في كتاب الله الصادق ، أوفي الخبر عن المصطفى صلى الله عليه وسلم الثابت .

فقد زخرت السنة المطهرة بالآثار والأحاديث التي توضح معالم الطريق ، وترسم اسلوب العمل لتحقيق هذه العقيدة .

مثل قوله صلى الله عليه وسلم :

(قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك) (٣)

وقوله صلى الله عليه وسلم : (ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات) (٤) .

---

(١) سورة الأنعام - ١٥٣ -

(٢) النحل - ١٦ -

(٣) رواه ابن ماجه في المقدمة والامام أحمد والحاكم في المستدرك عن العرباض بن ساريه .

(٤) متفق عليه ، انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ ٢ / ١٥٣

وهكذا اعتقد الجيل الأول من الصحابة الأجلاء بهذا الوضوح في التصور والعمل بأوامر هذا الدين ، فكانوا يقولون لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ترك لنا طائرا يقلب جناحيه في الهواء الا وذكر لنا فيه علما .

وبعد فهذا أمر عقيدتنا ، واضح كالشمس ، لألاء كالبدر ، نوره يضيء الطريق للمخلصين ، ويكشف ويبدد ظلمات الباطل أمامهم .

فتصورهم الاعتقادي واضح ، وطريقهم في أذهانهم واضح ، وعدوهم الحقيقي وأولويات العمل للاسلام في خططهم ومنهجهم كل ذلك واضح .

(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) (١) .

وصدق القائل : اسلامنا نور يضيء طريقنا/اسلامنا نار على من يعتدي/

---

(١) سورة المائدة - ١٥ -

الفَصْل الثالث

خاصّية الوَسَطِيّة

عقيدة وسط

لقد امتن الله تبارك وتعالى على هذه الأمة الوارثة للرسالة والعقيدة الخاتمة بأنها أمة وسط فقال تعالى :-

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) .

ولما كانت هذه الصفة - الوسطية - في معرض المدح لهذه الأمة ، فلا بد وان تكون متضمنة لمعاني الشرف والعز والذكر والرفعة والسمو على كل صفات المدح وسنرى ذلك مفصلا :

معنى الوسط :

قال الامام القرطبي : والوسط : العدل .

وأصل هذا ان أحمد الأشياء أوسطها . وروى الترمذي عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) :

قال : عدلا . قال هذا حديث حسن صحيح .

وفي التنزيل (قال أوسطهم) أى أعدلهم وخيرهم .

وقال زهير : هم وسط يرضى الأنام بحكمهم اذا نزلت احدى الليالي بمعظم

ووسط الوادى : خير موضع فيه وأكثره كلأ وماء .

ولما كان الوسط مجانبا للغلو والتقصير كان محمودا .

---

(١) سورة البقرة - ١٤٣ -

ثم يقول : أى : هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في انبيائهم ، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم ، وفي الحديث خير الأمور أوسطها) .(١)

وقال الامام النسفي :-

وسطا : خيارا ، وقيل للخيار وسط لان الأطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط محمية] .(٢)

مظاهر وسطية العقيدة :-

مما مر نرى ان هذه الأمة وسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل ،أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد ،أو من الوسط بمعناه المادى الحسي .

وان أجلى مظاهر هذه الوسطية ما يتعلق بالعقيدة والاعتقاد :-

فهذه العقيدة :-

أ- وسط في التصور والاعتقاد :-

فهي لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادى ،انما ،تتبع الفطرة فى نظرتها للانسان ،المتمثلة في روح متلبس بجسد ، أو جسد تتلبس به روح ، وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد ، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذى تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها ، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع ،بلا تفريط ولا افراط ، في قصد وتناسق واعتدال .

---

(١) انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -جـ ٢ ص ١٥٤ ط/ دار الكتب المصرية .

(٢) انظر تفسير النسفي -للامام النسفي - ص ٧٩ -جـ ١ ط / دار الكتاب العربي .

ب - وسط في التفكير والشعور :-

فلا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة ، ولا تتبع كذلك كل ناعق ، وتقلد تقليد القردة المضحك . . . ، انما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج واصول ، ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب ، وشعارها الدائم ، الحقيقة ضالة المؤمن انى وجدها اخذها ، في تثبت ويقين) .[1]

ج - وسط بين الخرافيين وبين الماديين :-

ذلك أن هناك نوعين من البشر ازاء أمور الاعتقاد والغيب ، فنوع راح يخبط في الخيال ، ويتيه في دياجير الخرافة والجهل ، فيسرف في الاعتقاد ، ويصدق بكل شيء حتى لو كان شعوذة وخرافة ، ويصطدم مع أبسط حدود العقل والمنطق والفهم ، ويؤمن بغير برهان .

والنوع الآخر هو الذى ينكر كل ما وراء الحس ، ويجحد الخالق المدبر ، الصانع سبحانه ، لا يستمع لصوت الفطرة الصارخ في الاهتداء الى الخالق والدين الحق ، ولا حتى لنداء العقل السليم الذى ان ترك وحريته فلا بد وان يتوصل الى العقيدة السليمة .

بل ويسد أذنيه وعينيه ، وقلبه ، عن صراخ المعجزة الخارقة ويلج في ضلاله ولا يهتدى ، والاسلام وسط بين ذنيك الفريقين ، فهو يدعو الى الاعتقاد والايمان ، ولكن بما قام عليه الدليل القطعي والبرهان اليقيني ، وما عدا ذلك من ركام الأخلية ، أو الاغراق في عالم الخرافة أو الأساطير أو البدع ، فان عقيدة الاسلام ترفضه وتعده من الأوهام ، وشعارها دائما .

(قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) .[2]

---

(١) انظر تفسير في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج ١ ص ١٣١ .
(٢) سورة البقرة - ١١١ -

كذلك فانها وسط بين الماديين والملاحدة وبين المشركين المعددين للآلهة ، فالاولون قد جحدوا كل الأسباب والوسائل المؤدية الى الايمان من فطرة سليمة ، وعقل سليم ، والآخرون الهوا الأوثان والأحجار ويحلون روح الآله في الملوك والحكام ، فالاسلام يدعو للايمان باله واحد لا شريك له ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وكل ما عداه من المخلوقات باطل لا يملك ضرا ولا نفعا .

فعقيدتنا ترفض الانكار الملحد ، وترفض التعدد الجاهل المنحرف ، والاشراك الغافل ، وتثبت التوحيد الحق .

د - وسط بين الذين يؤلهون البشر وبين الجبرية المدمرة للانسان :-

والعقيدة الاسلامية وسط في نظرتها الى الانسان ، فلم تغال في نظرتها اليه كالذين يؤلهون الانسان ويضفون عليه من خصائص الربوبية أو الالوهية) ويعتبرونه اله نفسه ، فهو الذى يخلق أفعاله ، ويتصرف ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد دون مشيئة وارادة الله ، وذلك فعل الشيعة الرافضة بالأئمة عندهم ، أو كالقدرية مجوس هذه الأمة .

وبين الذين جعلوا الانسان أسير جبرية اقتصادية ، فهو محكوم بتطور وسائل الانتاج التي بدورها تفرض عليه نظاما للحياة خاصا ، أو جبرية اجتماعية فهو محكوم كذلك بمجتمعه الذى يعيش فيه من رأسمالي أو شيوعي لا ينفك عنه ، فهو سن في دولاب كبير ، أو أسير جبريه دينه فكريه تجعله حرا من الأمر والنهي والمؤاخذة والعقاب فهو مجبور على فعله ، والقدر يحكمه ولا خيار له في شيء ، فهو كريشة في مهب الريح ، أو دمية يحرك خيوطها المجتمع أو الاقتصاد أو القدر .

لكن الانسان في عقيدة الاسلام : هو مخلوق مكلف مسؤول ، مسير في الكون عبد لله ، (وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين)[١] .

يحاسب على فعل نفسه ، وقدر الله وقضاؤه بالنسبة له سابق لا سائق ، وقضاء الله به هو علم انكشاف لا جبر فيه .

(قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)[٢] .

وهو كذلك قادر على تغيير ما حوله بقدر ما يغير ما بنفسه :

(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)[٣] .

هـ - وسط بين من يقدس الأنبياء ، أو يصفهم بصفات الاله ، وبين من يكذبهم ويعاندهم ويؤذيهم :-

فمن الأديان والعقائد أو الفرق من يقدسون الأنبياء لدرجة أن يرفعوهم الى مرتبة الالوهية أو البنوة للاله .

واخرون كذبوا الانبياء واتهموهم ، أو نفوا عنهم العصمة والاستقامة ، حتى رموهم بأسفل الصفات واحط المزايا ، أو حتى عذبوهم ، وصبوا فوق رؤوسهم كؤوس العذاب ، بل قتلوهم كما فعلت بنو اسرائيل بالنبيين زكريا ويحيى عليهما السلام .

فالأنبياء في عقيدتنا هم بشر مثلنا ، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، ولكثير منهم أزواج وذرية ، وكل ما بينهم وبين غيرهم من فرق ، أن الله من عليهم بالوحي وأيدهم بالمعجزات .

---

(١) سورة التكوير - ٢٩ -

(٢) سورة الشمس - ٩ - ١٠ -

(٣) سورة الرعد - ١١ -

(قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (١)

والرسول صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن المدح والاطراء الشديد الذى يفضي الى تعظيم المرء والافضاء الى مساواة صفاته بصفات الاله . فكان يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

(لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم ، انما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله) (٢) وذلك حماية منه صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد وحتى لا تختلط حقيقة المخلوق ولو كان نبيا بحقيقة الخالق ، فيكون الشرك والعياذ بالله .

وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) (٣) .

(وقالت اليهود عزير بن الله) وقالت النصارى المسيح بن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله انى يوءفكون) (٤)

ويدخل في هذا المبحث نقطة أخرى وهي أن أهل السنة وسط عدل بين فرق انحرفت عن الجادة ، ففرقة غلت وتجاوزت الحد في الصحابة وبالأخص آل البيت كعلي بن أبى طالب رضي الله عنه ففضلوه على باقي الصحابة ، وحتى غلا بعضهم فرفعه الى مرتبة الالوهية وعلم الغيب وهوءلاء هم الرافضة والشيعة ومن يدخل تحت لوائهم من الفرق الباطنية .

---

(١) سورة ابراهيم -١١ -
(٢) رواه البخارى في كتاب الأنبياء ، والدارمي في سننه في كتاب الرقاق .
والامام أحمد عن عمر بن الخطاب .
(٣) سورة المائدة - من آية - ٧٢ -
(٤) سورة التوبة - ٣٠ -

وفرقه كانت على النقيض الا وهم الخوارج حيث انهم كفروا عليا رضي الله عنه لقبوله التحكيم .

وكان أهل السنة والجماعة وسطا بين غلو الرافضة وجفاء الخوارج فهداهم الله لموالاة الجميع ومحبتهم وعرفوا لكل حقه وفضله . (١)

و - وسط بين من يؤمن بالعقل وحده مصدرا للمعرفة وبين من يلغيه :-

ذلك ان موضوع العقل وكونه مصدر المعرفة واستمداد الحقائق أمر تنازع فيه البشر ، فأناس يؤمنون بالعقل والعقل وحده مصدرا لمعرفة حقائق الوجود ، فالعقل عندهم هو الأساس ، والنقل والشرع فرع له وهو له تبع ، فاذا تعارض العقل مع النقل في مسألة أو قضية ، قدم حكم العقل لأنه هو الأصل ، وأول النقل يتمشى مع حكم العقل .

وآخرون ذهبوا على خلاف أولئك تماما ، فهم لا يعترفون للعقل بأى حكم ، وينكرون دوره في النفي أو الاثبات ، ولا يؤمنون الا بالوحي أو الالهام ، وعقيدتنا تؤمن بالعقل وتعترف بدوره الكبير وأثره الواضح في التوصل الى الايمان والتدبر والتفكر بآلاء الله في الكون ليخلص منها الى الايمان برب هذا الكون وبدوره كذلك في فهم الحكم الشرعي واستنباطه .

فالعقل مناط التكليف والقلم قد رفع عن من فقده ، لكن النقل الصحيح لا يتعارض مع حكم العقل الصحيح والنقل أو الشرع هو الأصل فهو الأثبت عند اختلاف العقول .

---

(١) انظر الكواشف الجلية / ٥٠٧

ذلك انه حكم الله العليم الخبير فهو الصادق الصحيح وهو النابع عن العلم المطلق الشامل ، في حين أن العقول قاصرة محدودة .

اذن فعقيدتنا تقف في الوسط : فهي تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من جراء خبط العقول والأخيلة بلا هاد أو دليل أو شعاع من نور الله الحق .

وهي كذلك تبعد البشر عن الفتنة بالعقل والهوى .(١)

ز - وسط في باب الصفات بين النفاة وبين المجسمة ، أو بين المعطلة والمشبهة :

فهي عقيدة وسط في صفات الله تبارك وتعالى ، فليس فيها الغلو في التجريد ، ونفي الصفات ، الأمر الذى يجعل صفات الاله مجرد سلوب ، لا تعطي معنى ، ولا توحي بخوف أو رجاء ، كما فعلت الفلسفة اليونانية ومن سلك سبيلها من الفرق ، من غير أن تقول ما هي صفات هذا الاله الايجابية ؟ وما أثرها في هذا العالم ؟

ويقابل هذا ان عقيدتنا قد خلت كذلك من التشبيه والتجسيم الذى وقعت فيه العقائد الأخرى كاليهودية التي جعلت الخالق كأنه أحد المخلوقين من الناس ، ووصفته بالنوم ، والتعب والراحة ، والتحيز والمحاباة والقسوة . . .) وجعلته يلتقي ببعض الأنبياء فيصارعه ، فلم يتمكن الرب من الافلات منه حتى أنعم عليه بلقب جديد) .(٢)

---

(١) راجع في هذا الموضوع بتوسع كتاب العقل والنقل لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله . وكتاب الخصائص العامة للاسلام - ليوسف القرضاوى - ص ١٢٧ - ١٢٩ - ط/ دار غريب.

(٢) راجع كتاب - الايمان والحياة - ليوسف القرضاوى - ٤٠ — ٤٢

ولكن عقيدة الاسلام كما قلنا وسط بين كل أولئك، فالفريق الأول جرد الاله سبحانه من الصفات حتى أصبح كالعدم ، والآخر شبهه بخلقه وهذا كفر وشرك كمن يعبد الصنم ، ولكن رأى أهل السنة والجماعة ومذهب الرعيل الأول من هذه الأمة وهو الذى دل عليه الكتاب والسنة هو الاثبات المفصل للصفات ، والنفي المجمل .

طريقهم في الاثبات والنفي طريق القرآن :

(ليس كمثله شيء • وهو السميع البصير) (١)

فالشطر الأول من الآية السالفة رد على المشبهة المجسمة .

والشطر الثانى " " " " " المعطلة نفاة الصفات من جهمية أو معتزلة أو قدرية أو أشاعرة أو غيرهم) (٢) .

ويقول ابن القيم رحمه الله في نونيته المشهورة :-

لسنا نشبه ربنا بصفاتنا	ان المشبه عابد الأوثان
كلا ولا نخليه من أوصافه	ان المعطل عابد البهتان
من شبه الله العظيم بخلقه	فهو الشبيه لمشرك نصراني
أو عطل الرحمن عن أوصافه	فهو الكفور وليس ذا ايمان

وهذا النهج في اخذ الصفات والأسماء المذكورة في القرآن والسنة على ظاهرها مع اثبات ما اثبته الله لنفسه وما اثبته له رسوله من غير تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف هو مذهب الرعيل الأول من سلف هذه الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وتابعيهم يقول الامام الشوكاني :-

---

(١) سورة الشورى -١١ -

(٢) انظر الكواشف الجلية عن معاني الواسطية - لعبد العزيز السلمان ص ٩٣

(ان مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم هو ايراد أدلــة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف بشيء منها ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل يفضي اليه كثير من التأويل .

وكانوا اذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل ، وامسكوا عن القال والقيل ، وقال الله هكذا ، ولا ندرى بما سوى ذلك ، ولا نتكلف بما لم نعلم ولا اذن الله بمجاوزته ... الى أن يقول :

وكان في هذه القرون الفاضلة الكلمة في الصفات متحدة ، والطريقة لهم جميعا متفقة ، وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به ، وكلفهم القيام بفرائضه من الايمان بالله واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والصيام والحج والجهاد ، وانفاق الأموال في انواع البر وطلب العلم النافع . وارشاد الناس الى الخير على اختلاف أنواعه ، والمحافظة على موجبات الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة .. وما تبلغ اليه القدرة ، ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعلمه ، ولا تعبدهم بالوقوف على حقيقته .

فكان الدين اذ ذاك صافيا عن كدر البدع)[(١)] .

ح/ وسط في باب الوعيد بين المرجئة والوعيدية من القدرية :-

أما كونهم وسطا في باب الوعيد فلان المرجئة المنسوبون الى الأرجاء لتأخيرهم الأعمال عن الايمان حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة غير فاسق وقالوا لا يضر مع الايمان ذنب ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، وعندهم أن الأعمال

---

(١) انظر - التحف في مذاهب السلف - للشوكاني - ص ٦٩ جـ ٢ من مجموعة الرسائل المنيريه .

ليست داخلة في مسمى الايمان وان الايمان لايتبعض ، وان مرتكب الكبيرة كامل الايمان غير معرض للوعيد .[1]

وأما الفرقة الأخرى وهي الوعيدية :-

فهم القائلون بانفاذ الوعيد ، وان مرتكب الكبيرة اذا مات ولم يتب منها فهو خالد مخلد في النار ، وهو اصل من اصول المعتزلة ، وبه تقول الخوارج . قالوا لأن الله لايخلف الميعاد وقد توعد العاصين بالعقوبة فلو قيل ان المتوعد بالنار لايدخلها لكان تكذيبا لخبر الله .

والمذهبان انحرفا عن الجادة في المسألة ويخالفان أدلة الكتاب والسنة :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(صنفان من أمتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية)[2]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
(يكون في أمتي ضعف ومسخ وذلك في المكذبين بالقدر)[3]

وأما أهل السنة والجماعة فهم وسط في ذلك :-

فقالوا : ان مرتكب الكبيرة ناقص الايمان آثم وهو معرض نفسه للعقوبة ، وهو تحت المشيئة الالهية اذا مات من غير توبة ان شاء الله عفا عنه وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ولكنه لايخلد في النار بل يخرج منها بعد التطهير والتمحيص من الذنوب والمعاصي امابشفاعة واما بفضل الله ورحمته .[4]

---

(١) وهذا الارجاء غير الارجاء الذى نسب الى بعض الأئمة من أهل الكوفة كأبى حنيفة رضي الله عنه وغيره بل لأنهم اخروا الأعمال عن الدخول في مسمى الايمان وهذا خلاف صورى لانهم متفقون وأهل السنة في احكام أهل الكبائر والمذنبين / انظر شرح العقيدة الواسطية / ١٢١ .

(٢) رواه الترمذى انظر تحفة الأحوذى جـ ٦ / ٣٦١

(٣) رواه أبو داود في كتاب القدر وروى الترمذى نحوه .

(٤) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ٥٠ - ٥٠١

جـ - وسط بين التسليم الابله والاعتقاد الأعمى ، وبين معرفة كل شيء حتى الالوهيــة :-

فليس في عقيدتنا ايمان واعتقاد بالوراثة عن الآباء ، كما يرث عنهم العقار والأملاك (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون)[1] .

وتنكر كذلك على الذين يريدون معرفة كل شيء حتى عن الالوهية وصفات الالـــه .

فهي عقيدة وسط ترفض الاعتقاد الأعمى ، وتطلب الاعتقاد والتصديق المبصر الواعي ، وتقرر ان العلم قبل القول والعمل والله تعالى يقول :

(فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك) سورة محمد / ١٩

ولذلك فانها قــد وضعــت حدودا للتفكير البشرى ، وقيودا لبحـــث الانسان واطلاعه ، وذلك مراعاة لقدرات البشر القاصرة وطاقاتهم المحــدودة التي هي أقل من أن تحتوى الكل والكامل الله رب العالمين قيوم السمـــاوات والأرضين .

والرسول صلى الله عليه وسلم : يرسم للعقل طريقة التفكير ويضع له معالمـه الصحيحه :- فيقول صلى الله عليه وسلم : (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره)[2] .

وينهى عن الخوض في كيفية صفات الله و حتى السؤال عنها :

ذلك ان المطلوب من العبد المكلف أن يؤمن بتلك الصفات والأسماء المنصوص عليها في الكتاب والسنة من غير سؤال عن كيفيتها ، ولا بحث عن كنهها ، وذلك :

---

(١) سورة الزخرف - ٢٣ -

(٢) سبق تخريجه في صفحة / ٩٠

لان معرفة كيفية الصفة متوقفة على معرفة الذات ، لأن الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها ، وذات الله لا يسأل عن كيفيتها وكنهها ، فكذلك صفاته سبحانه لا يصح السؤال عن كيفيتها)[١].

ولذلك فقد أثر عن كثير من السلف انهم كانوا اذا سئلوا عن كيفية الاستواء - استواء الله على عرشه - قالوا :

(الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة)[٢]

فاتفق هؤلاء السلف على أن الكيف غير معلوم لنا ، وان السؤال عنه بدعة .

---

(١) انظر كتاب منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات - لمحمد الأمين الشنقيطي ص ٢٥ -
والروضة الندية ص ٣٣

(٢) انظر الروضة الندية ص ٢٩ .

وسط بين الدنيا والآخرة :-

فلا تحصر الحياة للكفاح والعمل والسعي للحصول على القوت أو المتعة ، دون التفات الى عمل الآخرة ، وغراس الجنة والعمل بطاعة الله وتحصيل أسباب الوسيلة الى الله تبارك وتعالى .

ولا هي كذلك تأمر بالتبتل والانقطاع عن الحياة الدنيا وزينتها وما فيها والانعزال في زوايا الذكر والعبادة فيهلك جسمه ويستنفذ طاقته في طقوس وعبادات ما أنزل الله بها من سلطان .

لكنها تأمر بالسعي للدنيا وربط ذلك السعي بالآخرة ، وتربط بين العبادة والعمل والسعي والكسب والجهاد ، تأمر بالاهتمام بالناحيتين معا على اعتبار أن الدنيا مزرعة للآخرة ، والدنيا دار ممر والآخرة هي دار المقر .

وتربط بين هذه النواحي في توازن رائق ، واتزان رائع ، بحيث لا تطغى احدى الحالتين على الآخرى فتنعكس تشوها على شخصية وفكر الانسان .

فهي تنهى عن الغلو (١) في الدين وعن التشدد الزائد فيه .

وفي نفس الوقت فانها تنهى عن الترخص والتميع الذي يريده البعض ، لكن أن يكون كل ذلك بميزان منضبط متزن ، وسط ، كما قال تعالى :- (٢)

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)

---

(١) الغلو : لغة : التجاوز في الحد ، والخروج عن القصد في كل شيء . وغلا في الدين والأمر يغلو : جاوز حده وأفرط فيه) - انظر لسان العرب لابن منظور . مادة : غلا .
(جاء في القرآن الكريم - (لا تغلوا في دينكم) ، والحديث السابق اياكم والغلو ....)
أى بالتشدد فيه ، ومجاوزة الحد ، لان دين الله بين الغلو والتقصير ، ولان الحق بين طرفي الافراط والتفريط) انظر كتاب - العلويون أو النصيرية - عبد الحسين العسكري - ص ١١ - ٣٠

(٢) سورة القصص -٧٧ -

فهي لا تقر الافراط كما تنهى عن التفريط

(ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ..) (١)

(واياكم والغلو في الدين فانما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين) (٢)

عقيدة وسط ،لتقيم أمة وسطا :

مما ذكرنا سابقا نرى اشراق هذه العقيدة وقيمتها حيث انها في الذروه من كل شيء ، وما ذاك الا لانها تهدف الى ايجاد أمة لها كيان مستقل متميز وسط ، فكما شاء الله لها أن تكون وسطا في الزمان حيث تنهي عهد طفولة البشرية من قبلها ، وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها ،وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات ، وتصدها عن الفتنة بالعقل والهوى .

ووسطا في المكان : -في سرة الأرض ، وفي أوسط بقاعها ،بحيث تتوسط اقطار الارض من شرق و غرب ، وجنوب وشمال ،وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعا ،وتشهد على الناس جميعا) (٣)

كل ذلك يحتم أن تكون لها شخصيتها المستقلة ، المتفرده بكيانها وفكرها ، لتتمكن من اقامة دين الله في الأرض وتحقيق العبودية الحقة لله الواحد الأحد .

---

(١) جزء حديث رواه البخاري في كتاب الايمان وكتاب القصد والمداومة على العمل وفي الرقاق ،والتمني .

(٢) رواه الامام أحمد في مسنده عن ابن عباس والنسائي وابن ماجه في كتاب المناسك .

(٣) انظر تفسير في ظلال القرآن - ج ١ - ص ١٣١

ونريد بهذا اشعار هذه الأمة بحقيقتها الكبيرة في هذا الكون ، ووظيفتها الضخمة في هذه الأرض ، ومكانتها ومكانها العظيم في هذه البشرية ، ولنذكرها بدورها الأساسي في حياة الناس مما يقتضي كما قلنا أن يكون لها صفها المتميز ، وقياداتها المستقلة ، وشاراتها المتميزه .

فلا تذوب ، ولا تتحول ، ولا تقبل التحوير أو التزوير .

وصدق الله .

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) .

---

(١) سورة البقرة - ١٤٣ -

الفصل الرابع

خاصيّة الفطرية

عقيدة الفطرة

كما سلف حديثنا عن التدين، وان الانسان خلقه الله تبارك وتعالى مفطورا عليه، وجبلت نفسه فيما جبلت على الدينونه لله .

وهنا سنتحدث عن الفطرة ثانية ، لكن في موضوع آخر هو انها احدى خصائص هذه العقيدة التي تميزها عن غيرها من العقائد أو الأفكار وما الى ذلك .

والمقصود بالفطرة هي الواردة في قوله تبارك وتعالى :-

(فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [1] .

وفي الأحاديث النبوية مثل حديث أبى هريرة : -

(كل مولود يولد على الفطره . . .) [2] وهي صحيحة خرجت في الصحيحين وغيرها بألفاظ عدة :

واختلف العلماء في معنى الفطرة المذكورة في الكتاب والسنة على أقوال :

منها : الاسلام - قاله أبو هريرة وابن شهاب وهو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل [3] واحتجوا بالآية المذكورة ، وحديث أبى هريرة :

---

(١) سورة الروم - ٣٠ -

(٢) رواه الامام مسلم في كتاب القدر والبخارى في كتاب الجنائز ، والترمذى في كتاب القدر ، وأبو داود في كتاب السنة .

(٣) انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ص ٢٤ - ٣١ ج ١٤ ط / دار الكتب.

وعضدوا ذلك بحديث عياض بن حمار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

(يقول الله اني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما احللت لهم) رواه الامام مسلم في كتاب الجنة
وبحديث : (عشر من الفطرة)[1] ، فذكر منها قص الشارب ، وهو من سنن الاسلام ، وعلى هذا التأويل يكون معنى الحديث والآية :-

ان الطفل خلق سليما من الكفر على الميثاق الذى أخذه الله على ذرية آدم[2] حين أخرجهم من صلبه ، وانهم اذا ماتوا قبل أن يدركوا فهم في الجنة ، أولا مسلمين كان أو أولاد كفار.[3]

النفس الانسانية مفطورة على توحيد خالقها :-

مما ذكرنا نعلم ان هناك عهدا من الله على فطرة البشر ان توحده .

وان حقيقة التوحيد مركوزة في هذه الفطرة يخرج بها كل مولود الى الوجود ، فلا يحيل عنها الا ان يفسد فطرته عامل خارجي عنها !

عامل يستغل الاستعداد البشرى للهدى والضلال .[4]

---

(١) رواه الامام مسلم عن عائشة في كتاب الطهارة واصحاب السنن كذلك .

(٢) في قوله تعالى (واذا خذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الأعراف - ١٧٢ -

(٣) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره ، في صفحة ٢٥ جـ ١٤
وذكر كذلك بقية آراء العلماء في معنى الفطرة : نوجزها : دون ذكر الأدلة وتفصيل أمرها :- فريق قال انها بمعنى : البداءة التي ابتدأهم الله عليها ، أى على ما فطر الله عليه خلقه من انه ابتدأهم للحياة أو الموت ، والشقاوة والسعادة ، والى ما يصيرون اليه عند البلوغ — وفريق آخر : قال ان الفطرة : هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه - وقال آخرون : انها الفقر والفاقة . راجع تفسير القرطبي من ص ٢٤ - ٣١ جـ ١٤

(٤) راجع تفسير ظلال القرآن (ص ١٣٩٤ جـ ٣) دار الشروق .

ذلك ان الله عز وجل شاء ان يخلق الانسان على هذه الكيفية مستعدا للهدى والضلال ، ولتبقى الفطرة تعمل عملها دائما ولا تتعطل :-

(ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)(١) .

فالتوحيد أصل في الفطرة ، وعليه خلق آدم عليه السلام ، انسانا سويا موحدا كامل التوحيد ، عارفا حق العبودية عليه ، ومقام الالوهية وحقوقها .

وان ما نشهده من مظاهر الشرك في البشرية اليوم ، انما هو طارئ عليها ، بعد أن ابتعدت عن هدى الله ، وانحرفت عن منهجه .

مظاهر فطرية العقيدة :-

ان أهم مظاهر فطرية عقيدتنا ، انها اعترفت للانسان بحاجاته ، الروحية والعضوية ، وقيمته تقييما انسانيا من حيث هو بشر خلقه الله تبارك وتعالى ذا منازع ورغبات ، وضمن طاقات واستعدادات ومواهب وقدرات انسانية .

وهي في هذه النظرة الى الانسان ترفع من قيمته ، ومستواه ، الذي حطه فيه مخترعو المذاهب المادية التي تنظر الى الانسان نظرة مادية مجردة ، لا تتعدى جسمه ومتطلبات شهوته وغريزته ، وحطموا فيه كل معنى كريم ، وكل قيمة اصيلة ، نظيفة ، حتى غدا كالانعام بل هو أضل سبيلا .

---

(١) سورة الشمس - ٧ - ١٠ -

وليس معنى ذلك ان ديننا يريد الانسان ملكا ، أو يجرده من تلك النوازع أو يكبتها ، لكنه ، يهذبها وينقيها ويفتح لها أبواب الطهر والنقاء لتطارس من خلالها تلك الحاجات .

وهي ما جاءت ترهق الانسان بأثقال وقيود تحطم فكرة وعقله ، أو جسمه أو قلبه بتكاليفها بل كل أوامرها ، انما هي في حدود الطاقة البشرية ، والاستمداد النفسي .

والحق تبارك وتعالى يبين ذلك بوضوح وجلاء اذ يقول :—

(لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) [1] .

ويعلق صاحب الظلال عند تفسير هذه الآية :-

(انها العقيدة التي تعترف بالانسان انسانا ، لا حيوانا ولا ملكا ولا شيطانا ، تعترف به كما هو بكل مافيه من ضعف ، وكل ما فيه من قوة ، وتأخذه وحدة مؤلفة من جسد ذى نوازع ، وعقل ذى تقدير ، وروح ذى أشواق ، وتفرض عليه من التكاليف ما يطيق ، وتراعي التنسيق بين التكليف والطاقة بلا مشقة ولا اعنات) [2] .

استيقاظ الفطرة :-

ان الشعور الفطري بالتدين لخالق خبير بصير سميع ، فطر الكائنات ، ويهيمن على كل شيء ، ويدبر كل أمر ، يخشى ويرجى ، ويعظم ويقصد ، شعور ينبع من أعماق الانسان ، ويستمد من كيانه كله ، لا من عقله فقط ، أو من وجدانه فقط ، وكل ذلك بلا تعلم أو تلقين أو اكتساب - وان كان يزيد ويعمق ويزداد يقينا بهذه الوسائل .

---

(١) سورة البقرة - ٢٨٦ -

(٢) راجع تفسير في ظلال القرآن ص ٣٤٤ ج ١ .

ان هذا الشعور الفطرى قد يختفي في ساعات العافية والرخاء ، والغنى ، الذى يطغي الانسان ويحجبه أحيانا عن رؤية نفسه على حقيقتها ، فاذا نزلت بالانسان شدائد قاهرة ، وزلزلته قوارع الزمن ، ذاب ذاك الطلاء الكاذب الذى غشى الفطرة الاصلية ، ورجع الانسان الى ربه ضارعا داعيا منيبا اليه .

سأل رجل الامام جعفر الصادق عن (الله) فقال له : ألم تركب البحر ؟ قال : بلى ، قال : فهل حدث لك مرة أن هاجت بكم الريح عاصفة ؟ قال : نعم ، قال : وانقطع املك من الملاحين ووسائل النجاة ؟ قال نعم : قال : فهل خطر ببالك ، وانقدح في ذهنك أو نفسك : ان هناك من يستطيع أن ينجيك ان شاء ؟ قال نعم . قال جعفر : فذلك هو الله) . (١)

وهذا (ستالين) الذى كان يجحد وجود الله ويقول (لا اله والحياة مادة) (والدين علقه تمتص دماء الشعوب) يضعف امام هول الحرب العالمية الثانية ، فاذا به يخرج القساوسة من السجن حتى يدعوا له بالنصر ، ومرة ثانية امام شدة مرضه يرسل وراء القسيس حتى يصلي له ويستغفر) . (٢)

والى هذه الحقيقة يشير القرآن الكريم اذ يقول :-

(هو الذى يسيركم في البر والبحر ، حتى اذ كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ، وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا انهم احيط بهم ، دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) . (٣)

---

(١) راجع كتاب وجود الله ـ للقرضاوى ـ فصل دلالة الفطرة .

(٢) انظر كتاب ـ العقيدة وأثرها في نباء الجيل ـ عبد الله عزام ص ٩٧

(٣) سورة يونس -٢٢ -

الفطرة رصيد التغيير :-

ان أي عاقل يحترم عقله ، فضلا عن أن يكون ممن نور الله بصيرته بنور الايمان ، فاستقام ذوقه ، وشفت حساسيته ، لا يجادل في أن الجاهلية قد ضربت اطنابها على البر والبحر ومن عليهما ، يلمس ذلك من مظاهر الفساد والتعفن والانحراف ، والدمار والشرور ، التي شملت جوانب الحياة جميعا .(١)

قال تعالى : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون) .(٢)

لكننا وكما أسلفنا ان هذه العقيدة لها رصيد مستكن دائم في أعماق النفس البشرية ، لا يتغير بتغير النفس الموقت .

لان كل انحراف عن العقيدة الصحيحة انما هو غشاء وهمي ضعيف وما أن يحرك الحق قشرتها الخارجية حتى تستجيب لنداء الفطرة المركوز ، ورصيدها المدخر ، فتجيش طاقاتها ، وقدراتها اذا وجهت في صراط الله المستقيم .

والدليل على ذلك في السيرة والتاريخ ، هو جولة الاسلام الأولى في جزيرة العرب ، فيوم ان جاء الاسلام حينئذ ، كان يقف في وجهه واقع (ضخم) هو واقع الجزيرة العربية ، وواقع الكرة الأرضية ، ووقفت في وجهه جاهلية شاملة ، بعقائد ، وتصورات ، وقيم وموازين ، وأنظمة

---

(١) انظر كتاب - جاهلية القرن العشرين - لمحمد قطب . في هذا الموضوع فهو كاف واف .

(٢) سورة الروم - ٤١ -

وأوضاع ، ومصالح وعصبيات وكلها قد انحرف سيرها ، واختل أمرها وكانت بمجموعها ركاما جاهليا فظيعا . (١)

اذن قد كانت المسافة بين الاسلام وبين الواقع بعيدة هائلة . بحيث يبدو من المستحيل تغيير ذلك الى واقع آخر يرسمه الاسلام — طبعا بميزان المادة القاصر —

ولكن حدثت المعجزة ، وتزحزح هذا الواقع الهائل من مكانه ، ليخليه للوافد الجديد ، وسرعان ما تسلم القائد الجديد مقادة البشرية ، ليخرجها من الظلمات الى النور ، ويقودها بشريعة الله تحت راية الاسلام .

لم يحدث ذلك التغيير ، بخارقة ، أو قوى سحرية غير عادية ، بل — بفضل الله أولا وآخرا — ثم بجهود البشر ، وبالطريقة التي رسمها رب العالمين ونفذها امام الأنبياء والمتقين صلى الله عليه وسلم .

واصاخت الجاهلية لقول رب العالمين :-

(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (٢)

ولقوله تعالى :-

(ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (٣)

---

(١) راجع كتاب أبى الحسن الندوى - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .

(٢) سورة البقرة - ٢١ -

(٣) سورة الحجرات -١٣ -

واستمعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للناس جميعا :

(ياأيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ولا لا حمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى) .

واستمعت اليه يقول لقريش خاصة :

(يا معشر قريش اشتروا لأنفسكم ، لا اغني عنكم من الله شيئا ، ويابني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئا ، ياعباس بن عبد المطلب ، ما أغني عنك من الله شيئا ، يافاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا) متفق عليه .

واستمعت الفطرة الى النداء المستجاب ، ووجدت ان دعوة الله خير مما هي عليه وفيه ، واشمأزت من الاساس الهابط الذى كانت تقوم عليها أركان حياتها جميعا .

وكانت استجابة الفطرة أقوى من ثقل الواقع ، وانتفاضها من تحت الركام هائلا ، وانتصرت على العالم الخارجي الذى انشأته الجاهليات (١)

كل ذلك زاد على الطريق ، نقدمه لمن يغرهم انتفاش الباطل وانتفاخه ، ويخدعهم بريق الجاهلية الكاذب ، ويخيفهم اختيال الكفر وطغيانه في الأرض .

فان ما حدث مره ، يمكن أن يحدث مرات ، لآن الذى حدث كما أوضحنا وفق سنة جارية ، لا وفق معجزة خارقة .

---

(١) راجع بتوسع في هذا الموضوع فصل : رصيد الفطرة ، ورصيد التجربة من كتاب هذا الدين لسيد قطب .

والبشرية اليوم قد تكون أقدر على هذا الاتجاه الصحيح ، فرصيد الفطرة مدخر ، ينتظر من يثيره ويوجهه ، وتجربتها مع الجاهليات طحنتها .

والمطلوب هو عزمه موٴمنه ، تقوم لله ، وتجعله غايتها ، وتدعو الى منهج الله بصدق واخلاص ، وقيادة واعية حازمة شجاعة .

تحمل المصحف في يد ، والسيف في الأخرى .

فيحق الله الحق ويبطل الباطل .

(ويومئذ يفرح الموٴمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)[1] .

---

(١) سورة الروم - ٥ -

والبشرية اليوم قد تكون أقدر على هذا الاتجاه الصحيح ، فرصيد الفطرة مدخر ، ينتظر من يثيره ويوجهه ، وتجربتها مع الجاهليات طحنتها .

والمطلوب هو عزمة مؤمنة ، تقوم لله ، وتجعله غايتها ، وتدعو الى منهج الله بصدق واخلاص ، وقيادة واعية حازمة شجاعة .

تحمل المصحف في يد ، والسيف في الأخرى .

فيحق الله الحق ويبطل الباطل .

(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) (١) .

---

(١) سورة الروم - ٥ -

الفصل الخامس

خاصيّة التّغير

عقيدة تغييريـــــــــة :

ومعنى انها عقيدة تغييرية : ان عقيدة الاسلام ذات طابع مستقل في الأهداف والوسائل ، وتقيم مجتمعها على نمطها الخاص بها فهي لا تعايش أية عقيدة أخرى لأنها كلمة الله وكلمة الله هي العليا ، والعقائد الأخرى باطلة وهي كلمة سفلى .

(فهي لا ترضى ان تعيش على هامش الحياة ،أو ترضى بالمكـــان الهون في صدور الناس وعقولهم ،بل ان من شأنها أن تسود الحيـــاة كلها ، وتوجه الأفكار والمفاهيم والأقوال والأعمال والأخلاق والسلـوك، وتصبغ وجه المجتمع كله بصبغة الايمان وصبغة الله ومن أحسن من اللـــه صبغة) (١) .

فلسفة التغيير الاسلامي :-

والتغيير الاسلامي المنشود ليس فلسفة معقدة كما قد يفهم أو يظن أو يزعم البعض ... ذلك أن فلسفة التغيير في هذا الدين هي على العكس من ذلك تماما ، وبكلمات موجزات عبر عن هذه الفلسفة رجل من المسلمين هو ربعي بن عامر .

قال ربعي لرستم قائد جيوش فارس بعد أن سأله هذا عن سبب زحفهم (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من العباد ، من عبادة العباد الى عبـادة الله الواحد القهار.... ومن ضيق الدنيا الى سعتها ... ومن جـــور الأديان على عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليـــه ،

---

(١) انظر كتاب الحل الاسلامي ـ للقرضاوي ـ ص ٨٦ .

فمن قبل منا ذلك قبلناه منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبي قاتلناه حتى نفضي الى موعد الله) . (١)

والخلاصة :- ان هذه العقيدة ذات منهج تغييرى ، فانها ترفض الترقيع أو الترميم لبعض أجزائها دون الآخر ، ولا ترضى انصاف الحلول ولا أرباعها عند التطبيق ،كما انها لا تستسيغ التعايش مع الجاهلية .

قال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (٢)

التغيير كان منهج الرسول صلى الله عليه وسلم :

ولقد اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم في مواجهة الجاهلية ، منهجا تغييريا واسلوبا انقلابيا ،فعندما جاءت قريش تعرض عليه أن يعبد آلهتها شهرا لتعبد الهه شهرا آخر ،ينزل القرآن الكريم بالموقف الحاسم :

(قل ياأيها الكافرون ، لااعبد ما تعبدون ،ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين) (٣)

وقوله تعالى :

(فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع اهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ،وامرت لاعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ،لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا واليه المصير) . (٤)

---

(١) انظر كتاب -الاسلام فكرة وحركة وانقلاب- لفتحي يكن ص ١٩ مؤسسة الرسالة.

(٢) سورة الأنفال - ٣٩ -

(٣) سورة الكافرون .

(٤) سورة الشورى - ١٥ -

وليس هذا فحسب ؛ بل : عندما جاءته الجاهلية متمثلة في قادتها ، يعرضون عليه الملك أو المال أو الطب ،أو أي شيء يسكته عن دعوته لتغيير أركان ذلك المجتمع الفكرية أو الخلقية أو الاجتماعية ، ويرفض الرسول القدوة صلى الله عليه وسلم كل ذلك رفضا يشمل الشمس والقمر حتى لو اعطوه اياهما .

ولعل قائل يقول ، كان باستطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لو انه قبل بعض تلك العروض واعمها الملك ، أن يصلح الأوضاع باستمساك الزمام بيده ،ثم يخضع العالم للعقيدة التي يريد .

أقول ومع ان هذه الفكرة اليوم تلقى رواجا واتباعا ، وحملة في ساح العمل للاسلام ، الا ان الله تبارك وتعالى وهو العليم الحكيم ، لم يوجه رسوله صلى الله عليه وسلم هذا التوجيه ،انما وجهه الى أن يصدع بلا اله الا الله ، وان يحتمل هو والقلة التي تستجيب له كل ذلك العناء .

العرب كانوا يفهمون أن(العقيدة) الجديدة تغيير للحياة :-

ذلك ان العرب اذ ذاك كانوا يعرفون من لغتهم معنى (اله) ويعرفون كذلك معنى (لا اله الا الله) .

كانوا يعرفون ان الالوهية تعني الحاكمية العليا ، وكانوا يعرفون ان توحيد الالوهية وافراد الله -سبحانه -بها معناه نزع السلطان الذى يزاوله الكهان ومشيخة القبائل والأمراء والحكام / ورد كل ذلك الى الله . . . وهذا يعني بالتفصيل نزع كل أنواع ذلك السلطان . . . السلطان على الضمائر ، السلطان على الشعائر ، والسلطان على واقعيات الحياة ، والسلطان في المال ، والسلطان في القضاء والسلطان في الأرواح والأبدان .

كانوا يعلمون ان (لا اله الا الله) ثورة على السلطان الأرضي الـــذى يغتصب اولى خصائص الالوهية ، وثورة على الأوضاع التي تقوم على قاعدة هذا الاغتصاب ، وخروج على السلطات التي تحكم بشريعة من عندها لم يأذن بها الله .)(١)

ولا ريب ان العلماء يقولون بأن (لا اله الا الله) فيها نفي واثبات فالقسم الأول (لا اله) نفي ما سوى الله ، وبالتالي نفي كل منهـــج سوى منهج الله وكل واقع لا يقوم على منهج الله . فلا معبود بحق الا الله.

والقسم الثاني فيها (الا الله) اثبات الالوهية لله رب العالمين ، ولمنهج رب العالمين فالاولى هدمت ، والثانية بنت وأشادت .

وهذا هو المعنى الذى استقر في تصور الرعيل الأول من سلف هـــذه الأمة حيث انه كان الواحد فيهم اذا دخل في الاسلام فانه يخلع علـــى عتبته كل ماضيه في الجاهلية .

كان يشعر في اللحظة التي يجيء فيها الى الاسلام انه يبدأ عهـــدا جديدا منفصلا كل الانفصال عن حياته التي عاشها في الجاهلية .

اذا فقد كان هناك انخلاع من البيئة الجاهلية ، وعرفها وتصورهـــا ، وعاداتـــها وروابطها ، كل ذلك انما ينشأ عن الانخلاع من عقيدة الشرك الى عقيدة التوحيد ، ومن تصور الجاهلية الى تصور الاسلام عن الحياة والوجود .

---

(١) راجع بتوسع معالم في الطريق لسيد قطب . فصل طبيعة المنهج القرآنـــي .

وهنا فان قوة الأساس أو ضعفه هي التى تحدد متانة البيت الجديد أو ضعفه .

اذا فلا بد من مواجهة هذه الجاهلية لماذا ؟ لأننا نريد ازاحتها من الوجود ، واستأصال جذورها من الواقع ، لانها لابد وأن تدافع عن امتيازاتها ومكاسبها ، وسلطانها المزيف ، وهنا يكون المحك في الولاء لله والبراء من الباطل ، وان الله تبارك وتعالى جعل صحة الايمان في الكفر بالباطل وما يتصل به من مظاهر ، بل وقدم ذلك على الايمان بالله في الترتيب - اذ يقول :-

(فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى . .) (١)

ويذهب القرآن الكريم الى أكثر من هذا صراحة في الدعوة الى التغيير ، تغيير النفس والمجتمع كشرط لكي يغير الله ما بالمسلمين :-

(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (٢)

ويقول في موضع آخر : -

(ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (٣)

فالمطلوب اذا : - تغيير الباطل الى الحق . احقاق الحق وابطال الباطل .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦
(٢) سورة الرعد -١٣-
(٣) الأنفال - ٥٣ -

وذلك يكون بنقض أسس المجتمع الجاهلي التشريعية والفكرية ، واحلال أفكار الاسلام ومبادئه وتشريعاته مكانها .

ويكون كذلك بتحقيق عبودية الناس لرب العالمين في كل شوئونهم الخاصة والعامة ، ويكون بجعل ولاء المجتمع شعبا وحاكما لله وحده .

يكون اذا بتغيير جذرى لكل الكيانات الجاهلية ، وليس اصلاحا أو ترقيعا لجانب واحد من جوانبها فقط .

خصائص التغيير الاسلامي :-

يتميز التغيير الاسلامي ، بخصائص متفرده تجعله مستقلا متميزا عن مناهج التغيير في العالم ، لأنه كما اسلفنا فأن هذه العقيدة من عند الله ، والله عز وجل رسم منهج تطبيقها ، وتغيير وجه المجتمع أمامها ، ونفذها رسوله المبلغ عنه صلى الله عليه وسلم ، فخطة التغيير في عقيدة الاسلام لا اجتهاد فيها انما نحن مقتدون على آثار قائدنا وهادينا صلى الله عليه وسلم .

فالاسلام نسيج وحده في تصوره الفكرى ، وفي منهجه الحركي واسلوبه التغييرى .

ومن هذه الخصائص :-

(١) عقدية التغيير :-

ذلك ان عقيدة الاسلام هي التي تحكم طبيعته ومنهجه التغييرى ، فالاطار الذى يحدد به الاسلام سياسة التغيير يرتكز على دعامتين أساسيتين :-

---

(١) الأنفال - ٥٣ -

اولاهما :- سلامة الغاية : التي يستهدفها منهج التغيير الاسلامي والتي تغاير كل مقاييس التغيير الحزبية والسياسية والعسكرية .

ثانيهما : - سلامة الوسيلة ، وضمان مشروعيتها ، وموافقتها لروح الاسلام كيما يتحقق صيانة التغيير الاسلامي من كل انتكاس أو ارتكاس .

وذلك بعكس كل مذاهب الباطل ، واتجاهات الكفر التي تسعى الى التغيير والتي أبسط قواعدها في العمل « الغاية تبرر الوسيلة » .

فهي تستسيغ في مفهومها التغييري كافة الطرق والوسائل المنحرفة ، فاسمع ماذا يقول لينين (يجب على المناضل الشيوعي أن يتمرس بشتى ضروب الخداع والغش والتضليل ، من أجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية ... يجب أن يكون مفهوما ان الشيوعية غاية نبيلة ، وان تحقق الغاية النبيلة يتطلب في كثير من الأحيان استخدام وسائل غير نبيلة ، ولهذا فان الشيوعية تبارك شتى الوسائل المناهضة للأخلاق مادامت هذه الوسائل تساعد على تحقيق اهدافنا الشيوعية) (١) .

٢- كلية التغيير :-

بمعنى ان التغيير المقدى ليس مجرد تغيير جانب من جوانب الحياة الانسانية ، أو الاجتماعية أو السياسية أو العقدية .

وانما هو بحكم طبيعته الربانية الشاملة ، هو منهج كلي وشامل ، وهذا ما يجعل التغيير العقدى المنشود متفردا في المنهج والاسلوب .

---

(١) راجع كتاب - الشباب والتغيير - فتحي يكن - ص ٢٣ -

فهذا التغيير اذا لا يمكن تحقيقه بخطط مصطنعة مرتجلة ، ولا بمغامرات عسكرية خاطفة . . . بل لا بد لذلك من عوامل ومقومات يتحقق بها تغيير الأسس الفكرية ، والتنظيمية التي يقوم عليها بناء المجتمع .

وكذلك فان مسؤولية التغيير كلية ، فالكل مسؤول عن المكان الذى هو فيه ليغيره وكلكم راع وكل مسؤول .

٣- انسانية التغيير :-

ومفهومنا في التغيير - كذلك - مفهوم انساني ، لا يسلك الى الخير سبيل الشر ، ولا يستسيغ الرذيلة لبلوغ الفضيلة ، ولا يشيد البناء بالجماجم والدماء .

فبينما يهدد (تكاتشف) الزعيم الشيوعي بابادة وافناء جميع الروس الذين تجاوزوا الخامسة والعشرين لانهم غير جديرين بتمثيل الأفكار الماركسية ، يطالعنا الاسلام بمواقف الرحمة والانسانية في كثير من الحوادث والأحداث ،

فيوم فتح المسلمون مكة ، أتى أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، بأبيه ، وكان لا يزال مشركا - يقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر : (هلا تركت هذا الشيخ في بيته حتى أكون انا الذى آتيه فيه) فقال أبو بكر : (يارسول الله هو أحق أن يمشي اليك من أن تمشي أنت اليه) فأجلسه الرسول بين يديه ، ثم مسح على صدره وقال له اسلم فأسلم .

بهذا يكون التغيير الاسلامي ، عقديا في وسائله وغاياته ، انسانيا في خصائصه اخلاقيا في طبيعته .(١) وكل ذلك حتى نبرأ الى الله من الباطل الموجود ونسلم من العقاب المترتب على من يرى المنكر ولا يغيره فقد صح في الأحاديث ما يهول من عقاب من يرى المنكر ولا يتمعر وجهه غضبا لله ومحارمه فضلا عن أن يباشر تغييره بنفسه .

والحديث الصحيح :

(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان).(٢)

ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ترك المنكرات تستشرى في المجتمع دون تغييرها فان هذا من أسباب عموم عقاب الله لجميع المسلمين ، وذلك ما رواه العرس بن عميره رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى تعمل الخاصة بعمل تقدر العامة ان تغيره ولا تغيره ، فذاك حين يأذن الله في هلاك العامة والخاصة).(٣)

فالتغيير اذا فريضة شرعية ، فبدونه لا يتم تحكيم الاسلام ، وكما يعلم أصغر مسلم ان هذا حكمه فرض واذا فثبت هذا واسمع لقوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما).(٤)

---

(١) راجع المرجع السابق ص (٢ - ٢٢)

(٢) رواه مسلم / في كتاب الايمان ، واصحاب السنن في كتاب الايمان أو الفتن .

(٣) رواه الطبراني ورجاله ثقات انظر مجمع الزوائد ٧ / ٢٦٨

(٤) سورة النساء / ٦٥

فاذا قامت فئة مؤمنة واعلنت ولاءها لله ، وباعت نفسها لله ، وبدأت تبث الوعي والفكر لاستئناف الحياة الاسلامية ، وبدأت بتربية أجيال المسلمين على القرآن ، حتى اذا تكون لدينا جيل قرآني صلب مبصر قوى الايمان ، أمكنه تطبيق هذا الدين في نفسه وواقعه ، ومن ثم حمله الى العالم .

ان هذا العمل شاق وطريقه وعر وطويل محفوف بالمخاطر والدماء والمحن والعقبات ، ولكنه هو الطريق الوحيد الذى سلكه قائدنا وامامنا صلى الله عليه وسلم في تغييره للجاهلية الأولى ، فثبت ان هذا الاسلوب والمنهج هو طريق التغيير المطلوب الآن .

الفَصْل السَّادس

خاصّيَة الواقعية

عقيدة واقعية ومنهج للبشر

عرفنا سابقا ان أهم خصائص هذه العقيدة انها ربانية والهية من عند الله الحكيم العليم البر الرحيم .

وهنا نقول انها واقعية ، وليس هذا مخالفة لما قررناه سابقا ، فـان العقيدة ربانية في المصدر والهدف . وهي كذلك واقعية تتعامل مع واقع موجود فعلا تعترف بالواقع من حيث هو ، وتبدأ بالعلاج عليـا وعلى أرض الواقع .

فهي اذا منهج عملي يتصف بالحركة والجدية جاء ليحكم الحياة فـي واقعها ، وليقضي من ثم بأمره في الواقع الذى حل فيه ،فأما ان يقره ، أو يعدله أو أن يغيره من أساسه .

وحتى تتضح هذه الصورة نفصل بعض الشيء في بعض مظاهر هذه الواقعية للعقيدة ونطلب من الله العون والسداد :-

أولا :- العقيدة بين النظرية والتطبيق :-

ان هذه العقيدة ليست (نظريه) تتعامل مع الفروض ،وتحلق فـي الأفق تاركة واقع الناس واحداث الحياة ،شأن النظريات الفلسفيـة والـتراث العقلي الذى يسبح في الخيال ، ويطل على الناس من عل ، فكان له أثر فردى على عقول ، أو على آحاد من الأشخاص مع بقـاء الكثرة الكاثرة فـي الناس في مشاكلها ، وتخبطها .

لكن هذه العقيدة كما أسلفنا جاءت للتعامل مع واقع ،تصبغـه بصبغتها الخاصة ،وتوجه الناس في الحركة في مساراتها واتجاهاتها .

فالمسلمون في الفترة المكية ، كانوا مستضعفين ، والسلطان كان لغيرهم ، ولم يكن لهم مجتمع ، ولا حياة واقعية يستقلون بتنظيمها وفق دين الله ، وبالتالي فان منهج الدعوة الى الاسلام ، ومنهج القرآن كان بالبدء بالعقيدة وقضاياها ، وربطهم بالوجود من حولهم والكائنات والمخلوقات في الأرض والسماء لتكون آيات ناطقة على فاطر السماء والأرض وما فيهما على الخلاق العليم فتألهه القلوب خشية وخوفا ، ومحبة ، وتضرع اليه وتعنوا الأفئدة والاعنان لجبروته ، مستسلمة لأمره ، مطمئنة بجواره وأنسه ، معتصمة بقوته لا شذة بحماه ، فيثبت ذلك اقدامهم على طريق الاسلام الجديد ، ويلوح لهم ببارق الأمل في نصرة دين الله واندحار الباطل ومن والاه .

واستمر الرسول صلى الله عليه وسلم يواجه الجاهلية بهذا المنهج الالهي ، ويغرس العقيدة حية في قلوب الرعيل الأول رضي الله عنهم ، وكانت تربية ميدانية واقعية ، يتلقون أمر الله على لسان رسوله فيلتزمونه ، ويصطدمون بالجاهلية بكل أشكالها لتحرفهم عن الحق ، فكانت الشدائد والمحن والعذابات محكا ومختبرا ، اظهر معادنهم على حقيقتها ، بعد صهرهم في اتون المحنة ، فصلب عنصرهم وعجن بالعقيدة عجنا ، فكانوا أسس المجتمع الاسلامي ، وعلى أكتافهم قام بعد أن رسخت دعائمه في القلوب الموءمنة .

وبعد كل هذا الاستطراد نخلص الى القول الى أن الله عز وجل لم ينزل للمسلمين في بداية الدعوة أحكاما ولا تشريعات ، ولم يشأ الله تبارك وتعالى أن ينزلها عليهم دفعة واحدة فيختزنها المسلمون في مكة أو يعكفوا عليها درسا وحفظا ، حتى اذا قامت للاسلام دولة فيما بعد كانت جاهزة للتطبيق .

أقول ان هذه الطريقة لم يردها الله لانها ليست من طبيعة هذه العقيدة ولا من منهجها في العمل .

والذين يريدون من الاسلام اليوم أن يصوغ نظريات ،أو قوالب نظام ، أو أن يجهز بحوثا ،وكتبا وتشريعات للحياة .

أولئك يوافقون من يعكفون على اقامة المؤتمرات المتنوعة ،لدراسة قضايا فرعية ،أو لتجميع بحوث أو موضوعات ، ومن ثم تتمخض تلك المؤتمرات عن توصيات وقرارات .

أقول كل ذلك حسن فهو من باب الاهتمام بأمر المسلمين ، لكن الاسلام علمنا فقها آخر هو فقه العمل أو فقه الحركة ،جعل هناك في منهج الدعوة للاسلام قضايا هامة ،وأخرى أهم منها فمن الحكمة الدعوية ،ومن فقه الدعوة والحركة أن نبادر بالاهم ونقدمه على المهم ، وكان الأحرى بهؤلاء الذين يضيعون الجهد والمال ثم لا تجد من ينفذ أو يطبق ،لانه لا يوجد هناك مجتمع اسلامي متكامل الصورة والأجزاء بحيث يكون خلافة راشدة على منهاج النبوة .

فالاولى اذا والأنفع والأهم من كل ذلك ،التركيز على تربية أبناء الاسلام تربية سليمة وأن يغرسوا العقيدة الصحيحة في قلوبهم لانشاء جيل مؤمن قرآني قوى،هو الذى يقيم الاسلام بحول اللهوقوته .

واراني استطرد القول في هذه النقطة مضطرا ، وأختمها بظاهرة أخرى تخالف واقعية هذه العقيدة .

ذلك ان هناك طائفة من المسلمين نهجت اسلوب التبشير الفكرى والنظرى ،بالاسلام ،فتراهم يعرضون التشريعات الاسلامية ، وأسس النظام الاسلامي ، ويمضون الـ عات الطويلة باقناع الناس بأفضلية انظمة الاسلام وأحكامه ،ويظنون ان اقناع الناس بذلك نظريا أو فكريا دون تربية ، أو دون اتخاذ خطوات مرحلية عملية في البناء ،

أقول ان هذا الجهد الذى يبذل جهد خاطئ ضائع ، وهذا الطريق طريق مقلوب ، حيث بدأ من فوق والأصل ان يبدأ من الأساس ومن القاعدة .

وقاعدة العمل وأساس الحركة ، ومحور الدعوة ، يجب أن يتركز على القلوب ، القلوب هي غرف قيادة البشر ، ومنها يبدأ الدخول الى النفوس ، فيجب أن تخلص أولا لله ، وتعلن عبوديتها الحقة ، وولاءها الخالص لرب الكون ، وتثبت استعدادها لقبول دين الله ورفض كل ما سواه ، كل ذلك بخطة عمل ، ضمن خطوات مرحلية حتى يتم البناء .

وكل ذلك علمناه امامنا وقائدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما علمه ربه ، وكما فعل بأصحابه (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)(١) .

علم الكلام وعلم التوحيد النظرى بعيد عن الواقعية :-

والمتدبر لمنهج القرآن الكريم في الفترة المكية ، وكيف كان يعرض قضايا العقيدة .

يجد انه طيلة الثلاثة عشر عاما لم يعرضها في صورة (نظريه) كما أسلفنا ولا في صورة علم كلامي جدلي أو منطقي يشغل الانسان في قشور التوحيد والعقيدة ، ويصرفه عن اللباب والجوهر ، كشأن منهج علم الكلام المتأخر وما اصطبغ به من صبغة فلسفية (اجنبية) غريبة عن روحه ومنهجه ، فعقدت العقيدة ، بل يجب عرضها باسلوب مبسط واضح كعرض القرآن المكي لها ، دون تكلف ، بل هي زرع لليقين في القلوب ،

---

(١) سورة الأحزاب - ٢١ -

لا تلقينها بالنظريات عن تاريخ العقيدة والفرق البائدة الذى لا نحس بها من أحد .

فالمطلوب هو تناول قضايا العقيدة والتوحيد على منهج القرآن الذى يخاطب بها فطرة الانسان ، ويوجهه ويلفت نظره وفكره الى الوجود البديع حوله ، مركزا على دلائل الخلق ، وآيات الرزق ، ليزيح عن الفطرة الركام ، ويخلص اجهزة استقبالها من دين الجاهلية ، ثم يقودها في الطريق الى الله .

نريد من الذين يتصدون لتدريس العقيدة أن يجعلوها ترجمة حية لكل أركان العقيدة بأن يستخلصوها مباشرة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بعيدا عن التعقيد والتنفير وأن يحاولوا ربط كل أحداث الواقع بهذه العقيدة لنجعلها الميزان والحاكم على جزئيات الحياة ، ويبنوا كل ذلك في نفوس الجيل المسلم بناء محكما بكل متطلبات البناء ، لتكون بحق واقعية في حقيقتها ، وواقعية في منهجها عند التطبيق .

ولنكون واقعيين نحن في تصورنا لعقيدتنا الواقعية ومنهجها الواقعي . (١) عندها نتوقع أن نرى عقيدتنا متجسدة على أرض الواقع ان شاء الله .

امكانية تطبيق العقيدة :-

لا يجادل أحد أن عقيدة الاسلام وما انبثق عنها من نظام للحياة ، قد طبقت في المرة الأولى في صدر الاسلام .

ولقد نجحت التجربة ايما نجاح يشهد به العدو قبل الصديق .

---

(١) راجع بتوسع فصل (طبيعة المنهج القرآني) في كتاب (معالم في الطريق) لسيد قطب.

ونقول هذا لم يتشدقون بالقول : بأن هذا الدين هو نظام مثالي لاعتماده على عناصر خيالية أو مثالية لا تتفق مع ظروفنا الآن فلا يمكن اذا تطبيقه .

ويجيب هؤلاء صاحب كتاب شبهات حول الاسلام :

بقوله (نحسب أن الأمر من الوضوح بحيث لا يختلف في امره أحد ، فمجرد تطبيقه مرة واحدة في تاريخ البشرية ، يثبت بدليل واضح قاطع انه نظام قابل للتطبيق ، وانه لا يعتمد على عناصر خيالية ولا مستحيلة . فالناس هم الناس ، وما حدث مرة يمكن أن يحدث ويتكرر مرة ومرات) . (١)

فبطل اذا قول أولئك وانقطع عذر من يعتذر عن تطبيقه لدين الله فيجعلها علمانية مشوهة ، أو يطبق الاسلام تطبيقا ناقصا ، أو يجعله اسلاما امريكيا أو اوروبيا ولا حول ولا قوة الا بالله .

تطبيق العقيدة غير مرتبط بشخص الرسول :-

وهذه الحقيقة يجب ان تفهم تماما ، لئلا يدعي المنهزمون بأننا اذا أردنا اقامة هذه العقيدة وتحكيمها في الحياة ، كما قامت أول مرة ، فلا بد لنا من شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل وأشخاص الصحابة حتى يتم لنا ذلك .

ولقد بينها رب العزة صريحة واضحة ، توقظ الغافلين ، كما أيقظت من قبل عمر رضي الله عنه حين ذهل عنها بموت الرسول صلى الله عليه وسلم :

---

(١) انظر كتاب (شبهات حول الاسلام) - محمد قطب - فصل الاسلام والمثالية . ص ٢٠٩ .

من الشوق والقابلية ، ولا يقال عنها انها من خلقة الله ، الا أن تكون الخلقة على هذا الاختيار) .[1]

اعتقاد الفرس :-

وكان الفرس يعتقدون (بالثنويه) أى يعتقدون في الهين، واحد للخير والنور ، والآخر للشر والظلام .

ولهذا التقسيم في الاعتقاد اصل في زعمهم : وذلك :

(انهم زعموا ان مملكة النور ، ومملكة الظلام كانتا قبل الخليقة منفصلتين ، وان هرمز طفق في مملكته يخلق عناصر الخير والرحمة ، واهرمان غافل في قراره السحيق ، فلما نظر ذات يوم ليستطلع خبر أخيه ، راعه اللمعان من جانب مملكة أخيه فأشفق على نفسه من العاقبة ، وعلم ان النور وشيك أن ينتشر ويستفيض ، فلا يترك له ملاذا يعتصم به ، ويضمن فيه البقاء ، فثار وثارت معه خلائق الظلام ، وهي شياطين الشر والفساد فاحبطت سعي (هرمز) وملأت الكون بالخبائث والارزاء) .[2]

اعتقاد افلوطين :-

أما افلوطين الذى عاش في السنوات الأولى من القرن الثالث للميلاد . . فانه يغلو فيما يراه تنزيها لالهه الأحد ، حتى يتجاوز بذلك كل معقول .

---

(١) انظر كتاب (حقائق الاسلام وأباطيل خصومه) للعقاد ص٣٣ - ٣٤ .

(٢) " كتاب (الله) للأستاذ العقاد ص١٨٨

ولهذا نرى ان القرآن الكريم حيثما ذكر الايمان أو ذكر المؤمنين ذكر العمل الذى هو الترجمة العملية للايمان .

فالأمر كما قلنا ليس مجرد مشاعر واحاسيس ، ولكنها أحاسيس ومشاعر تنتظمها دعوة وحركة لانشاء واقع وفق تصميم اسلامي صحيح :

وسنحاول هنا أن نأتي بصور عن سلبية الأديان المحرفة في تصوراتها العقدية ، حتى تتجلى لنا في النهاية صورة الايجابية في عقيدتنا على أساس (وبضدها تتميز الأشياء) .

اعتقاد ارسطو :-

مذهب ارسطو في الاله انه كائن أزلي ابدى ، مطلق الكمال لا أول له ولا آخر ، ولا عمل له ولا ارادة ، منذ كان العمل طلبا لشيء والله غني عن كل طلب .

وقد كانت الارادة اختيارا بين أمرين ، والله قد اجتمع عند الاصلح الأفضل من كل كمال ، فلا حاجة للاختيار بين صالح وغير صالح .

ويقول كذلك (بان الاله الكامل المطلق لا يعنيه أن يخلق العالم أو يخلق مادته الأولى : وهي (الهيولى) ولكن هذه الهيولى قابلة للوجود ، يخرجها من القوة الى الفعل شوقها الى الوجود ، الذى يفيض عليها من قبل الاله ، فيدفعها هذا الشوق الى الوجود ، ثم يدفعها من النقص الى الكمال المستطاع في حدودها ، فتتحرك وتعمل بما فيها

= وقال الامام أحمد بن حنـ . (ولهذا كان القول ان الايمان قول وعمل عند أهل السنة من شعائر السنة) .

راجع شرح قصيدة ابن القيم جـ ٢ ص ١٣١ - ١٤١ ، وانظر الباب الأول والفصل الأول من هذه الرسالة .

الفصل السابع

الأيجابية أو التأثير

عقيدة ايجابية موثـــرة

========

ونقصد بالايجابية والتأثير ان هذه العقيدة لا تكاد تستقر في الضمير، وما ان تخالط بشاشة الايمان القلوب ، حتى تتحرك لتحقيق مدلولهـــا وذاتها عمليا في السلوك ، ولتترجم الايمان الى واقع يدب على الأرض.

وذلك كله بسبب ما يحدثه الايمان من قوة فاعلة موثرة في النفـــس والكون حولهـــا .

ولا تعني قوة الايمان ان يقبع العابد في صومعته ، أو مسجده فـــي صورة تصوف منحرف ، أو روحانية كاذبة مخالفة لهدى المصطفى صلى الله عليه وسلم في عبادته .

بل هو أمر الهي باستعمار الأرض(هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيهـا) . (١)

ولتحقيق عبودية الله في الكون كله .

فهو ايمان في القلب والتزام به عملا في الحياة .

وكما ندين الله به ان الايمان قول وعمل واعتقاد .

أو تصديق بالجنان ،وقول باللسان ، وعمل بالأركان .

---

(١) سورة هود - ٦١ -

(٢) قال ابن قيم الجوزية : - واشهد عليهم ان ايمان الورى قول وفعل ثم عقد جنان قال الشارح رحمه الله : مذهب أهل السنة : ان الايمان تصديق بالجنان ، وعمل بالأركان وقول باللسان -

وقال الامام الشافعي : (وكان الاجماع من الصحابة والتابعين مـــن بعدهم ومن أدركناهم يقولون (ان الايمان قول وعمل ونيه ،لا تجزى واحد من الثلاثة الا بالأخرى ===

ولما كانت من عند الله الحكيم العليم الخبير، فقد جعلها الله تبارك وتعالى مراعية لظروفهم ،وأحوالهم ، ومقدرة لفطرهم واستعداداتهم وقدراتهم لا تغفل شيئا من ذلك وذلك من مؤهلات صلاحيتها لكل زمان ومكان.

لقد راعى الله في أمر هذه العقيدة وقضاياها النفوس البشرية وما فيها من ضعف ومن قوة . ولم يرد الله تبارك وتعالى أن يكلفهم مالا يطيقون ، أو يعنتهم ويرهقهم في التكاليف فاسمع الى القرآن :-

(وما جعل عليكم في الدين من حرج) (١)

(لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) (٢).

وتطبيق هذه العقيدة انما يكون في حدود الطاقة البشرية .

وكذلك فان هذا الدين لا ينتصر بقوى سحرية ،أوخوارق للعادات ، اذا فهو منهج الهي للحياة البشرية ، لا يتحقق في الأرض وفي دنيا الناس بمجرد تنزله وتبليغه عن الله ، ولا بالقوى السحرية أو المعجزات ، ولا يتوقف تطبيقه على شخص معين حتى ولو كان شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه يتحقق (بان تحمله جماعة من البشر ، تؤمن به ايمانا كاملا ، وتستقيم عليه بقدر طاقتها ، وتجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك ، وتجاهد لهذا الهدف ولتحقيق هذه الغاية بكل ما تملك ، تجاهد الضعف البشري ، والهوى البشري في داخل النفوس، كل ذلك بجهاد لا هوادة فيه لتخطي كل العقبات من الداخل والخارج حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل . (٣)

---

(١) سورة الحج -٧٨ -

(٢) سورة البقرة -٢٨٦ -

(٣) راجع بتوسع فصل - منهج للبشر - من كتاب هذا الدين - لسيد قطب.

واذا كان ارسطو يرى ان من كمال الهه الا يشعر ولا يفكر ولا يفعل لغير ذاته ،ولا يعلم الموجودات لأنها أقل من أن يعلمها .

فاذا كان تنزيه ارسطو وقف عند هذا الحد ،فان افلوطين راح يزعم ان من كمال الـهه الأحد انه لا يشعر بذاته كذلك ، لانه ينزه عن ذلك الشعور.

وبالتالي كان هذا المذهب يقتضي وسائل ووسائط متعددة لربط الصلة بين (الواحد) المطلق وبين المخلوقات العلويه والسفلية .

(وهكذا لزم افلوطين أن يقول :(ان الواحد خلق العقل ،وان العقل خلق الروح ، وان الروح خلقت ما دونها من الموجودات على الترتيب لينحدر طورا دون طور الى عالم الهيولى -أو عالم المادة والفساد .[1]

اعتقاد بني اسرائيل :-

(اما الـه بني اسرائيل (يهوا) كما ترسمه تصوراتهم المنحرفة فهو الـه بنى اسرائيل الخاص !

الذى يغار من عبادة شعب اسرائيل للآلهة الغريبة ، فيثور ويغضب ويحطم وينتقم ، حتى اذا عاد الشعب اليه رضي واستراح ، وكف عن النقمة والتدمير . وندم على ما فعل بشعبه المختار.

اعتقاد النصارى :-

ولقد تخبطت التصورات الكنسية عن طبيعة المسيح اوامه ، وتلبسهما باللاهوت .

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٨

وهي تجعل ارادة الله متلبسة أو متجسمة في ارادة المسيح الى آخر هذا الركام ، من اعتقادهم بالثالوث المقدس الآب والابن والروح القدس وكل ذلك تعدد شركي شوه النصرانية ونقلها الى الوثنية .(١)

اعتقاد المسلمين في (الله) :-

وبعد ان رأينا تلك الصورة السلبية من الاعتقادات الزائفة والمنحرفة ، نعرض الى الصورة المقابلة المضيئة في الاعتقاد الصحيح والتصور الحق في عقيدة الاسلام .

فالانسان في عقيدتنا يتعامل مع اله موجود خالق مريد مدبر مهيمن قادر فعال لما يريد . . . كامل الايجابية والفاعلية ، اليه يرجع الأمر كله ، والى ارادته يرجع خلق هذا الكون ابتداءا ، ولا يتم في الكون من حركة من الذرة الى المجره ، الا وفق مشيئته وارادته وعلمه وتدبيره .

ولقد ركز القرآن على هذه الحقيقة كثيرا ، وعرضها بصور مختلفة ، كلها تبين تأثير وايجابية وعمل وتصريف رب الكون في الكون ومظاهره .

فاستمع الى قوله تعالى :

(ان ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)(٢)

ولقوله تعالى :-

(وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)(٣)

---

(١) راجع بتوسع كتاب ـ هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى : لابن قيم الجوزية ـ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : لابن تيمية .

(٢) سورة الأعراف ـ ٥٤ ـ

(٣) سورة الأنعام ـ ١٨ ـ

ولقوله عز وجل :

(الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ، وكل شيء عنده بمقدار ،عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ،سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ...) (١)

ولقوله تباركت اسماؤه :-

(ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ،ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدني من ذلك ولا أكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ،ان الله بكل شيء عليم) (٢) .

هذا الفيض القرآني الواضح الدلالة على ايجابية الخالق تبارك وتعالى في ذاته وأفعاله واسمائه وصفاته .

وهذا رد على الفلاسفة الذين راينا مذهبهم آنفا ممثلا بآراء كبرائهم ارسطو وافلوطين . وجماع قولهم كما أسلفنا كان تجريد ذات الخالق وسلبه من صفاته الفاعلة والموثرة في الوجود .

وينضم الى هذه الفرقة كذلك كل من عطل صفات الله وأسمائه من المعتزلة والجهمية وغيرهم ممن سلبوا رب العالمين عن صفاته العلى ، أو اثبتوا له بعضها ونفوا البعض الآخر.

وهؤلاء يبالغون في السلب والتجريد ،فيقولون مثلا ليس هو خارجا عن العالم ولا داخله ،ولا حجم ولا عرض ،ولا جوهر ولا ولا .

---

(١) سورة الرعد - ٨ - ١١ -

(٢) سورة المجادلة - ٧ -

حتى تبقى في النهاية ذات بلا صفات ،والصحيح انها عدم ، فانه لا يعرف عقلا ذات بلا صفات ، فان من عطل صفات الخالق فكأنما عبد عدما لا الها .

وكل ذلك له انعكاس على اتباع هذه المذاهب الاعتقادية — وتوضيح ذلك : ان هناك فرقا كبيرا بين الانسان الذى يتصور ان الهه لا يحفل به ،ولا يحس به ، ولا يعلم بوجوده ممن عطل وجحد صفات الصانع ، فانه لا يخافه ولا يخشاه ،ولا يحبه أو يتقرب اليه بطاعة .

فرق بين هذا وبين الذى يحس ويعلم ويعتقد ان الله هو خالقه ورازقه ،ومالك أمره كله دنيا واخرى ، ولا يتصرف الا بمشيئته وتحت سمعه وبصره ، فيخاف ربه ويخشاه ويتحرى رضاه ويستقيم في دنياه .

(افمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر أولوا الألباب) (١) .

وكذلك فان هناك فرقا بين الذى يتعامل مع الهين متنازعين كما يقول الفرس ،أو مع آلهة متفرقة كما تقول الوثنيات الأخرى .

وبين الذى يتعامل مع اله واحد ،له ارادة واحدة ،ومنهج واحد ، يعلم عباده تماما ماذا يريد منهم فينفذونه بكل دقة .

ويعلمون كذلك ما لا يريده منهم فيجتنبوه بكل وضوح .

وهذا الأمر ذو أهمية كبرى في تجميع الطاقات المشتتة ، والأوامر المتضاربة واختلاف الارادات ليوفر كل ذلك ويدخره قوة معطاءة بناءه .

كل ذلك فضلا عن الفساد والدمار المؤكدين الذين سيحيقان بالوجود فيما لو افترض وجود أكثر من اله واسمع الى قول البارى سبحانه :

---

(١) سورة الرعد -١٩-

(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) (١) .

وقوله تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) (١)

ويفرق كذلك بين الذى يتعامل مع اله شهواني متعجرف ظالم متهور متقلب الاهواء ، كاله الاغريق كما يزعمون ، وكان الآلهة عندهم مخادعين غارقين في شهواتهم وبطشهم ، وكان الصراع على أشده بين هذه الآلهة جميعا ، كل يريد تحقيق الفوز لنفسه دون الآخرين ، وكانوا يروون عن آلهتهم قصصا في العشق والهوى مالا يليق بأخس الناس فضلا عن الآلهة (٣) .

نقول أن هناك فرقا بين الذى يتعامل مع اله كهذا ويستمد منه اخلاقه وصفاته ، وبين الذى يعبد (الله) الأحد الصمد المتفرد بالجلال والكمال والمنزه عن كل النقائص ، العادل الكريم الرحيم الذى يكره الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وينهى عن السوء ، ويحب التوابين ويحب المتطهرين ، فان عبد هذا الآله لابد وان يتصف بهذه الصفات ، ويتخلق بهذه الأخلاق ، فأى بون شاسع بين الاعتقادين .

---

(١) سورة الأنبياء -٢٢-

(٢) سورة المؤمنون - ٩١ -

(٣) انظر (حقائق الاسلام وأباطيل خصومه) للعقاد ص ٤٠-٤١

أما الملحدون ، وعبدة (الطبيعة) الذين يعبدون المادة الصماء الخرساء ، التي لا تطالبهم بعقيدة ولا شعيرة ، ولا خلق ولا ضمير ولا سلوك ، ولا تلزمهم بمنهج للحياة ، ولا تحس بوجودهم أصلا .

ومن ثم هي لا تحس ولا تشعر ولا تسمع ولا تبصر ، ولا تحاسب على خير أو شر ، فأى فرق بين هؤلاء القوم ، وبين الذى يعبد الها ويعرف انه حي لا يموت وانه الصمد المقصود في الحاجات ، والرقيب الذى لا يغفل، العادل الرحيم الذى يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء الى آخر صفات الله سبحانه .

فالأول متحلل منحل من كل قيمة أو خلق أو ضابط، والثاني ملتزم متزن مستقيم ، الأول يعيش بلا مبدأ ، والآخر يعيش بمبدأ ولمبدأ .

ان كل ما مر من استعراض سلبيات العقائد الأخرى وآثارها على معتنقيها ومقارنتها بالصور المقابلة في عقيدة الاسلام وأثر كل ذلك على المعتقدين .

كل ذلك يؤكد ايجابية هذه العقيدة ، وتأثيرها في الاتباع والمؤمنين .[1]

ايجابية العقيدة عبر القرون :-

ان استعراض تاريخ هذه العقيدة ، منذ أن بزغت شمسها في جزيرة العرب الى وقتنا الحاضر ، يجد ان هذه العقيدة قد انتشرت في الأرض وطبقت في واقع الحياة ، واثرت في مظاهر الحياة وأسسها تأثيرا قويا ، فصبغت وجه الأرض بصبغة الله الجديدة ، وقلبت العادات ، وبدلت

---

(١) راجع فصل (الايجابية) من كتاب (خصائص التصور الاسلامي) لسيد قطب.

القيم والأعراف والتقاليد ، وغيرت موازين القوى في الأرض .

كل ذلك يلمسه بوضوح كل دارس لتاريخ الاسلام وحكمه المجيد في أحقاب التاريخ حتى سقوط خلافة الاسلام على يد أشقى الترك .

نقول ان هذه العقيدة استطاعت بحول الله ثم بقوة اتباعها أن تقرر في حياة البشر (تقاليد عملية ، وأوضاع واقعية ، تستند الى تلك المبادئ والتصورات والقيم والموازين - لم تمت بانقضاء تلك الفترة ، ولكنها امتدت في صورة تيار متحرك مندفع الى مسافات بعيدة في الأرض والى أحقاب متطاولة من الزمان ، وتأثرت بها الحياة البشرية كلها على صورة من الصور واصبحت رصيدا للبشرية كلها تنفق منه وتستمد أكثر من الف عام ، رصيدا يؤثر في تصوراتها ، ويؤثر في أوضاعها ، ويؤثر في تقاليدها ، ويؤثر في علومها ومعارفها ، ويؤثر في اقتصادها وعمرانها ، ويؤثر في حضارتها كلها تأثيرات قوية) [1] .

---

(١) راجع فصل - منهج مؤثر - من كتاب هذا الدين .

صفات الله وأسماؤه الحسنى ايجابيتها وآثارها :-

ان ما ندين الله به نحن معاشر أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات الالهيه : هو ان نثبت لله ما أثبته لنفسه في كتابه من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وما أثبته ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم كذلك من غير تأويل لها ولا تحريف ، وغير مكيفين ولا ممثلين ، بل نؤمن بها كما جاءت . (١)

كما أسلفنا بداية هذا البحث، هذا وان الايمان بصفات الله الكريمة يسكب في النفس البشرية من الآثار الواضحة ، والايجابية الحية ما هو جدير بالملاحظة .

فالله عز وجل (قادر) (وهو على كل شيء قدير) .

(ولملاحظة صفة القدرة وما يلحقها من الصفات مثل القوى ، المتين ، والقادر ، والمقتدر ، والواجد ، والعزيز والمقيت ومالك الملك ، والوارث ، ملاحظتها والتدبر فيها والتعبد لله بها ، فانه ولا شك يجعل العابد يرجع في كل شيء الى قدرة الملك الجبار ، متوكلا عليه ، فلا يعظم عليه مطلب ، بل يهون في نفسه كل أمر ، لأنه ينظر الى قدرة قادر عظيم يستمد منها العون والتوفيق ، ويعتمد عليها في تحقيق ما يرجو من خير) . (٢)

والله عز وجل (مريد)

ان ربك فعال لما يريد) (٣)

---

(١) راجع بتوسع : الرسالة التدمرية والرسالة الحموية ـ لابن تيمية . والعقيدة الطحاوية . ص ٩٩ ـ ط / المكتب الاسلامي .

(٢) من كتاب العقيدة الاسلامية ـ للميداني ـ ص ١٦٥

(٣) سورة هود ـ ١٠٧ ـ

ان من يعتقد أن الله يفعل ما يشاء ويختار ، ويراقب ذلك في نفسه باستمرار ، ويضع نصب عينيه وقلبه ، ان ارادته تعالى غلابة ، وان مشيئة كل ذى مشيئة ، تابعة لمشيئة تعالى ، ان من يلاحظ ذلك ويراقبه في حياته ،فانه يحمل دائما على أن يرضى ويحب ما أراده الله ورضيه من صحة أو مرض ، من غنى أو فقر ، من رفع أو خفض ، من لذة أو ألم .

ان كل ذلك ليسكب الرضى في نفسه والقناعة في عيشه وهو يسأل الله الخير حيث كان ، وان ذلك ولا شك بلوغ مقام سام من مقامات العبودية لله رب العالمين لا ينالها الا من أسعده الله) .(١)

وصفه (العلم)

فالله عز وجل عليم (ان ربك هو الخلاق العليم)(٢)

(ان من يلاحظ صفة العلم لله تعالى وأسماءه الحسنى التابعة لها ، من اللطيف ، الخبير ،الشهيد ، الحسيب ، المحصي ، الواجد ، السميع، البصير ، الرقيب ، المهيمن الواسع .

من يلاحظ ذلك ويتحقق لديه أن الله تعالى محيط بكل شيء علما ، وان علم الله تعالى لا يقتصر على الظواهر ، بل هو محيط بالبواطن والدقائق ، وهو يعلم السر واخفى ، فيعلم خلجات القلوب وخطرات النفوس ان من يلاحظ ذلك من صفات الله وأسمائه يستطيع أن يحدد لنفسه منهج سلوكه في حياته ، لأنه محاصر من خارجه وداخله بعلم عليم محيط بكل شيء .

---

(١) من كتاب ـ العقيدة الاسلامية ـ للميداني . ص ١٦٧

(٢) سورة الحجر -٨٦ -

فان من يلاحظ ذلك ويحسن مراقبته ،لا بد أن يتحقق بالأمور الآتيـة :

أولا :- لا يخشى أن يضيع عليه أى عمل من أعمال البر يأتيه مهما صغر،ولو أخفاه وبالغ في اخفائه ، ولو كان عاطفه طيبة في النفس كارادة الخير للآخرين أو نية صالحة في القلب ،ولو لم يفعل ذلك .

فلا يخشى ضياع ثواب أى عمل يعمله لأنه يعلم ان الله به عليم ، وان من يعمل مثقال ذرة من خير فلا بد أن يرى أجره وثوابه .

ثانيا :- لا يستهين بأى عمل من أعمال الشر مهما صغر ،ومهما حاول اخفاءه ، ولو كان عاطفة سيئة ـ كالبغض والحسد ، أو نيه فاسدة خبيثة ولو لم ينفذ ذلك .

فهو لا يستهين بذلك لعلمه ان الله به عليم ، وان من يعمل مثقال ذرة شرا يرجزاءه .

ثالثا :- يتضح لديه الفرق الكبير بين علم المخلوقات وبين علم الخالق عز وجل ،فيتصاغر في نفسه ، مهما بلغ علمه من سعة ونضج وتحقيق ، ويتجلى له قوله تعالى ،وفوق كل ذى علم عليم ، وقوله (وما أوتيتم من العلم الا قليلا). فيعلم ان علم المخلوقات محدود بالمحسوس والمشاهد والظاهر .

وعلم الله يشمل الظاهر والباطن والغيب والشهادة .

وعلم المخلوقات مستفاد من الأشياء بعد وجودها .

أما علم الله تعالى فليس مستفادا من الأشياء بل هو الأصل فيهما) (١)

يعلم كل ذلك فيزداد ايمانا ، ويستقيم في حياتـه .

---

(١) انظر المصدر السابق ص ١٧٤

صفه الحياة :-

والله عز وجل (حي) (الله لا اله الا هو الحي القيوم)[(١)]

ان من يلاحظ معنى ان الله حي وهو الممد للحياة ،ولا يتصرف أحد في الوجود أيا كان في حياته ،يقصرها أو يطيلها الا هو ،فانه يهزأ بكل مخاوف الأرض فيعيش شجاعا مقداما لا يهاب .

هذا شيء ،والشيء الآخر :-

(انه عند ملاحظة ان الحياة هي صفة كمال يسعى اليها العقلاء ، ويلاحظ الى جانب ذلك وعد الله بالحياة للشهداء الذين يفضلون الشهادة على الحياة الدنيا ،رغبة في اعلاء كلمة الله ، ان من يلاحظ ذلك فلا شك تهون عليه التضحية بنفسه لتحصيل الشهادة ، لان وراء الشهادة حياة سامية ،يرنو اليها الشهداء ومن هم في مراتبهم ، فيبيع نفسه لله لنصرة دينه ، ويفتديه بنفسه .

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)[(٢)]

---

(١) سورة البقرة - ٢٥٦ -

(٢) سورة آل عمران - ١٦٩ - انظر المرجع السابق ص ١٧٩

الفصل الثامن

خاصية

الثبات

خاصية الثبات :

ومن خصائص العقيدة الاسلامية انها ثابتة :

قال تعالى :-

(فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١)

وقال تعالى :

(فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا) (٢)

وقال تعالى :

(لا مبدل لكلماته) . (٣)

وثبات هذه العقيدة ناتج عن انها منزلة من عند الله ، وقد انقطع الوحي ، بالتحاق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى من الجنة ، وأكمل الله به الدين ، وثبت الملة .

وقد تعهد الله بحفظ هذا الدين على الدهر ، فقال تعالى :

(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (٤)

(وهي عقيدة ثابتة محددة ، لا تقبل الزيادة ولا النقصان ، أو التحريف والتبديل ، فليس لحاكم من الحكام ، أو مجمع من المجامع العلمية ، أو موءتمر من الموءتمرات الدينية ، أن يضيف اليها أو ان يحور فيها .

---

(١) سورة الروم -٣٠ -
(٢) سورة فاطر -٤٣ -
(٣) سورة الأنعام -١١٥ -
(٤) سورة الحجر -٩ -

فكل اضافة أو تحوير مردودة على صاحبها ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول :

(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (١) أي مردود عليه .

والقرآن يقول مستنكرا :-

(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (٢)

وعلى هذا فكل البدع والأساطير والخرافات التي دست في بعض الكتب أو أشيعت بين عامة المسلمين ، باطلة مردودة لا يقرها ولا تؤخذ حجة عليه) . (٣)

وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم :

(واياكم ومحدثات الأمور فانها ضلالة) (٤)

الثبات لا يعني الجمود :-

وثبات هذه العقيدة لا يقتضي ان تجمد حركة الفكر والحياة ، أو أن يتقوقع المسلمون في داخل نفوسهم ، ويحبسوا أنفسهم في صوامع العبادة وزوايا الذكر ، تاركين الحياة العملية ، ولا يقوموا باستعمار الأرض أو بمقتضى استخلافهم فيها .

ولا أن يتركوا الاهتمام بوسائل الانتاج والحرب والصناعات ولا يطوروها ، لا ، وانما نقصد أن يكون هناك حركة وتطور ونشاط دائب ، وعمل وشغل مستمر كخلية نحل عاملة ، وكل ذلك داخل اطار ثابت ، هو حدود هذا الدين ، وقيوده ، وأوامره ونواهيه .

---

(١) متفق عليه رواه البخاري في كتاب الصلح ، ومسلم في كتاب الاقضية .

(٢) الشورى -٢١-

(٣) من كتاب الايمان والحياة - ليوسف القرضاوي ص

(٤) رواه الترمذي في كتاب العلم ، وأبو داود في كتاب السنة ، وابن ماجه في المقدمة .

وتدور حول محور ثابت : هو القيم الثابتة والاصول الراسخة هو توحيد الله ، وقضايا العقيدة .

وهذا السمه - (الحركة داخل اطار ثابت وحول محور ثابت) هي طابع الصنعة الالهية في الكون كله .

الأمور الثابتة والقيم الثابتة لا تقبل التطور :-

أوضح الأستاذ الشهيد سيد قطب في كتابه القيم - خصائص التصور الاسلامي ومقوماته - أوضح أنواعا من القيم الثابتة ، وغير القابلة للتغيير أو التطوير ، نوجزها هنا لما لها من أهمية ، وما تتمتع به من دقة :

١- مادة هذا الكون - سواء كانت الذره أو الاشعاع البسيط المنطلق عند تحطيمها أو أية صورة أخرى - ثابتة الماهية ، ولكنها تتحرك فتتغير أشكالها وتتطور .

٢- الذرة - ذات النواه ثابتة تدور حولها الالكترونات في مدار ثابت .

٣- كل كوكب ، وكل نجم له مداره ، ويتحرك فيه حول محوره حركة منتظمة .

٤- انسانية هذا الانسان المستمدة من كونه مخلوقا فيه نفخة من روح الله ، اكتسب بها انسانيته التي تميزه عن باقي المخلوقات ، انسانية ثابتة ، ومع ان الانسان ، يمر بأطوار عضوية من النطفة الى الشيخوخة ، وأطوار اجتماعية لكن كل تلك الأطوار لا تخرجه عن حقيقة انسانيته الثابتة ، وما فيها من طاقات ونوازع واستعدادات .

٥ - نزوع الانسان الى الحركة ، لتغيير واقعة الأرضي وتطويره ، حقيقة ثابتة .

هذه الحركة - يستمدها من فطرته ، ومقتضى خلافته في الأرض ، وكذلك من حركة الكون من حوله) .(١)

---

(١) راجع كتاب خصائص التصور الاسلامي - سيد قطب - ص ١٢١ - ١٢٣

أما ما يتعلق بالعقيدة والتصور العقدى ، فشيمته الثبات كذلك وتفصيل ذلك :-

أولا : كل ما يتعلق بالحقيقة الالهية ، وهي قاعدة التصور ، ثابتة المفهوم ، غير قابلة للحركة أو التطور.

ثانيا : حقيقة وجود الله وسر مديته ، ووحدانيته ، وقدرته وهيمنته وقيوميته وعموم مشيئته ثابتة .

ثالثا : حقيقة أن الكون بما فيه من أشياء وأحياء - هو من خلق الله ، كائن بارادته ، ثابتة ، وليس لأحد في هذا الكون أثر في التدبير والهيمنة أو الضر أو النفع غير الواحد الأحد بخصائصه المتفردة .

رابعا : وحقيقة العبودية لله ، عبودية الأشياء والأحياء ، وخضوع الناس جميعا لهذه العبودية حتى رسل الله ، ثابتة كذلك .

خامسا :- حقيقة ان الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر شرط لصحة الأعمال وقبولها ، والا فانها باطلة أساسا ، لا تقبل ولا تصحح وترد ثابتة كذلك .

سادسا :- وحقيقة ان الدين عند الله الاسلام وان الله لا يقبل من أحد دينا سواه ، ومفهوم هذا الاسلام هو الاستسلام لله في أمره ونهيه والرضى بالتحاكم له ثابتة .

سابعا : وقضية ان الانسان مخلوق مكرم على سائر الخلائق ، مستخلف من الله في الأرض ، مسخر له كل ما في الكون ، وليس هناك قيمة مادية ارضيه أرفع منه ثابتة .

---

(١) راجع كتاب خصائص التصور الاسلامي - سيد قطب - ص ١٢١ - ١٢٣ .

ثامنا : وحقيقة أن الناس من أصل واحد ، ومن ثم متساوون ، والقيمة الوحيدة للتفاضل هي التقوى .

تاسعا :- وحقيقة ان غاية الوجود الانساني هي العبادة ، وتحقيق جميع مقتضيات العبودية ، وفق دين الله ومنهجه ، ثابت كذلك .

عاشرا : وحقيقة ان رباط التجمع الانساني هي العقيدة ، وهي هذا المنهج الالهي ، لا الجنس ، ولا القوم ، أو الأرض ، أو اى اعتبار آخر كذلك .

حادى عشر :- وحقيقة ان الدنيا دار ابتلاء وعمل ، والآخرة دار حساب وجزاء ، وان الانسان مبتلى وممتحن في كل ما يصدر عنه من خير أو شر أو نعمة أو نقمة ، ومرده وأمره الى الله .

فهذه وأمثالها من المقومات الثابتة ، والاصول والقواعد العامة التى يقوم عليها الاسلام كله ، وهي غير قابلة للتغيير أو التطوير ، وهي ثابتة راسخة ، لكي تتحرك ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع في اطارها وتظل مشدودة اليها ، تؤدى عملها بانتظام)[1] .

أهمية وجود العقيدة الثابتة والمنهج الثابت :-

ان مسألة وجود عقيدة ثابتة ، أو منهج للحياة ثابت ، في اصوله ، وفي اطاره ، لا يتبدل بتبدل الأشخاص ، أو الأزمنة أو الأمكنة ، ولا يتغير اذا اختلف الظرف ، أو عند طوارئ الأحوال والمشكلات .

هذه قضية في غاية الأهمية ، وفيما يلي نوجز بوضوح أهمية الثبات في العقيدة :-

---

(١) بتصرف من كتاب خصائص التصور - لسيد قطب - ص ١٢٣ - ١٢٥

أولا : ثبات العقيدة والشريعة يؤدى الى الاستقرار :-

فلا بد من وجود شيء ثابت يرجع الناس اليه ، حتى يطمئنوا ، ويستريحوا من تقلب الأحكام والقيم ، وتغير المناهج وطرائق التعامل ، فيغيروا مسالكهم مع كل تغيير أو تطوير ، وحتى يكون عندهم مقياس يعرفون طول الأشياء وعرضها ووزنها .

أما الذين يقولون بأن كل شيء متطور في الحياة حتى الدين والأخلاق والنظم ، فهذا كلام خطير يؤدى بالتأكيد الى فوضى كبيرة فلا نستطيع معها الحكم على أى شيء : ومثال ذلك :

حد الزنا :- فحرمته ثابته وبشاعته قائمة ، ومتفق على ذلك في الديانات التي نزلت اصولها من عند الله .

فاذا كان المقياس الذى حكمنا به على الزنا انه قبيح (ثابتا) ، فان الزنا يبقى بشعا مستقبحا مستقذرا ، ويستقر في ذهن الأجيال ان هذا الحكم ثابت لا يتغير ، فتربى نفوسهم على كراهية الزنا واحتقاره .

أما اذا كان القانون والدين غير ثابتين ، وكانا متطورين ، فانه يعني ان الزنا كان بشعا في فترة من الفترات ولكن الزنا الآن عند من يقولون بتطور الأخلاق مثل ((فرويد)) ضرورة بيولوجيه لابد منها .

وكذلك ستر العورات :-

وتغطية اللحم بالثياب - خاصة من قبل المرأة - كان امرا طبيعيا وثابتا في الأخلاق والأديان ، ويبقى ثابتا الى يوم الدين .

أما الأخلاق المتطورة ، فلقد كان ستر العورة مستحسنا في عصر من العصور ، ثم جاء القرن العشرين ورآى من رآى ان ستر العورة ليس مستقبحا واصبح أصحابه ينادون بكشف العورة ، من اجهزة اعلامهم

وأبواقهم ، التي تفوح منها رائحة الخبث والكيد ، والغدر بهذا الكائن المسكين (١) .

ثانيا : ثبات العقيدة يضع الميزان الثابت الذى يفىء الناس اليه :

ان الثبات في العقيدة ضرورى جدا لوضع ميزان واحد محدد وثابت الكيلو في هذا الميزان يساوى (١٠٠٠) غم ، فاذا جئنا نزن شخصا فاننا نضعه في هذا الميزان ، ونضع مقابله كيلو غرامات حتى نعرف وزنه .

وهنا يكون الوزن والحكم صحيحا ، وعلى جميع الناس كل بحسبه ، لان الميزان والعيار واحد .

فاذا جاء قوم وغيروا الميزان ، وقالوا عن الكيلو غرام انه قنطار ، فان الشخص الذى يزن سبعين كيلوا غراما في الميزان الأول هو نفسه يزيد سبعين قنطارا في الميزان الثاني ، والشخص هو الشخص .

ومن هنا فان اختلاف الميزان يؤدى الى اضطراب الحكم واختلاله ، ولذا فان الرجل عند الناس يكون مبجلا مطاعا محترما ، لأنه ثقيل في ميزانهم ، وهو في ميزان الله لا يزن جناح بعوضة .

فمثلا : الوليد بن المغيرة ، كانت قريش تعتبره زعيمها وتقول : (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (٢) .

ذلك ان ميزان البشر يتأثر بصفات البشر من الجهل والهوى والقصور في النظر فلا بد أن ينعكس ذلك على مقاييسهم ومعاييرهم ، فيرفعون الوضيع ويضعون الرفيع ، ولكن الله عز وجل يقول عنه وعن أمثاله :-

---

(١) راجع كتاب العقيدة وأثرها في بناء الجيل - عبد الله عزام ص٨٨-٩١

(٢) سورة الزخرف -٣١-

(ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم ...)(١)

ويقول أيضا : (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون)(٢)

فقريش لا تقطع أمرا الا بعد استشارته، واستنصاحه، والله يسميه دابة، والمؤمنون يعتبرونه دابة بل أقل من دابة (أولئك كالأنعام بل هم أضل)(٣)(٤)

ثالثا : الثبات في العقيدة والمنهج ينفي الظلم ويقطع مبرراته :-

ذلك ان ثبات العقيدة، يجعل لنا اصلا يرجع الناس اليه حاكمهم ومحكومهم سواء، ويطمئن الناس الى العدل والقسط، لان الحاكم لا يستطيع أن يظلم الناس، ويقول قبل ان يظلمهم (غيرت القانون) ولا يستطيع المحكومون أن يقولوا للحاكم نحن لا نعرف القانون لأنه جديد ..

ولكنه اذا كان ثابتا فان الناس يتربون منذ نعومة أظفارهم على معرفته ويكون النظام حيا في نفوسهم، ويعيش في حسهم .

فلا يستطيع الحاكم في الدين الرباني الثابت، ان يدعي أن الظروف طارئة، ولا أن يقول : أحكام عسكرية، يوقف بها تطبيق دين الله . وتحت هذه الأسماء ووراء هذه الشعارات، يقف الارهاب، وتنصب المشانق، وتداس الكرامة، وتنتهك الحرمة .

ومع ان هذه الصفة هي شأن كل مناهج الجاهلية التى ليس لها رصيد فطرة أو قناعات ذاتية عند الشعوب،

---

(١) سورة القلم -١٠ - ١١ -

(٢) سورة الأنفال -٥٥ -

(٣) سورة الأعراف من آية -١٧٩ -

(٤) انظر كتاب العقيدة وأثرها في بناء الجيل - عبدالله عزام ص ٩١ -٩٣

الا ان هذه الظاهرة تبرز أكثر ما يكون في الأنظمة العسكرية ، والانقلابات الثورية ، التي تفسد في الأرض وتسفك الدماء ليدين لها الناس طائعين .

وأين كل ذلك من قول خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر رضي الله عنه في خطبة العهد والبيعة :

(أيها الناس فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوموني ، الصدق امانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى اريح عليه حقه ان شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ، ثم الى أن يقول ... اطيعوني ما اطعت الله ورسوله ، فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ..) (١)

اذن فثبات العقيدة يثبت المساواة بين الحاكم والمحكوم في التلقي عن منهج الله ، وان الجميع ملزم بتطبيق شرع الله وتنفيذه ولا يجوز له الخروج عن اطاره مهما كان وزنه في المجتمع أو مهما كانت ضخامته .

فما داموا من خلق الله وعباده فهم عبيد وليسوا آلهة لا يسألون ، فليس هناك حاكم فوق القانون ، ومحكوم تحت القانون ، ولا نظام يسرى على الشريف ، وآخر يسرى على الضعيف .

وهذا قول امام المتقين محمد صلى الله عليه وسلم : يلقيها في سمع الزمان بين ظهراني كل من ولي امرا من أمور المسلمين :

(انما أهلك الذين قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) . (٢)

---

(١) انظر مختصر سيرة الرسول - لمحمد بن عبد الوهاب ص ٤١٩ ط/ المطبعة السلفية .

(٢) رواه البخارى في كتاب الحدود ، والمغازى والأنبياء ، ومسلم في كتاب الحدود ، وأصحاب السنن كذلك .

ولقد زخر التاريخ الاسلامي المجيد بوقائع عطية من أمثال التي مرت نقدمها الى من حمله الله من امر هذه الأمة شيئا :-

فهذا يهودى يشتكي أمير المؤمنين علي بن أبى طالب ، الى القاضي شريح بشأن درع ، ادعى الامام علي انها له متهما اليهودى ، فيحكم شريح لليهودى بالدرع لعدم توفر أدلة الاثبات .

ورجل آخر يشتكي هارون الرشيد الى القاضي أبي يوسف :-
فيشهد الرشيد بشهادة جعفر البرمكي ، فيردها أبو يوسف قائلا ، لقد سمعت جعفرا يقول لك : انت سيدى وأنا عبدك ، فان كان عبدك حقا فشهادة العبد لسيده لا تجوز ، وان كان كاذبا فشهادة الكاذب لا تجوز) (١)

وعلى هذا فالتطور المطلق يؤدى الى الاستبداد السياسي والظلم ، ويعيش الناس في قلق دائم من تغير القوانين والدساتير - كما أسلفنا - زيادة على التعب النفسي وعدم الطمأنينة من قبل الناس لانهم يعلمون ان هذه الأنظمة ليست من عند الله فطاعتها ليست عبادة .

فى حين ان تقديم اية مادة قانونية على ما ورد في القرآن مع الرضا القلبى كفر ، لانه تفضيل كلام البشر على كلام رب البشر ، ومن فعل هذا فقد خرج من هذا الدين) .

وان التطور المطلق ما هو الا مجرد عملية تبرير للتخلي عن كل ما هو سابق ، والتقاط ما هو لاحق ، وللتخلي عن كل قيمة تصد الشهوات عن الانطلاق بلا حدود ، ولا قيود ، وهو ما أفرزته الأفكار القذرة من بنات أفكار ماركس ومن مسخ مسخه ، ليسهل الصيد فى الماء العكر ، ولتنفيذ مخططات بنى صهيون .

---

(١) بتصرف من كتاب العقيدة وأثرها في بناء الجيل - لعبد الله عزام - ص ٩١ - ٥٦

ومن ناحية أخرى فان كل ذلك تبرير لما تريده السلطات والــدول بالأفراد بحيث لا يكون هناك مبدأ ثابت ، ولا قيمة ثابتة ولا حـــق ود ستور يفيء اليه الجميع عند الاختلاف.

ونظير ذلك اطلاق يد السلطات تفعل بالأفراد ما تشاء بلا قيود ، تطلق تلك القمم (شهوات) الأفراد من كل قيد ، ليجدوا في هـــذا الانطلاق الحيواني تعويضا عن قيمهم المسلوبة ،وحرياتهم المسلوبـــة ، وحقوقهم المسلوبة ،فهي معادلة قذرة شيطانية .

(انطلاق حيواني للشهوات ، يقابله انطلاق استبدادي للسلطـــة واحدة بواحدة)(١) .

رابعا :- ثبات العقيدة يحدد طريق المسلم وهدفه ،وولاءه وبراءته :

وذلك لان هناك حالتين اثنتين تتعاوران البشرية على مدى الزمان واختلاف المكان ، حالة الهدى وحالة الضلال .

مهما اختلفت وتنوعت ألوان الضلال .

حالة الحق وحالة الباطل ،مهما تنوعت أشكال الباطل .

حالة النور وحالة الظلام ، مهما تنوعت ألوان الهوى .

حالة الاسلام وحالة الجاهلية ، مهما تنوعت ألوان الجاهلية .

حالة الايمان وحالة الكفر، مهما تنوعت ألوان الكفر.

حزب الله وحزب الشيطان .

وأما ان يلتزم الناس الاسلام دينا (أى منهجا للحياة ونظامــــا) والتزامهم صف المؤمنين وحزب الله ، والا فهو الكفر والجاهلية ، والهوى والظلام والباطل والضلال وحزب الشيطان .

---

(١) انظر المصدر السابق -ص ٩٦ - ٩٧
وخصائص التصور الاسلامي ص ١٤٠ - ١٤١

قال تعالى : (ان الدين عند الله الاسلام) (١)

وقال عز وجل : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) (٢)

" " " : (فماذا بعد الحق الا الضلال) (٣)

" " " : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون) (٤)

" " " : (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (٥)

" " " : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات . . .) (٦)

وقال تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (٧) .

وقال عز من قائل : (افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (٨)

---

(١) سورة آل عمران -١٩-

(٢) " " " -٨٥-

(٣) " يونس - ٣٢ -

(٤) " الجاثية - ١٨ -

(٥) " الأنعام -١٥٣-

(٦) " البقرة - ٢٥٧ -

(٧) " المائدة - ٤٤ -

(٨) " المائدة - ٥٠ -

وقال عز من قائل : (فان تنازعتم في شيء ،فردوه الى الله والى الرسول واولى الأمر منكم) (١)

فاذا ثبت هذا الاطار استطاعت الحياة - بفكرها وتصورها ، وواقعها وأنظمتها - أن تتحرك في داخله بحرية ، ومرونة ،واستجابت لكل تطور فكرى صحيح ،مستمد من التصور الكلي الثابت القويم . (٢)

خامسا : ثبات العقيدة ، سبب في ثبات الوجود الاسلامي في وجه المحن :

ان بثبات عقيدة المسلم ، يثبت الأصل الذى يقوم عليه شعور المسلم وتصوره،وبالتالي تشيد عليه الحياة الاسلامية ،والمجتمع الاسلامي باستقرار وثبات ورسوخ ،بحيث تتغلغل جذوره في أعماق الأرض والواقع والزمان ، تماما كما تتغلغل العقيدة في شعاب القلب واغوار النفس .

وان قيام الوجود الاسلامي المتمثل في مجتمع اسلامي يحكم بما أنزل الله ويسار فيه بسيرة رسول الله ،يعني هذا انبثاق الشجرة المباركة الثابتة الاصل ، وفرعها في السماء ، تتحدى الأعاصير الهوج ،وتستعصى على الكسر أو القلع الا بأذن الله ، وذلك ان ما ثبته الله فلا يقدر مخلوق مهما كان أن يزيله ،وما كان لله وعلى الله دام واتصل ، وما كان لغير الله انقطع وانفصل .

ولعل هذه الخاصية هي التي ضمنت للمجتمع الاسلامي تماسكه وقوته مدى ألف عام ، على الرغم من جميع الهزات ومن جميع الضربات، ومن جميع الهجمات الوحشية عليه من اعدائه المحيطين به في كل مكان .

---

(١) سورة النساء - ٥٩ -

(٢) انظر كتاب خصائص التصور الاسلامي ومقوماته - لسيد قطب . ص ١٤٢ - ١٤٤ .

ولو ان عشر معشار ما وجه لهذه العقيدة ،وجه لغيرها من المناهج أو العقائد ،لما وجدناها الا في خبر كان ،أو أثرا بعد عيان .

والجدير بالذكر ان المجتمع الاسلامي والكيان الاسلامي لم يبدأ تفككه وضعفه الا منذ أن تخلى عن هذه الخاصية في تصوره ومفهومه ، والا منذ أن أفلح اعداوءه في تنحية الاسلام عن القيادة والتوجيه ،وفي تشويه صورته المتكاملة الشاملة في ذهن أبنائه ،وصرفهم عن النبع الأصيل الرباني الثابت في التلقي والاستقاء ،والاستمداد ، واحلال التوجيهات الغربية مكانه في عالم الاسلام .(١)

---

(١) راجع بتوسع كتاب (هل نحن مسلمون) لمحمد قطب .
وانظر الكتاب السابق (الخصائص) عند صفحة ١٢٤ - ١٢٥ .

أهمية الثبات للعاملين في دعوة الله :-

لا شيء يدل على صدق الانسان مع الله مثل استمراره على حمل دعوة الله في كل الظروف والأحوال ، ودون الالتفات الى منعطفات الطريق ومنعرجاته .

وتزداد قيمة وأهمية الثبات في أيامنا هذه ، لما نراه من الضعف الذى وصلت اليه أمتنا ، بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ .

ويزيد الأمر خطورة ، ازدياد قوة الخصم ، وتنامي كيد الأعداء .

هذا وان الانتقال من هذا الحال الى حال أحسن ، أمر مطلوب شرعا ، والطلب عام يشمل جميع المستويات والقطاعات السياسية منها أو الاجتماعية ، أو الأخلاقية ، ومن جميع فئات الأمة المسلمة كذلك .

نخلص الى القول اذا : ان الاستمرار والثبات في كل الظروف : هو الطريق لتحقيق الأهداف المرجوة وتكاثر الصف المؤمن .

ولو افترضنا ان كل من حمل الدعوة وسار بها زمنا ثم ترك ، فان المحصلة هنا ستكون دائما صفرا ، ويكون الصف المسلم في حكم المعدوم ، فلا مراحل تقطع ، ولا أهداف تحقق .

ولذا كان الثبات ركنا من أركان بيعة الاسلام (١) .

وان مما يساعد على الثبات أمور :-

أولها : الزهد في الدنيا وجاهها ومناصبها ، والانخلاع من متعها وجواذبها ، والتحرر من كل ذلك ، وهذا من مقتضى العبودية الحقة للواحد الأحد .

---

(١) انظر رسالة التعاليم - للأستاذ البنا - في مجموعة الرسائل .

وثانيها :- طلب الاجر من الله ، واحتساب كل ما يصيب المسلم من هم أو غم انه عند الله يطلب مثوبته ، ويرجو أن تكفر بها ذنوبه .

وثالثها : خوف عقوبة الله في الدنيا ، وأكبر عقوبة يخشاها المؤمن الصادق هي حرمانه من ثواب العمل لدينه ، أو ابتعاده عن صف المؤمنين لقوله تعالى (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا) (١) .

رابعها :- أن يدرك المسلم ان الثبات على دين الله ، والاعتزاز بعقيدته ، والاستمرار في حمل اللواء ، كل ذلك هو السبب الحقيقي في عزة المؤمن ، وانه ان ابتغى العزة والشرف والسؤدد بغير طريق الأنبياء والمرسلين لم يحقق الا ذلا ، ولم يجن الا هوانا) (٢) .

وهذا ما وضحه الأستاذ البنا في ركن الثبات : حيث يقول :-

(وأريد بالثبات : ان يظل الأخ عاملا مجاهدا في سبيل غايته وان بعدت المدة وتطاولت السنوات والأعوام حتى يلقى الله على ذلك ، وقد فاز باحدى الحسنيين ، فاما الغاية ، واما الشهادة في النهاية .

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) (٣)

والوقت عندنا جزء من العلاج ، والطريق طويلة المدى ، بعيدة المراحل ، كثيرة الخطوات ، ولكنها وحدها التي تؤدي الى المقصود مع عظيم الاجر وجزيل المثوبة ..) (٤)

---

(١) سورة محمد - ٣٨ -

(٢) بتصرف من كتاب (في آفاق التعاليم) - لسعيد حوى ص١١٦-١١٧ ط ٢ مكتبة الرسالة الحديثة .

(٣) سورة الأحزاب -٢٣ -

(٤) من كتاب - مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا ، رسالة التعاليم ، ركن الثبات .

الفصل التاسع

التوحيد

خاصية التوحيد

=======

ان من أبرز خصائص العقيدة الاسلامية هي خاصية التوحيد .

فهي المقوم الأول ، والقاعدة الأساسية في التصور الاعتقادى الاسلامي .

ولقد كان توحيد الله تبارك وتعالى الخاصية البارزة في كل دين جاء به من عند الله رسول ، حيث انه كان يفتتح دعوته لقومه بالدعوة الى توحيد الله ربا والها لا شريك له .

يقول شارح الطحاوية :-

أعلم ان التوحيد أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك الى الله عز وجل .

قال تعالى :

(لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) (١) .

وقال هود عليه السلام لقومه :

(اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) (٢) .

وقال صالح عليه السلام لقومه :

(اعبدوا الله مالكم من اله غيره) (٣)

وقال تعالى :

(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٤)

---

(١) سورة الأعراف -٥٩-

(٢) " " -٦٥-

(٣) " " -٨٥-

(٤) سورة النحل -٣٦-

وقال صلى الله عليه وسلم :

(أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) (١) .

أهمية وقيمة التوحيد في الاسلام :-

علمنا فيما سبق ان التوحيد كان القاعدة العامة والاصل المشترك في دعوات الرسل اجمعين ، وكذلك هي في الرسالة الخاتمة ، حيث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما قرع اسماع الجاهلية ، بقولـه ، قولوا لا اله الا الله تفلحوا ، وقولوا لا اله الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم .

ويدل على مكانة التوحيد كذلك اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم به في الفترة المكية اهتماما واضحا ، بل ان الفترة المكية كلها وهي أكثر من نصف عمر الدعوة الاسلامية ، كان طابعها التوحيد ، ولم ينزل من التشريعات الا القليل وفي اخريات الفترة .

وتزداد قيمة التوحيد في رسالة الاسلام لأمرين :-

الأمر الأول :-

ان الانحرافات ، والتحريفات والفساد التي وقعت في تصورات اتباع الرسل ، الى جانب طغيان الجاهليات على الديانات .

كل ذلك : لم يبق في الأرض كلها من تصور ديني صحيح الا التصور الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم - وحفظ الله اصوله ، فلم تمتد

---

(١) متفق عليه ، وانظر العقيدة الطحاوية ص ٧٤ - ٧٥ مع تخريج الألباني .

وانظر مدارج السالكين - لابن قيم الجوزية - ص ٤٤٣ جـ ٣ .

اليها يد التحريف ، ولم تلمسها كذلك الجاهليات التي طغت على حياة الناس ، ومن ثم اصبح التوحيد خاصية من خصائص هذا الدين .

الأمر الثانـــي :-

وهناك اعتبار آخر يجعلنا نقرر ان التوحيد خاصية عامة من خصائص عقيدتنا : وهو :-

المساحة التي تشملها حقيقة التوحيد في العقيدة الاسلاميــــة ، والجوانب التي تمتد اليها في هذا التصور ، وفيما يقوم على هذا التصور من مشاعر وأخلاق ، وسلوك وتنظيم لجوانب الحياة الواقعية .

فقد امتدت هذه الحقيقة الى تصور المسلم للكون كله ، وتصـــوره لحقيقة القوة الفاعلة في حياته عو بحذافيرها . كما امتدت الى تنظيـــم جوانب الحياة الانسانية كلها .

خافيها ، وظاهرها ، صغيرها وكبيرها ، حقيرها وجليلها ، شعائرها وشرائعها ، اعتقاديها وعمليها ، فرديها وجماعيها ، دنيويهـــــا واخرويها ، بحيث لا تفلت ذرة واحدة فيها من عقيدة التوحيد الشاملة .(1)

ويوضح هذا المعنى صاحب مدارج السالكين :-

فيقول (بل نقول قولا كليا : ان كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد وشاهدة به داعية اليه ، فان القرآن : اما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله : فهو التوحيد العلمي الخبرى .

وأما دعوة الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وخلع كل ما يعبد مـــن دونه ، فهو التوحيد الارادى الطلبي .

---

(١) راجع بتوسع فصل (الشمول) من خصائص التصور الاسلامي - لسيد قطب . وخاصية (التوحيد) من نفس المصدر ص٢٠٧ - ٢٠٨ .

وما أمر ونهي ، والتزام بطاعته في نهيه وأمره

فهي حقول التوحيد ومكملاته .

وأما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته ، وما فعل بهم في الدنيا

وما يكرمهم به في الآخرة :

فهو جزاء توحيده .

وأما خبر عن أهل الشرك ، وما فعل بهم في الدنيا من النكال ،

وما يحل بهم في العقبى من العذاب ، فهو خبر عمن خرج عن حكم

التوحيد .

فالقرآن الكريم كله في التوحيد وحقوقه وجزائه .

وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم . (١)

التوحيد أول واجب وآخر واجب :-

ولذا ما ذكرنا كان التوحيد أول واجب : بمعنى :

ان أول واجب يجب على المكلف هو شهادة : ان لا اله الا الله ، وليس

النظر ،كما قال ويقول أهل الكلام المذموم .

وكما قال شارح الطحاوية : (بل ائمة السلف كلهم متفقون على أن أول

ما يؤمر به العبد ، الشهادتان ، ويتفقون على ان من فعل ذلك قبل

البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه .) (٢)

وهو أول ما يدخل به العبد في الاسلام ، ان كان كافرا .

فبشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، وهما قطبا التوحيد ،

يصبح مسلما له ما للمسلمين ، وعليه ما على المسلمين .

---

(١) من كتاب مدارج السالكين . لابن قيم الجوزية . ص ٤٤٩ - ٤٥٠
ط/ دار الكتاب العربي .

(٢) انظر العقيدة الطحاوية ص ٧٥ .

ولهذا كان من سنة رسول الهدى صلى الله عليه وسلم : التكبير في اذن المولود ، أى يوءذن في اليمنى ، ويقيم في اليسرى .

وذلك لما رواه أبو داود والترمذى عن أبى رافع انه قال :

(رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذنّ في اذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة) .

ولما روى من الحسن بن علي عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال :

(من ولد له مولود فاذن في أذنه اليمنى ، وأقام في اذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان) (١) .

وسر التأذين كما ذكر ابن قيم الجوزية في كتابه تحفة المودود :-

(أن يكون أول ما يقرع سمع الانسان كلمات النداء العلوى المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته ، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الاسلام فكان ذلك كالتلقين له شعار الاسلام عند دخوله الى الدنيا ، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها ، وغير مستنكر وصول التأذين الى قلبه وتأثره به وان لم يشعر .

وفيه معنى آخر ، وهو أن تكون دعوته الى الله والى دينه ــ الاسلام ــ والى عبادته ، سابقة على دعوة الشيطان ، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها ، سابقة على تغيير الشيطان لها ، ونقله عنها الى غير ذلك . .) (٢)

---

(١) رواه البيهقي وابن السني ـ وأم الصبيان : هي الريح تعرض للولد فربما تضره .
وقيل هي التابعة من الجن (القرينه)

(٢) راجع كتاب ـ تربية الأولاد في الاسلام ـ لعبدالله علوان ص ٦٩-٧٠

واما ان التوحيد آخر واجب ،أى يكون آخر ما يخرج به من الدنيا ،

فكما استقبل دنياه بتوحيد الله ، فكذلك يختتمها ان قدرت له السعادة ،

ومن هنا كان الرسول صلى الله عليه وسلم : يأمر بتلقين المحتضرين ساعة الفراق بكلمة التوحيد ويقول : (لقنوا موتاكم لا اله الا الله)(١) .

كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة)(٢) .

آثار التوحيد على النفس والحياة البشرية :-

ان من يوءمن بالله ايمانا كاملا عن بصيرة ونور ،ويخلص في توحيده لخالقه ، فلا شك ان هذا التوحيد ينشيء في العقل والقلب آثارا منفردة لا ينشئها تصور اعتقادى آخر .

أولا :- التوحيد يدفع الشدائد :-

يقول ابن قيم الجوزية في كتابه الفوائد :-

(التوحيد مفزع اعدائه وأوليائه :-

فاما اعداوءه : فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها :-

(فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون)(٣) .

---

(١) رواه مسلم وأصحاب السنن في كتاب الجنائز.

(٢) متفق عليه ،روياه في كتاب الجنائز.

(٣) سورة العنكبوت - ٦٥

واما أولياوءه : فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها ، ولذلك فزع اليه اتباع الرسل ،فنجوا مما عذب به المشركون في الدنيا ، وما أعد لهم في الآخرة .

ولما فزع اليه فرعون بعد معاينه الهلاك وادراك الغرق لم ينفعه ، لان الايمان عند المعاينة لايقبل ،هذه سنه الله في عباده .

فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد .

ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد .

ودعوة ذى النون التي ما دعا بها مكروب الا فرج الله كربه بالتوحيد .

فلا يلقي في الكرب العظام الا الشرك ، ولاينجي منها الا التوحيد فهو مفزع الخليقه وملجوءها وحظها وغياثها .. (١)

ثانيا :- الانضباط والثبات :-

فالتوحيد هو منهج الله الثابت ،ينشيء في النفس البشرية حالة من (الانضباط) والثبات .

انضباط وثبات في تصوره ،لوجود الميزان الثابت الذى يزن بها الأشياء بدقة . وانضباط كذلك في سلوكه وعمله .

وكل ذلك يتضح حين نوازن بين من يوحدون الله ، وبين من يعبدون آلهة متعدده ، أو الذين يحكمون أهواء البشر ، فلا بد عندنا ان تضطرب الموازين وتختل ، ويختفى العدل ويعم الهوى والجور وتحول الحياة الى غاب ، القوى فيه غالب ، والضعيف فيه مقهور مظلوم ، والشريعة السائدة هي شريعة الغاب ، وكل ذلك لعدم وجود التوحيد الثابت . (٢)

---

(١) من كتاب الفوائد - لابن قيم الجوزية - ص ٦٩ - ٧٠ ط/ ١ دار النفائس

(٢) يراجع في هذا الموضوع خاصية الثبات في هذا البحث.

ثالثا : الاستقامة :-

ذلك ان الايمان الحق والتوحيد الصادق يقتضي من العبد معرفة ربه ،وصفاته ، وان يفقه حقه على ربه ، وحق ربه عليه ، ويعرف ويعتقد ان الله لا تنفع عنده شفاعة الشافعين الا باذنه ، وانه ان أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ،فيمتثل أمره ونهيه ويستقيم على شرعه .

رابعا : الوضوح والبساطة :-

وهذا يتضح من عرض عقيدة الاسلام واضحة كما بينها الله عز وجل في كتابه ، وأوضحها رسوله كذلك .

هذا الوضوح يستطيع كل مسلم ان يفهمه مهما كان مستواه .

وأي وضوح أكثر من هذا : التوحيد أو توحيد الله معناه .

الا معبود بحق الا الله .

ولا يحكم في الأرض الا منهجه ،ولا يتلقى الا من كتابه وسنة نبيه .

ولا روابط ولا وشائج الا ما كان على أسس الاسلام .

ولا قيم ولا موازين ولا مثل الا ما قام على العقيدة السليمة الواضحة ، وهو الدينونة لله في كل أمر، والعمل على اخضاع الوجود كله لخالق الوجود .

وهذا يخالف من يخبطون في عقائدهم ، كما ذكرنا في خاصية الوضوح آنفا .

كمن يعتقد ان الاله ثلاثة اقانيم ، تتحد لتكون معبودا واحدا .

أو من يعبد طبيعة خرساء صماء ،لا تسمع ولا تبصر ولا تطالب بأمر أو نهي .

أو من يجعلون العقيدة فلسفة معقدة ومنطقا جافا بل ميتا ، أو ترفا عقليا ،لا يقره الدين وهو بعيد عن منهجه الصحيح .

(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (١) .

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) (٢) .

(ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا . . .) (٣)

رابعا : تجمع الطاقة واجتماع الشخصية :-

ذلك ان من يعبد الها واحدا لا شريك له في ذاته ، ولا صفاته ، ولا في أفعاله .

فيتعامل معه ويدين له في الاعتقاد والشعور ، فلا يتوزع ويتشتت في اعتقاده بآلهة متعدده ، أو أفعال متضاربة لا تراعي فطرته أو طاقاته .

ويتعامل مع اله واحد في العبادة والاتجاه والتشريع ونظام الحياة ، كل ذلك يتلقاه من جهة واحدة ومن مصدر واحد ، لا من مصادر شتى أو من آلهة شتى .

قال تعالى :

(ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ، ورجلا سلما لرجل ، هل يستويان مثلا ، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) (٤) .

وهذا التجمع ، واتحاد الوجهة والقصد والتلقي ، ينشىء طاقة هائلة لا يقف في وجهها شيء ، وهذا بعض اسرار الخوارق التي انشأتها العقيدة الاسلامية في الحياة والتاريخ البشرى .

---

(١) سورة النور - ٤٠ -

(٢) سورة العنكبوت - الآية الأخيرة -

(٣) سورة الأنفال - ٢٩ -

(٤) سورة الزمر - ٢٩ -

فمن هذا التصور انبعثت تلك الطاقة الموحدة التي صنعت هذه الخوارق ، الطاقة المتجمعة في ذاتها ، المتجمعة كذلك مع الطاقات الأخرى الكونية المتصالحة معها . . .) (١)

خامسا : تحرير الانسان :-

ان عبادة الله واحد متفرد بصفات الكمال ، والالوهية ، واعتقاد ان كل ما عداه ومن عداه يشتركون في العبودية ولا يملكون من خصائص الالوهية شيئا .

ان هذا معناه ومقتضاه ان لا يتلقى الناس الشرائع في أمور حياتهم الا من الله .

كما انهم لا يتوجهون بالشعائر العبادية الا اليه سبحانه .

ومعناه توحيد السلطان الذى هو أخص خصائص الالوهية ، ورده للـــه الواحد القهار كما قال تعالى :-

(ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم) (٢)

وقال عز وجل :-

(ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) . (٣)

وقال تباركت اسماؤه :-

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فـــي أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) . (٤)

---

(١) راجع بتوسع فصل (التوحيد) من خصائص التصور الاسلامـــي ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

(٢) سورة يوسف -٤٠ -

(٣) سورة الشورى -٢١ -

(٤) سورة النساء -٦٥ -

وأستمع الى ألدعوة الى البشر ليتحرروا من رق البشر وعبادة ألبشر :

(قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) (١) .

ان هذه العقيدة بهذا الاعلان تخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده .

(والانسان) كامل الانسانية ، لايكون في الأرض الا يوم أن تتحرر رقبته وتتحرر حياته من سلطان العباد في أى شكل من الأشكال .

كما يتحرر ضميره واعتقاده من أى عبوديه ، سواء كانت لحجر أو بشر أو شجر .

وهو تماما ما أوضحه العربى المسلم البسيط في مظهره ـ لكنه العظيم في مبدأه وقيمته وايمانه ـ وكان رسول جيش المسلمين الى (رستم) قائد الفرس عندما سأله هذا : ما الذى جاء بكم .

فأجابه بكلمات قلائل تصور طبيعة وخاصية هذه العقيدة ، ومعالم طريق الدعوة الى هذه العقيدة ، وتصور كذلك حملة هذه العقيدة ، ومدى ادراكهم لرسالتهم في الحياة .

قال له :

(الله ابتعثنا ، لنخرج من شاء ، من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام) .

---

(١) سورة آل عمران -٦٤-

وهكذا فان اصحاب هذه العقيدة ، وحاملي لواء الدعوة اليهـا ، حين ينطلقون من هذه القاعدة الراسخة في خطة مرسومة لتحقيق دين الله في الأرض ، فانهم سيقدمون للبشرية أعظم ما في الوجود ، ونحن نرى البشرية الآن أسيرة اهواء وآراء ، ورقيق احزاب وطبقات ، وأفكـار وحضارة .

(انهم لا يملكون ان يقدموا للبشرية امجادا علمية ولا فتوحـات حضارية يبلغ من ضخامتها ان تتفوق على ما لدى البشرية منها .

ولكنهم يملكون ان يقدموا لها شيئا آخر ،أعظم من كل الأمجـاد العلمية والفتوحات الحضارية .... انهم يقدمون لها (تحرير الانسـان) بل (ميلاد الانسان) .[1]

---

(١) من كتاب خصائص التصور الاسلامي - فصل التوحيد ص ٣٢٨ .

كلمة التوحيد

(لا اله الا الله) هذه هي كلمة التوحيد . ولقد جمعت الايمان واحتوته وهي عنوان الاسلام وأساسه .

وفضل هذه الكلمة كبير ، واجرها عظيم ، فبنطقها يدخل العبد في صف المؤمنين ، وينال حقه كاملا كالمسلمين ، ويعصم دمه وماله .

هذا فى الدنيا ، أما في الآخرة فان جزاءها ان كانت صحيحة ، والتزمها صاحبها في حياته حتى مات عليها ، فان جزاءه يكون الجنة بفضل الله ورحمته .

شروطها :

ان أول ما يجب على العبد ازاء هذه الكلمة هو نطقها ، لكن مجرد النطق بها دون الالتزام بمقتضياتها ومستلزماتها لاينفع ، فقد ذكر العلماء لها شروطا لابد من توفرها عند قائلها حتى تنفعه .

وهذه الشروط سبعة نوجزها فيما يلى : -

أولا العلم بمعناها :

قال تعالى :

(فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك . . .) (١)

وقال عز وجل :

(الا من شهد بالحق وهم يعلمون) . (٢)

وفي الصحيح عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- (من مات وهو يعلم انه لا اله الا الله دخل الجنة) (٣)

---

(١) سورة محمد - ١٩ -

(٢) سورة الأعراف - ٨٦ -

(٣) رواه الامام مسلم ، في كتاب الايمان .

ثانيا : اليقين :-

وذلك بأن يكون القائل مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما ، فان الايمان لايغني فيه الا اليقين لا علم الظن ..

قال تعالى :

(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا)(١) .

فاشترط في صدق ايمانهم كونهم لم يرتابوا أى لم يشكوا .

وفي الصحيح من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أشهد ان لا اله الا الله ، واني رسول الله ، لايلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة)(٢) .

والحديث الآخر : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أبا هريرة بنعليه قائلا له :

(من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة)(٣) .

فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقنا بها قلبه واذا انتفى الشرط انتفى المشروط .

ثالثا : القبول والانذعان لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه :

وقد حدثنا القرآن ان الله عذب المكذبين من الأمم الذين رفضوا هذه الكلمة ، واستكبروا عنها ، (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ، ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)(٤) .

---

(١) سورة الحجرات -١٥-
(٢) رواه الامام مسلم في كتاب الايمان .
(٣) رواه الامام مسلم في صحيحه في كتاب الايمان .
(٤) سورة الصافات - ٣٥ - ٣٦ -

فجعل الله علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا اله الا الله ، وتكذيبهم من جاء بها .

رابعا : الانقياد والاستسلام لما دلت عليه المنافي لترك ذلك :

قال تعالى :

(وانيبوا الى ربكم واسلموا له) سورة الزمر (٥٤)

وقال جلت قدرته (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى)(١)

ومعنى يسلم وجهه ان ينقاد ، وهو محسن أى موحد ، والعروة الوثقى فسرت (بلا اله الا الله) .

وفي حديث صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لايوءمن أحدكم حتي يكون هواه تبعا لما جئت به)(٢) وهذا تمام الانقياد وغايته .

خامسا : الصدق :-

وهو ان يقولها صدقا من قلبه ، يواطيء قلبه لسانه .

قال الله عز وجل :

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بموءمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون)(٣)

---

(١) سورة لقمان -٢٢-

(٢) رواه أبو الفتح المقدسي في الحجة على تاركي المحجة .
وانظر تخريجه في كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي في شرحه للحديث رقم / ٤١

(٣) سورة البقرة -٩-

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم : قال :-

ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار) .

سادسا :- الاخلاص :-

وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك .

قال تعالى : (ألا لله الدين الخالص) (١) .

وقال عز وجل :

(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء . . .) (٢)

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم -

(أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه ونفسه) .

سابعا : المحبة :

لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ، ولأهلها والعاملين بها ، الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك .

قال الله عز وجل :

(ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله) (٣) .

---

(١) سورة الزمر -٣-

(٢) سورة البينة -٥-

(٣) سورة البقرة -١٦٥-

وفوق كل ذلك فانني ركزت على الخصائص التي تتعلق بالجوانب التي تتصل بالدعوة الى الله عز وجل ، محاولا كما سبق تحليل واستخلاص كل الآثار والنتائج الهادية والمثبتة للمؤمن في طريق الله تبـــارك وتعالى وللجماعة كذلك . والله المستعان .

الخاتمة

خاتمة البحث

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وبتوفيقه تختم الأعمال بالخير والسداد .

وبعد : فقد خرجت من رسالتي هذه بنتائج عديدة أوجزها فيما يلي :—

أولا :—

ان الاعتقاد أو التدين أمر أصيل في النفس البشرية ، وان التوحيد سابق للشرك والوثنية والجاهلية .

وان هذه الحقيقة من شأنها أن تعيد الأمل في النفوس في امكان اعادة البشرية للدين الحق وردها الى الله وحكمه .

ثانيا :

ان البشرية اليوم هي بحاجة ماسة الى العقيدة الصحيحة والتى تمثل الطريق الوحيد لخلاصها من شقاءها ، وانقاذها من الدمار والبوار الذى ينتظرها .

ثالثا : -

ان اقامة مجتمع العقيدة السليم ،الشامخ ،هو العلاج الناجع لاصلاح ما اعوج وانحرف من أمر العقيدة في النفس والواقع ،لذا وجب على جميع العاملين التنسيق والاتحاد من خلال خطة عمل واحدة للوصول الى الهدف المنشود .

رابعا :

ثبت بما لا يحتاج الى دليل ، سلطان العقيدة القوى على الأخلاق والسلوك ، وان العقيدة الصحيحة تلد الأخلاق الفاضلة الصالحة ،

الوجود .

ليرضى عنها ربها ، وتكون بحق خير أمة أخرجت للناس .

وبعد :

فهذا بحثي المتواضع ، آمل أن أكون قد وفقت في وضع أسس لدراسة منهجيته متعمقة ، ينتج عنها منهاج تربوى متكامل وشامل على أساس من العقيدة الصحيحة وآثارها المباركة .

راجيا من العلي العظيم أن يكون ذلك دفعا لمسيرتنا نحو الخير والعطاء ، وللحياة العقدية نحو الاستئناف والبناء .

ان أريد الا الاصلاح ما استطعت .

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة / في الشهر المحرم
عام ١٤٠٣ هـ

فهرس المراجع

أهم مراجع البحـــث

القرآن الكريم

السنة المطهره

الجامع الصحيح — محمد بن اسماعيل البخارى

صحيح مسلم — مسلم بن الحجاج النيسابورى

جامع الترمذى — أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغـي

سنن ابى داود — أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني

سنن ابن ماجه — أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه

مسند أحمد — أبو عبدالله أحمد بن حنبل

اركان الايمان — وهبى سليمان الغاوجي ط. الأولـــى / موءسسة الرسالة

الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية

عبدالعزيز السلمان ط. الرابعة

أسس الدعوة وآداب الدعاة محمد السيد الوكيـل

دار الطباعة والنشر الاسلاميـــة

الاسلام — سعيد حوى دار الكتب العلمية /بيروت

الاسلام في حياة المسلم — محمد البهي ط. الخامســـــة / مطبعة الاستقلال الكبرى

الاسلام وثقافة الانسان — سميح عاطف الزين ط. الرابعـة / دار الكتاب اللبنانـي

الاسلام فكره وحركة وانقلاب فتحي يكن — موءسسة الرسالة

الاسلام وحاجة الانسانية اليه محمد يوسف موســى ط. أولـى / الشركة العربية للطباعة

اصول التربية الاسلامية عبد الرحمن النحلاوى دار الفكر

اصول الدعوة عبدالكريم زيدان ط. الثانية

مكتبة المنار الاسلامية

اعلام الموقعين عن رب العالمين ابن قيم الجوزيه

شركة الطباعة والنشر الاسلامية

اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن قيم الجوزية

مطبعة مصطفى البابي الحلبي

الايمان أحمد بن عبد الحليم بن تيميه

ط. ثالثة / المكتب الاسلامي .

الايمان حقيقته واركانه محمد نعيم ياسين ط. اولى /

جمعية عمال المطابع التعاونية .

الايمان والحياة يوسف القرضاوى مكتبة وهبه

تبسيط العقائد الاسلامية حسن أيوب مكتبة الثقافة العربية

تربية الاولاد في الاسلام عبدالله علوان دار السلام

تعريف عام بدين الاسلام علي الطنطاوى الطبعة السابعة

تفسير النسفي أبوالبركات عبدالله بن أحمد النسفي

دار الكتاب العربي

تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن)

أبو عبدالله محمد بن أحمد الانصارى القرطبي

دار الكتب المصرية

تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)

أبو الفداء اسماعيل بن كثير

تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل آى القرآن

أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى دار المعارف/مصر

التحف في مذاهب السلف محمد بن علي الشوكاني
ضمن مجموعة الرسائل المنيريه جـ ٢ / ٩٩٠
المطبعة المنيريه

تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد

سليمان بن محمد بن عبدالوهاب

جامع العلوم والحكم عبد الرحمن بن رجب الحنبلي دار المعرفة

جاهلية القرن العشرين محمد قطب

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ابن تيمية

موءسسة المدني / القاهرة

حقائق الاسلام واباطيل خصومه عباس محمود العقاد دار السلام

حقيقة التوحيد يوسف القرضاوي مكتبة وهبه

الحل الاسلامي يوسف القرضاوي موءسسة الرسالة

خصائص التصور الاسلامي سيد قطب دار القرآن الكريم

الخصائص العامة للاسلام يوسف القرضاوي دار غريب

الدين محمد عبدالله دراز دار القلم

رسالة الحسنة والسيئة لابن تيميه مع مجموعة رسائل /

مطبعة السنة المحمديه

روح الدين الاسلامي عفيف طباره ط. السابعة عشرة

دار العلم للملايين

رياض الصالحين محيي الدين النووي دار التراث العربي

الرسالة التدمريه ابن تيميه

الرسالة الحمويه ابن تيميه

الرسل والرسالات عمر سليمان الاشقر مكتبة الفلاح

الروضة النديه شرح العقيدة الواسطية

زيد بن فياض المطبعة اليوسفيه ط. الثانيه

زاد المعاد في هدى خير العباد ابن قيم الجوزية
مطبعة السنة المحمديـــه

سيرة ابن هشام محمد عبد الملك بن هشام

الشباب والتغيير فتحى يكن موسسة الرسالة

شرح العقيدة الطحاوية ابن أبى العز الحنفى ط . الاولـــى /
المكتب الاسلامي

شرح العقيدة الواسطيه محمد خليل الهراس ط. الرابعـــــه /
موسسة مكة للطباعة .

شرح قصيده ابن القيم أحمد بن ابراهيم بن عيســى ط. الاولى /
المكتب الاسلامــي

شفاء العليل ابن قيم الجوزيه

طريق الدعوه في ظلال القرآن أحمد فائز موسسة الرسالة

طريق الوصول الى علم المأمول عبد الرحمن بن ناصر السعـــدى
مطبعة الامام / مصـــر

عقيدة الموءمن أبو بكر الجزائرى ط. العاشرة / مطبعـــــة
النهضة الجديـدة

العقيدة في الله عمر الأشقر ط. الثانية / مكتبة الفـــلاح

العقيدة الاسلامية واسسها عبد الرحمن الميداني ط. الثانيـــة /
دار القلـــم

العقيدة وأثرها في بناء الجيل عبد الله عزام ط. الثالثة

العقيدة الاسلامية عبد الغني عبود ط. الاولى /دار الفكر العربي

العقائد الاسلامية سيد سابق ط. ٣ / مطبعة حسان .

العلويون أو النصيريه عبد الحسن العسكرى

فتح البارى شرح صحيح البخارى ابن حجر العسقلانـي
مكتبة مصطفى الحلبى

فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن آل الشيــخ
مكتبة الرياض الحديثـــــه .

الفرق بين الفرق عبد القاهر البغدادى دار الآفاق الجديدة

الفقه الأكبر شرح ملا علي القارى دار الكتب العلمية / بيروت

فقه السيره محمد الغزالى ط. السابعة / دار الكتب المصريه

الفوائد ابن قيم الجوزيه ط. الاولى / دار النفائس

في آفاق التعاليم سعيد حوى ط. ثانيه / مكتبة الرسالـــــة الحديثه /عمـــان

في ظلال القرآن سيد قطب دار الشروق . ط. ثانية

القاموس المحيط للفيروزآبادى مكتبة النور / دمشق

كبرى اليقينيات الكونية محمد سعيد رمضان البوطي ط. السادسة / دار الفكـــر

الكواشف الجليه عن معاني الواسطية عبد العزيز السلطان ط. العاشره

لسان العرب لابن منظور دار المعارف / مصـــر

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أبو الحسن الندوى ط. العاشرة / دار الانصـــار

مدارج السالكين ابن قيم الجوزيه دار التراث العربي

مجموعة الرسائل حسن البنا دار النور

مجموع فتاوى ابن تيمية ابن تيميه مطابع الرياض ط. الاولى

مختصر سيرة الرسول محمد بن عبد الوهاب ط. الرابعة / المطبعـــة السلفيـــه

مختار الصحاح للرازى ط. الاولى / دار الكتاب العربـــي

معالم في الطريق سيد قطب دار القرآن الكريـــم

مع رسل الله وملائكته واليوم الآخر حسن أيـوب ـ دار القلم / الكويـــت

المصباح المنير أحمد الفيومي ط. الخامسة / المطبعة الاميريه

مقالات الاسلاميين أبو الحسن الأشعرى الطبعة الثانية

مفتاح دار السعادة ابن قيم الجوزية مطبعة صبيح / القاهرة

الملل والنحل للشهرستاني موسسة الحلبى للطباعة والنشر

مقارنه الاديان المسيحية أحمد شلبي

منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات

محمد الامين الشنقيطي موسسة مكة للطباعة

منهج التربية الاسلامية محمد قطب

هذا الدين سيد قطب دار القرآن الكريم

هداية الحيارى في اجوبه اليهود والنصارى

ابن قيم الجوزيه ضمن مجموع / الجامع الفريد

هل نحن مسلمون محمد قطب دار الشروق

اليوم الآخر في ظلال القرآن أحمد فائز موسسة الرسالة

اليوم الآخر عبد الغنى عبود دار الفكر العربي

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات الواردة في الرسالـــة
على حسب ترتيب المصحـــف الشريـــــف

اسم السورة والآية الواردة	رقم الآية	الصفحة الواردة فيها
(سورة الفاتحة)		
الحمد لله رب العالمين	١	٣٨
(سورة البقرة)		
الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هـــدى للمتقين ...	١-٣	٧٧
والذين يؤمنون بما أنزل اليك ومـــا أنزل من قبلك	٤	١٢١
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم	٩	٢٧٥
يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم	٢١	٢٠٩
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة	٢٣	٨٢
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ...	٣١	٧٧
قلنا اهبطوا منها جميعا فامـــا يأتينكم منى هدى.....	٣٨	١٤ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١١٢
ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى	٦٢	١٢٢

افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
فما جزاء من ٨٥ ١٥١
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ١١١ ٩٠،١٨٩
الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حـــق
تلاوته ١٢١ ٩١
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونـــوا
شهداء على الناس ١٢٣ ٥٢، ٨٦، ١٨٧
٢٠٢
ربنا واجعلنا مسلمين لك ومـــن
ذريتنا ... ١٢٨ ١١٠
ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان
اللـــه ... ١٣٢ ١١٠
قولوا آمنا بالله وما أنزل الينـــا
وما أنزل .... ١٣٦ ٩٤، ١٠٩
صبغة الله ومن أحسن من اللـــه
صبغة ١٣٨ ١٦٤
ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم ١٦٥ ٢٧٦
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبـــل
المشرق والمغرب .... ١٧٧ ٩٤، ١٢٢
واذا سألك عبادى عنى فانى قريب.. ١٨٦ ٥٢، ١٧٩
واتقوا الله واعلموا ان الله شديـــد
العقـــاب ١٩٦ ٥١

كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين .... ٢١٣ ١٤، ٨٠، ٨٤
١١٢

كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان ٢١٦ ١٦٢

ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ٢٣٥ ٢٥

يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ٢٥٤ ١٢١

الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه ... ٢٥٦ ٢٤٤

لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .... ٢٥٧ ٥٤، ١٧٢، ٢١٧

الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى ٢٥٨ ٢٥٦

واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ٢٨١ ١٢٩

لا يكلف الله نفسا الى وسعها لها ما كسبت ... ٢٨٦ ٨٣، ٢٠٦، ٢٣٠

(سورة آل عمران)

والله عزيز ذو انتقام ٤ ٥١

هو الذى أنزل عليك الكتب منه آيات محكمات ... ٧ ٩٢، ١٧٣

ان الدين عند الله الاسلام ...	١٩	٣٢، ٢٥٦
اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك	٤٢	٦٩
قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا ...	٦٤	١٧٤، ٢٧١
افغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات...	٨٣	٧٠
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه.....	٨٥	٢٥٦
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن ...	١٠٢	٣٢
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ...	١٤٤	٩٦، ٢٢٩
وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله..	١٤٥	١٥٦
قل ان الأمر كله لله	٢٥٤	١٤١
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا.....	١٦٩	٢٤٤
ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار	١٩٠	٨٩
(سورة النساء)		
ليس بامانيكم ولا اماني أهل الكتاب..	١٨	٤٩
والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم..	٢٣	٢٥

الآية	رقمها	رقم الصفحة
ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول	٥٩	٢٥٧
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا	٦٣	٩٣
فلا وربك لا يوءمنون حتى يحكموك فيما شجر....	٦٥	٢٢١، ٢٧٠
ومن يطع الرسول فقد اطاع الله..	٨٠	٩٥
من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب ...	١٣٤	٢٨٢
ياأيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى..	١٣٦	٦٨، ٨١ ، ١٢٢
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا	١٥٠	٩٤
ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم	١٦٤	٩٥
رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس	١٦٥	٨٣، ١١٣
(سورة المائدة)		
ياأيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم	١	٢٥
اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ...	٤	١٦٥
وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة	١٢	١٠٣

الآيـة	رقمها	الصفحة
(سورة المائـــــدة)		
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ..	١٥	١٨٦
انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ...	٤٤	٧٩، ٨١، ١١٠، ٢٥٦
وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم ...	٤٦	٨٠، ٨١
افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما	٥٠	٢٥٦
انما وليكم الله ورسوله والذين آمنـــوا الذين	٥٥	١٧٢
ومن يتول الله ورسوله والذين آمنـــوا فان	٥٦	٥٤، ١٧٢
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم	٧٢	١٩٢
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكـــم ولكـن	٨٩	٢٥
يا أيها الذين آمنوا انما الخمـــــر والميسر والانصاب	٩	١٦٨
(سورة الأنعام)		
قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله	٥٦	٥٦
وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فـــــي	٥٩	٤٧

الآيـــة	رقمها	الصفحة
وهو القاهر فوق عباده . . .	٦١،٦٨	٢٣٥، ٤٧
قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا . .	٧١	٣٨
وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم	٨١	٦٣
الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم	٨٢	٦٢
اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة	٨٩	٩٧
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده	٩٠	١١٦
لا مبدل لكلماته	١١٥	٤٥
او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا	١٢٢	١٠١،٤٥
سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا	١٤٨	١٤٣
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه . .	١٥٣	٢٥٦ ،١٨٥
قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي . .	١٦٣	١٧١
(سورة الأعـــراف)		
فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون . .	٨	١٢٨
واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا	٢٨	١٤٤
الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين . . .	٥٤	٢٣٥،٣٨

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا	٥٩	٢٦١
والى عاد اخاهم هودا قال ياقوم...	٦٥	٦١
ولوان أهل القرى آمنوا واتقـــوا لفتحنـا	٦٩	١٦٦
واذ اخذ ربك من بني آدم مـــن ظهورهم ذريتهم	١٧٢	٢٠٤
اولئك كالأنعام بل هم اضل ...	١٧٩	٢٥٢
قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله	١٨٨	٩٧
ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته	٢٠٥	٧٤
(سورة الأنفـال)		
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم	٢	٩٢
اذ يوحي ربك الى الملائكة انـي معكم	١٢	٧٢
ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا اللـــه يجعل لكم فرقانا...	٢٩	٢٦٩
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله	٣٩	٢١٣
ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة..	٥٠	٧٢

الآيـــة	رقمها	الصفحـــة
ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها	٥٣	٢١٧
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ...	٥٥	٢٥٢
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة	٦٠	١٦٠
(سورة التوبة)		
ياأيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا	٢٨	١٢٤
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وباليوم والآخر	١٢٩	١٢٢
وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى......	٣٠	١٩٢
فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ..	٥٥	٥٩
(سورة يونس)		
يدبر الأمر ما من شفيع الا من بعد اذنه	٣	١٤١
ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا	٧	١٢٢
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم	١٨	٤٩

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
هو الذى يسيركم في البر والبحر حتى اذا	٢٢	٢٠٧
فذ لكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال	٣٢	٢٥٦
وأمرت أن أكون من المسلمين	٧٢	١١٠
قل انظروا ماذا في السموات والأرض	١١١	٤٥

(سورة هود)

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها	٦١	٢٣١
والى مدين آخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا	٨٤	١١٤
ان ربك فعال لما يريد	١٠٧	٢٤١
واليه يرجع الأمر كله	١٢٣	١٤١

(سورة يوسف)

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ..	٣٩	٥٠
ان الحكم الا لله أمر لا تعبدوا الا اياه ..	٤٠	٢٧٠
وفوق كل ذى علم عليم	٧٦	٤٧
انه لا ييأس من روح الله الا القـــوم الكافـــرون	٨٧	٦٤
توفني مسلما والحقني بالصالحين	١٠١	١١٠

الآيـــــــه	رقمها	الصفحة
(سورة الرعد)		
الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض..	٨	٢٣٦
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ...	١١	١٩١، ٢١٧
انزل من السماء ماء فسالت أودية	١٧	١٠٢
افمن يعلم انما أنزل اليك من ربـــك بالحــق	١٩	٢٣٧
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب	٢٤	٧٢
(سورة ابراهيـــم)		
وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ...	٤	١١٢
قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم	١١	١٩٢
(سورة الحجر)		
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	٩	٢٤٥
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس	٣٠	٧٧
ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون	٥٦	٦٥
ان ربك هو الخلاق العليم	٨٦	٢٤٢
(سورة النحل)		
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظـــة الحسنـــة	١٦	١٨٥
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسـنة ولدار الآخرة ...	٣٠	٢٨٢
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله	٣٦	٢٤٠، ١٠٢، ١١٢، ٢٦١

الآية	رقمها	الصفحة
فلا تضربوا لله الأمثال	٧٤	٤٢
(سورة الاسراء)		
ان هذا القرآن يهدى للتى هي أقوم ..	٩	٩٠
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا	١٥	١١٢
وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون	٤٩	١٢٦
وآتينا داود زبورا	٥٥	٨٠
ابعث الله بشرا رسولا	٩٤	١٠٨
قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين	٩٥	١٠٨
ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم	١٠٧	٩٢
(سورة مريم)		
وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك	٢٥	١٥٩
لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا	٤٦	١١٨
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل	٩٦	٥٢
ان في ذلك لآيات لاولى النهى	١٢٨	٨٩
(سورة طه)		
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك ..	٣	٦١
ان الساعة آتية اكاد اخفيها ...	١٥	١٢٥
اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا	٤٣	١١٤

الآيـــــــه	رقمها	الصفحة
وعصى آدم ربه فغوى،ثم اجتباه ربه	١٢١	١٨٠
... فمن اتبع هداى فلا يضـــــل ولا يشقى	١٢٣	٦٦، ١٥
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبلـــه لقالـــوا	١٣٤	١١٣
(ســورة الأنبيـــاء)		
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا	٢١	١٧٩، ٢٣٨
أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكــم	٢٤	٩
وما أرسلنا من رسول الا نوحي اليه...	٢٥	١٠٢، ٤١
(سورة الحــج)		
يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث..	٥	١٢٦
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى.....	٨	٨٩
الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والأرض	٧٠	١٤٢
هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حـــــرج	٧٨	٢٣٠
(سورة المؤمنون)		
قد أفلح المؤمنون ،الذين هم فـــــي صلاتهم خاشعون	١، ٢	٩٠

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
وقالوا لو شاء الله لانزل ملائكة	٢٤	١٠٨
ما تخذ الله من ولد وما كان معه من الـــه	٩١	١٧٩، ٢٣٨
(سورة النور)		
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور	٤٠	٤٦
(سورة الفرقان)		
وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون ...	٢٠	٩٦
ارأيت من اتخذ الـهه هواه افأنـــت تكون ...	٤٣	٥٦
وعباد الرحمن الذين يمشون علـــــى الأرض هونا	٦٣	٩١
(سورة الشعراء)		
الذى خلقني فهو يهديـن والذى هو يطعمنى	٧٧، ٨٢	٦٦، ١٢٥
كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم	١٦٠	١١٥
(سورة النمل)		
وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم	٦	١٦٥
(سورة القصص)		
وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ..	١٧	٥٣، ٢٠٠

الآيــــة	رقمها	الصفحة
(سورة العنكبوت)		
فاذا ركبوا في الفلك دعو الله مخلصين	٦٥	٦٦
والذين جاهدوا فينا لنهدينهـــــم		
سبلنـا	٦٩	٦٩
(سورة الروم)		
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . . .	٥	٢١١
ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . . .	٢١	٨٩
فاقم وجهك للدين حنيفا فطـرة الله		
التى فطر الناس	٣٠	٢٣، ١٤، ٢٤٥
(سورة لقمـان)		
يابني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانـه		
عن المنكر	١٧	٩١
ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن . .	٢٢	٢٧٥
(سورة السجده)		
تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين	٢	١٦٥
(سورة الأحزاب)		
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة		
لمن كان	٢١	٢٢٦
يا نساء النبى ان كنتن تردن الحياة		
الدنيـا	٢٨	١٣٣
(سورة فاطر)		
يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله		
واللــــه	١٥	٤٧

الآيــــة	رقمها	الصفحة
وان من أمة الا خلا فيها نذير	٢٤	١٤،١٢
فلن تجد لسنة الله تبديلا ولــــن تجد لسنة الله	٤٣	٢٤٥
(سورة يـــس)		
وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال مـــن يحيي	٧٨	١٢٦
فسبحان الذى بيده ملكوت كـــل شـــيء	٨٣	١٤١
(سورة الصافات)		
انهم كانوا اذا قيل لهم الا اله الاالله يستكبرون	٣٥	٢٧٤
(سورة الزمر)		
الا لله الدين الخالص	٣	٢٧٠،٢٧٦
الله نزل احسن الحديث كتابـــا متشابها	٢٣	٩٢
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركـــاء متشاكسون	٢٩	٢٦٩،٥٠
وانيبوا الى ربكم واسلموا له	٥٤	٢٧٥
(سورة غافر)		
الذين يحملون العرش ومن حولــــه يسبحون ...	٩،٧	٧١

الآيـــــه	رقمها	الصفحة
(سورة الشورى)		
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير	١١	١٩٥،٤٢،٤١
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى	١٣	١٠٩
وقل امنت بما أنزل الله من كتاب...	١٥	٢١٣،٨١
ام لهم شركاء شرعوا لهم من الديـــن ما لم يأذن	٢١	٢٤٦،٢٧٠
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ..	٥٢	١٠١
(سورة الزخرف)		
انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون	٣	٨٩
انا وجدنا آباءنا على أمة وانا علـــى آثارهـــم	٢٣	١٩٨
وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل ..	٣١	٢٥١
الا من شهد بالحق وهم يعلمون	٨٦	٢٧٣
(سورة الدخـان)		
خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم	٤٧	٧٢
(سورة الجاثية)		
ثم جعلناك على شريعة من الآمر فاتبعهـا	١٨	٢٥٦
وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا	٢٤	١٢٣

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
(سورة محمد)		
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك	١٩	٩٨، ٢٣٣
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ...	٣٨	٢٦٠
افلا يتدبرون القرآن أم على قلـــوب اقفالـها .	٤٤	٨٩
(سورة الفتح)		
هو الذى أنزل السكينة في قلـــوب المؤمنين	٤	٥٩
(سورة الحجرات)		
انما المؤمنون الذين آمنوا باللـــه ورسولـــه	١٥	٢٧٤
(سورة ق)		
بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون	٣	٢٤
(سورة الذاريات)		
وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم	٢٠	٤٥
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون	٥٦	٤٠
(سورة المزمل)		
وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا	١١، ١٤	٥٢
(سورة المدثر)		
ان هذا الا قول البشر ، سأصليه سقر	٢٥، ٢٦	٨٨
(سورة القيامة)		
ايحسب الانسان ان يترك سدى	٣٦	١١٢

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
(سورة النازعات)		
فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي ..	٣٧، ٤١	١٣٣
(سورة التكوير)		
وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين	٢٩	١٩١
(سورة الانفطار)		
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ..	١١	١٢٩
(سورة البروج)		
ان بطش ربك لشديد ...	١٢	٥١
وهو الغفور الودود ...	١٤	٥٢
(سورة الأعلى)		
بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقـــى	١٦، ١٩	٨٠، ١٣٣
(سورة الشمس)		
ونفس وما سواها فالهمها فجورهـــا وتقواها	٧، ٨	١١٧، ٢٠٥
قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها	٩، ١٠	١٩١
(سورة النجم)		
ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيـــم الذى وفى ...	٣٦، ٣٧	٨٠
وان ليس للانسان الا ما سعى	٣٩	٤٩
وان الى ربك المنتهى	٤٢	١٧٠

الآيــــــــه	رقمها	الصفحة
(سورة الحديد)		
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه . . .	٧	٤٧
ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا فـي أنفسكم	٢٢	١٤٢
(سورة المجادلة)		
ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ..	٧	٢٣٦
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليـــوم الآخر يوادون	٢٢	٥٥ ، ١٣١
(سورة الممتحنة)		
قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم	٤	١٧٢
(سورة التغابن)		
زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي	٧	٢٢٥
ومن يؤمن بالله يهد قلبه	١١	٤٥
(سورة الطلاق)		
ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر	٢	١٣١
(سورة القلم)		
ولا تطع كل حلاف مهين	١٠	٢٥٢
(سورة نوح)		
قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا	٥ ، ٩	١١٨
وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًا ولا	٢٣	١٦

الآيـــة	رقمها	الصفحة
(سورة البينه)		
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين	٥	١٧٠، ٢٧٦
(سورة الماعون)		
أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ...	١، ٣	١٣١
(سورة الكافرون)		
قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ..	كلها	٢١٣
(سورة الاخلاص)		
ولم يكن له كفوا احد	٤	٤٢
(سورة الفلق)		
ومن شر النفاثات في العقد	٤	٢٥

==========
======
====
==
*

فِهرِسُ الأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ

فهرس الأحاديث الواردة في الرسالة مرتبة على حسب حروف الهجاء :

(الحديـــث)	الصفحة
أأشد ضفر رأسي أو اعقده . . .	٢٥
ابشروا واملوا فوالله ما الفقر اخشى عليكم	١٣٤
اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله	٤٦
اتيت ابي بن كعب فقلت له قد وقع في نفسي . . .	١٥٢
الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه . . .	٤٦ ، ٧٦
اذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك	٧١
ارأيت رقى نسترقي بها ، وتقى نتقي بها . . .	١٥٨
اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله . . .	٢٧٦
الاسلام : ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده	٣٠
اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لايلقى الله بها	٢٧٤
اعملوا فكل ميسر لما خلق له . .	١٦٠
امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله	٢٦٢
الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى	١٠٤
ان اول ما خلق الله العلم قال له اكتب قال : . . .	١٤٢ ، ١٤٨
انتم تتمون سبعين امه انتم خيرها . . .	١١٢
ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما امور . . .	١٨٥
ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه	١٩٨
ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلـــم انبي كان آدم ؟	١٦
انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى . . .	١٧١
انما اهلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا ســــــرق فيهم	٢٥٣

الحديث	الصفحة
ان الله لايعذب العامة بعمل الخاصة حتى تعمل الخاصة......	٢٢١
انه والله لوكان موسى حيا بين اظهركم ما حل له الا..............	٨٥
الايمان بضع وستون شعبة......	٣١
الايمان بضع وسبعون شعبه	٣٢
الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم..	٨١، ٦٨، ١٣٩
بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطه ...	٦٩
تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم.......	٢٠
تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله	٩٠
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس	١٤٧
الخيل معقود بنواصيها الخير	٢٥
الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر	١٣٤
ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا	٦٢
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في أذن...	٢٦٥
شكونا الى رسول الله وهو متوسد برده في ظل الكعبة	٦٥
صنفان من امتي ليس لهما في الاسلام نصيب	١٩٧
عجبنا لامر المؤمن ان امره كله له خير	٦٣
عشر من الفطره	٢٠٤
قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ...	١٨٥
كان رجل يقرأ سورة الكهف وفرسه مربوطة	٦٩
كل مولود يولد على الفطره	٢٠٣

الحديـــــث	رقم الصفحة
لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به	٢٧٥
لا يؤمن احدكم حتى يؤمن باربع	١٣٩
لقيني أبو بكر فقال : كيف انت فقلت نافق حنظلة	٧٠
لقنوا موتاكم لا اله الا الله	٢٦٦
اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعدها	٨٦
ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء	١٥٨
ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يضع احدكم	١٣٤
ما من أحد يشهد ان لا اله الا الله وان محمد عبده ورسوله	٢٧٦
ما ينبغى لنبى لبس لأمته أن يضعها حتى ..	١٥٤
مثلي ومثل الانبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا	١١٠
من سعادة المرء استخارته ربه ورضاه بما قضى	١٦٣
من أحدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد	٢٤٦
من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع ..	٢٢١
من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة	٢٦٦
من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد ان لا اله الا الله ..	٢٧٤
من مات وهو يعلم انه لا اله الا الله دخل الجنة	٢٧٣
من ولد له ولد فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسـرى	٢٦٥
هذه اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا ..	١٧
واياكم والغلو في الدين فانما اهلك من كان قبلكم بالغلـو	٢٠١

الحديث	الصفحة
واياكم ومحدثات الأمور فانها ضلاله	٢٤٦
والذى نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الأمة ...	١١١
وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام	١٦
ولكني اصوم وافطر ، واصلى وارقد	٩٦
يا ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد	٢١٠
ياغلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك	١٤٨
يا معشر قريش اشتروا لانفسكم لا اغنى عنكم من الله شيئا	١١٠
يعقد الشيطان على قافية راس احدكم اذا هو نام ..	٢٥
يقول الله انى خلقت عبادى حنفاء ..	٢٠٤
يكون في أمتي خسف ومسخ وذلك بالمكذبين بالقدر	١٩٧